قبسٌ من أنوار الزهراء
الملكوتية والملكية

قبسٌ من أنوار الزهراء

الملكوتية والملكية

سلسلة محاضرات وبحوث منبرية بمثابة مفاتيح للتعرف
على شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام

تأليف

يوسف حلو خضر النّاجي الموسوي

إمام وخطيب حسينية الإمام الحسين عليه السلام

هوية الكتاب

الكتاب : قبسٌ من أنوار الزهراء الملكوتية والملكية

المؤلف : السيد يوسف حلو خضر الناجي

التنضيد والإخراج الفني : عبد القادر كرزي

المطبعة : مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر

الطبعة : الأولى ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧م

الإهداء....

إلـيـكِ يـا سـيـدتـي... سـيـدة نـسـاء الـعـالـمـيـن

إلــيــكِ يــا مــولاتــي... ومــولاة الــعــالــمــيــن

إليكِ يا من دارت القرون الاولى على معرفتها

إلــيــكِ يــا صــاحــبــة الــشــفــاعــة الــكــبــرى

إليكِ يا فاطمة الزهراء الروحانية الملكوتية

أُهدي هذه البضاعة المزجاة... راجياً القبول

والشفاعة كيف لا وأنت مظهر الجود والرحمة الإلهية

مَحالٌ أن اَفِد على بابٍ من أبواب

الـكـرم ثـمّ أعـودَ خـائـبـاً يـائـسـاً!

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله واللعنة الدائمة على اعدائهم إلى يوم القيامة. . .

تلبيةً لنداء الرسول وآله «عليه وعليهم السلام» حيث وردت أحاديث كثيرة يجمعها مضمون مفاده الحثّ على تدوين فضائلهم وأحاديثهم وعلمهم ومنها: ما قاله رسول الله «صلّى الله عليه وآله» : المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكلّ حرفٍ مكتوبٍ عليها مدينة أوسعَ من الدنيا سبع مرّاتٍ(١).

وتلبيةً لنداء الخطباء الذين قالوا: معاشرَ الخطباء دونوا تجاربكم. . .

وبعد:

لقد وفقَّنا الله سبحانه لتدوين سلسلة محاضرات ألقيت في الليالي الفاطمية في حسينيتنا «حسينية الإمام الحسين عليه السلام» والتي نراود فيها التبليغ والإرشاد وامامة المصلين وباقي الفعاليات العبادية الإلهية، وهذه المحاضرات الفاطمية هي بمثابة المفاتيح للتعرف على هذه اللطيفة الرّبانية المسماة بـ «فاطمة الزهراء»، ولعل سؤالاً يتبادرُ في الذهن وهو:

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢ / ص ١٤٤.

ما هي نتيجة المعرفة؟ والجواب نتيجة المعرفة هي الحبّ والذي يثمر الاتباع والاقتداء على المستوى النظري والعملي والفوز والفلاح. . . وما أروع النص الإلهي الذي جسد هذه العلاقة وثمرتها: قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

ومن أجل بيان مفاتيح المعرفة الفاطمية بوّبنا المفاتيح في ثلاثةٍ وأربعين موضوعاً ابتدأناها من الخلقة النورية لفاطمة عليها السلام مرورا بباقي مقاماتها عليها السلام في العالم الدنيوي والاخروي وانتهينا إلى محوريتها عليها السلام بين النبوة والإمامة. . .

وفي نهاية هذه الأسطر: أعتذر من الأساتذة الكبار والعلماء الأعلام الذين اقتبست من محاضراتهم ودروسهم وكتبهم من الخلل أو التقصير أو الهفوة أثناء الاقتباس، وكذا من القراء الكرام ان وجد غموض في مطالب الكتاب أو تكرار لبعض فقرات الأبحاث لكون الأبحاث هي محاضرات ألقيت في مناسبات متباعدة.

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل لمن هيَّأ لي الأجواء المناسبة لإخراج هذه المحاضرات إلى نور الوجود وأعني بها زوجتي أم مصطفى الموسوي وابنتي نور الهدى.

سائلين المولى سبحانه والنبي وآله «عليه وعليهم السلام» أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن وأن ينفعنا به ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

المؤلف

الخامس والعشرون من ذي القعدة/ ١٤٣٨هـ

الموضوع الأول

الزهراء عليها السلام في خلقتها النورانية

عالم الأنوارعالم الغيب، وهو العالم الذي سبق كُلَّ العوالم، خلق الله واشتق من نوره نور محمد وآل محمد «صلى الله عليه وآله»، وكانوا أنواراً مُحدقةً بعرشه يطوفون حول العظمة، وذلك لإظهار مقامهم السامي ومنزلتهم العظيمة في قلوب المؤمنين، فهم أهل البيت عليهم السلام، حملة الأسرار الإلهية الربانية، وهذا ما اقتضته المشيئة الربانية لهم خاصة دون غيرهم عليهم السلام وهذا بَيِّنٌ في النصوص الشرعية مثلاً نقرأ في الزيارة الجامعة (**خَلَقَكُمُ اللهُ اَنْواراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقينَ**)[1].

والزهراء عليها السلام هي المحور لآل البيت عليهم السلام في تلك العوالم وللتعرف على العالم النوري وكيفية نشأة الزهراء عليها السلام رجعنا لعدل القرآن لإيضاح هذا الموضوع وعلى طريقتنا المعتادة في السؤال والجواب... إذن فلنتوكل على الله سبحانه... ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨١].

سؤال: هل ثمة روايات تُثبتُ الخلقة النورية للزهراء عليها السلام؟

الجواب: الروايات متواترة في المعنى لإثبات ذلك ومنها:

(١) مفاتيح الجنان: العلامة المحدث الشيخ عباس القمي: الزيارة الجامعة.

- عن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم، حين لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا ظلمة ولا نور، ولا شمس ولا قمر، ولا جنة ولا نار، فقال العباس: فكيف بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: يا عم: لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً، ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً، ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين، فكنّا نسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس، فلما أراد الله تعالى أن يُنشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي عليّ فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور علي، ونور علي من نور الله، وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض.

ثم فتق نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر. ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين، فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله، وولدي الحسين أفضل من الجنة والحور العين(١).

- عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه، التفت آدمُ يمنة العرش فإذا في النور خمسة

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٥ / ص ١٠.

أشباح سُجداً وركعاً، قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا، يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار، ولا العرش، ولا الكرسيّ، ولا السماء، ولا الأرض، ولا الملائكة، ولا الإنس، ولا الجنّ.

فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزتي أنه لا يأتيني أحد بمثقال ذرة من خردل من بغض أحدهم إلا أدخلته ناري ولا أبالي.

يا آدم، هؤلاء صفوتي من خلقي، بهم أنجيهم وبهم أهلكهم، فإذا كان لك إليَّ حاجة فبهؤلاء توسل. فقال النبي: نحن سفينة النجاة، من تعلق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت(١).

إبراهيم الخليل عليه السلام يرى نور فاطمة عليها السلام

- وروي من طريق الفريقين كثير في الأحاديث القدسية في إراءة ملكوت السماوات لإبراهيم الخليل عليه السلام، ومشاهدة الأنوار الخمسة الطيبة، وتجلّي نور فاطمة الزهراء عليها السلام في نظر الخليل

(١) إحقاق الحق: ج ٩ ص ٢٠٣ ح ٢٦، ص ٢٥٤ ح ٥٤ عن فرائد السمطين، وص ٢٠٤ ح ٢٦ عن أرجح المطالب. نقلاً عن الموسوعة الكبرى للزهراء عليها السلام - ج ١ / ص٢٥٤.

ففي بعضها: لما خلق الله إبراهيم الخليل كشف الله عن بصره، فنظر إلى جانب العرش فرأى نوراً ساطعاً فقال: إلهي وسيدي! ما هذا النور؟ قال: يا إبراهيم! هذا محمد صفيي.

فقال: إلهي وسيدي! أرى في جانبه نوراً آخر؟ فقال: يا إبراهيم! هذا علي ناصري.

فقال: يا إلهي وسيدي! أرى في جانبيهما نوراً ثالثاً؟ فقال: يا إبراهيم! هذه فاطمة تلي أباها وبعلها، فطمت محبيها عن النار. قال: إلهي وسيدي! أرى نورين بميامن الأنوار الثلاثة. قال الله تعالى: هذان الحسن والحسين يليان أباهما وجدّهما وأمّهما.

قال: إلهي وسيّدي! أرى تسعة أنوار أحدقوا بالخمسة الأنوار.

قال: يا إبراهيم! هؤلاء الأئمة من ولدهم... (١)

سؤال المشركين للنبي «صلى الله عليه وآله» عن المعجزة وتجلّي النور الفاطمي

سأل مشركو مكة وأبو جهل من النبي معاجز نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وقالوا: «فإن كنت نبياً فأتنا بآية كما تذكر عن الأنبياء قبلك مثال نوح الذي جاء بالغرق ونجا في سفينته مع المؤمنين، وإبراهيم الذي ذكرت أن النار جُعلت عليه برداً وسلاماً، وموسى الذي زعمت أن الجبل رُفع فوقَ رؤوس أصحابه حتى انقادوا لما دعاهم إليه صاغرين

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٦ / ص٢١٣.

داخرين، وعيسى الذي كان يُنبئهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم» فقسمهم النبي «صلى الله عليه وآله» أربع فرق، وقال للفريق الرابع ورئيسهم أبو جهل : وأنت يا أبا جهل فأثبت عندي. . . وقال للفريق الثاني المقترحين لآية إبراهيم عليه السلام : امضوا إلى حيث تريدون من ظاهر مكة، فسترون آية إبراهيم عليه السلام في النار، فإذا غشيكم البلاء فسترون في الهواء امرأة قد أرسلت طرف خمارها، فتعلّقوا به لتنجيكم من الهلكة وترد عنكم النار. . . فجاءت الفرقة الثانية يبكون ويقولون : نشهد أنَّك رسولُ ربِّ العالمين وسيد الخلق أجمعين، مضينا إلى صحراء ملساء ونحن نتذاكر بيننا قولك، فنظرنا السماء قد تشققت بجمر النيران تتناثر عنها، ورأينا الأرض قد تصدعت ولهب النيران يخرج منها، فما زالت كذلك حتى طبقت الأرض وملأتها ومسنا شدّة حرها حتى سمعنا لجلودنا نشيشاً من شدة حرها، وأيقنا بالاشتواء والاحتراق بتلك النيران، فبينما نحن كذلك إذ رُفع لنا في الهواء شخص امرأة قد أرخت خمارها فتدلى طرفه إلينا بحيث تناله أيدينا وإذا مناد من السماء ينادينا : إن أردتم النجاة فتمسكوا ببعض أهداب هذا الخمار، فتعلق كل واحد منا بهدبة من أهداب ذلك الخمار، فرفعنا في الهواء ونحن نشق جمر النيران ولهبها لا يمسُّنا شررها، ولا يؤذينا حرُّها ولا نثقل على الهدبة التي تعلّقنا بها، ولا تنقطع الأهداب في أيدينا على دقتها، فما زالت كذلك حتى جازت بنا تلك النيران، ثم وضع كل واحد منا في صحن داره سالماً معافىً، ثم خرجنا فالتقينا فجئناك عالمين بأنه لا محيص عن دينك ولا معدل عنك، وأنت أفضل من نلجأ إليه. . . بعد الله، صادق في أقوالك، حكيم في أفعالك.

كل ذلك كان يسمعه أبو جهل فلا يزداد إلا حسداً وعناداً.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهذه الفرقة الثانية لما آمنوا: يا عباد الله إن الله أغاثكم بتلك المرأة أتدرون من هي؟ قالوا: لا.

قال: تلك تكون ابنتي فاطمة وهي سيدة النساء، إن الله تعالى إذا بعث الخلائق من الأوّلين والآخرين نادى منادي ربنا من تحت عرشه: يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد «صلى الله عليه وآله» سيدة نساء العالمين على الصراط، فتغضّ الخلائق كلُّهم أبصارهم، فتجوز فاطمة على الصراط، لا يبقى أحد في القيامة إلا غضَّ بصره عنها إلا محمد وعلي والحسن والحسين والطاهرون من أولادهم فإنهم محارمها، فإذا دخلت الجنة وطرف في عرصات القيامة، فينادي منادي ربنا: يا أيها المحبون لفاطمة، تعلقوا بأهداب مرط فاطمة سيدة نساء العالمين، فلا يبقى محب لفاطمة إلا تعلق بهدبة من أهداب مرطها، حتى يتعلق بها أكثر من ألف فئام وألف فئام. قالوا: وكم فئام واحد يا رسول الله؟ قال: ألف ألف وينجون بها من النار[١].

ظلمة الملائكة وانكشافها ببركة نور الزهراء عليها السلام

● ففي الرواية... عن النبي «صلى الله عليه وآله» إن الله تعالى خلقني وعلياً والحسن والحسين من نور عظمته قبل الخلق بألفي عام حين لا تسبيح ولا تقديس. فلما أراد الله أن ينشئ الصنعة فتق نوري

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٧ / ص٢٤١.

فخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجلّ وأفضل من السماوات والأرض، وفتق نور عليٍّ فخلق منه العرش والكرسي، وعلي والله أجلّ وأفضل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أجلّ من اللوح والقلم.

وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحور العين، والحسين والله أجلّ وأفضل منهما.

فأظلمت المشارق والمغارب، فشكت الملائكة إلى الله عز وجل الظلمة وقالت: «اللهم بحق هؤلاء الأشباح الذين خلقت إلا ما فرجت عنّا من هذه الظلمة»، فخلق الله عز وجل روحا وقرنها بأخرى، فخلق منها نوراً ثم أضاف النور إلى الروح فخلق منهما الزهراء فاطمة، فأقامها أمام العرش. فمن ذلك سميت «الزهراء»، فأضاء منها المشرق والمغرب[(١)].

فلسفة إيجاد الظلمة

سؤال: فما هي علّة إيجاد الظلمة؟ ولماذا فزع الملائكة من مشاهدتها؟ وما هي الغشاوة التي اعترتهم منها؟

الجواب[(٢)]: ذكروا في علة ذلك وجهين:

الوجه الأول: أنَّ الجلوة الزهرائية حصلت في السماوات العلوية

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ١، ص: ٢٢٣.
(٢) الخصائص الفاطمية: الشيخ محمد باقر الكجوري: ج ١: ص٣٣٣.

ليعرفها سكان الأفلاك، ويعرفوا حقيقة معدن العصمة والطهارة، ويعلم الملائكة مفزعهم في المهالك الموحشة والمخاوف المفزعة، فيتمسكوا بأذيالها ويتشبثوا بها، ويعلموا أن فاطمة وسيلتهم في رفع الحاجات والقوة على الطاعات وقبول العبادات.

إن السماوات معلولة لوجود فاطمة، وتلك المساكن الرفيعة مخلوقة من نورها، فلا بد للمستورة الكبرى أن تُعرف نفسها لهم وتُظهر نفسها لأنظار سكان السماوات بنورانيتها.

الوجه الثاني: أن هذا التجلي الخاص خاص بشيعة فاطمة عليها السلام، ليعرف الشيعة أن نجاتهم في الدنيا والآخرة من كل ورطة، وخلاصهم من كل بلاء وشديدة، وهدايتهم في كل تيه وظلمة بمحبتها، فالطريق منحصر، والدليل موصل، وشفاعة المحبوبة فاطمة الزهراء عليها السلام مقبولة بلا شك... وهذه الإفاضات تنزل علينا من العالم الأعلى، بواسطة الملائكة فنفوز بهذه الهداية وهذا الرشاد والسداد.

عرض ولايتها عليها السلام على الأشياء في عالم الأنوار

في حديث الإسراء: يا محمد! إني خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الظالمين.

يا محمد! لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع، أو يصير كالشِّنِّ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يُقر بولايتكم.

يا محمد: أتُحب أن تراهم؟ قلت: نعم، يا رب! قال: التفت، فالتفت عن يمين العرش، فإذا أنا باسمي وباسم علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي والحسن، والمهدي في وسطهم كأنه كوكب دري، فقال: يا محمد! هؤلاء حجّتي على خلقي، وهذا القائم من ولدك بالسيف من أعدائك(١).

فلسفة إعراض القرآن الكريم عن التصريح باسم الزهراء عليها السلام وتصريحه باسم مريم عليها السلام.

سؤال: إذا كانت الزهراء عليها السلام بهذا المقام فلماذا أعرض القرآن الكريم عن التصريح بأسمها واكتفى بالوصف والإشارة، بينما صرح باسم السيدة مريم عليها السلام في عشرين موضعاً بصيغة الخطاب وبغيرها من قبيل:

- قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريَم: ١٦].
- وقوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٤٣].

ونظائرها من الآيات الكريمة؟!

الجواب: أن الملوك والسلاطين لا يدعون الحرائر والعقائل من ذوات البيوتات بأسمائهنّ في الملأ العام والمحافل، وإنما يدعونهنَّ بالألقاب والكنى إعظاماً وإكراماً - كما ذكرنا ذلك في الحديث عن سبب الخطاب بالكنية - فينبغي أن يبقى اسم الحرّة المحترمة محجوباً مستوراً

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٦ / ص٢٢٣.

كشخصها، خلافاً للإماء والجواري حيث لا يتضايق السادة من ذكر أسمائهن على رؤوس الأشهاد، ولما كان النصارى يعتقدون بعيسى وأمه مريم أنهما ابن الله وزوجته، وينسبونهما للحق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فقد وصف الله سبحانه عيسى عليه السلام في القرآن الكريم بصفة العبودية، وأجرى ذلك على لسانه حيث قال عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، وكذلك وصف مريم بالعبودية وخاطبها بهذه السمة، ليعلم النصارى أن تلك المستورة العظمى كباقي النساء أمة من إماء الله وابنها عبد من عبيده، ونسبتهما إلى الله ذي المنن نسبة العبودية لا نسبة البنوة ولا الزوجية، وهذا لا يعني أن الله حقَّر مريم في القرآن، بل ذكرها وصرح باسمها وأمرها بالطاعة والعبادة تعظيماً لها.

والغرض من تكرار اسمها والتأكيد عليها بالامتثال والإطاعة لإثبات العبودية والائتمار، ليعلم النصارى أنَّ مريم امتازت في العبادة ولم تتميز في العبودية، وإنما هي من عبيد الله، ولا نسبة بينها وبين الساحة المقدسة لحضرة ملك الملوك ورب الأرباب، خلافاً لما توهمه النصارى.

الموضوع الثاني

أصل النور الفاطمي مقتبس من النور الإلهي

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النُّور: ٣٥]. . .[١].

سؤال: أصل النور الفاطمي من أي نور مقتبس؟

الجواب: نجد البيان الواضح في الحديثين الشريفين:

الأول: . . . روى الشيخ المفيد. . . عن الفضل بن شاذان. . . عن الإمام موسى بن جعفر، قال: «إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد من اختراعه من نور عظمته وجلاله، وهو نور لاهوتيَّته[٢] الذي تبدّى وتجلّى لموسى عليه السلام في طور سيناء، فما استقر له ولا أطاق موسى لرؤيته ولا ثبت له حتى خرّ صعقاً مغشياً عليه، وكان ذلك النور نور محمد «صلى الله عليه وآله»، فلما أراد أن يخلق محمداً «صلى الله عليه وآله» منه، قسم ذلك النور شطرين: فخلق من الشطر الأول محمداً، ومن الشطر

---

(١) ينظر الموضوع الرابع والعشرون: فاطمة عليها السلام مثَل نور الله.

(٢) معنى لاهوتيَّته: هُوَ كل ما يرتبط بالله سبحانه أو الذات الإلهية.

الآخر عليّاً بن أبي طالب، ولم يخلق من ذلك النور غيرهما، خلقهما بيده، ونفخ فيهما بنفسه لنفسه، وصورهما على صورتهما، وجعلهما أمناء له وشهداء على خلقه، وخلفاء على خليقته، وعيناً له عليهم، ولساناً له إليهم، قد استودع فيهما علمه، وعلّمهما البيان، واستطلعهما على غيبه، وبهما فتح بدء الخلائق، وبهما يختم الملك المقادير[١] ثم اقتبس من نور محمدٍ فاطمة عليها السلام ابنته كما اقتبس نور عليٍّ عليه السلام من نوره واقتبس من نور فاطمة وعليٍّ عليهما السلام الحسن والحسين عليهما السلام كاقتباس المصابيح، هم خلقوا من الأنوار وانتقلوا من ظهر إلى ظهر وصلب إلى صلب ومن رحم إلى رحم في الطبقة العليا من غير نجاسة، بل نقلاً بعد نقل لا من ماء مهين ولا نطفة خشرة[٢] كسائر خلقه، بل أنوار انتقلوا من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهَّرات؛ لأنهم صفوة الصفوة، اصطفاهم»[٣].

الثاني: عن سلمان عن النبي «صلى الله عليه وآله» في حديث طويل«. . . خلقني الله من صفوة نوره، ودعاني فأطعت، وخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي فاطمة، فدعاها فأطاعته، وخلق منّي ومن علي وفاطمة الحسن والحسين، فدعاهما فأطاعاه، فسمانا بالخمسة الأسماء من أسمائه: الله المحمود وأنا محمد «صلى الله عليه وآله»، والله العلي وهذا علي، والله الفاطر وهذه فاطمة،

---

(١) فجعل أحدهم بمنزلة النفس والآخر بمنزلة الروح، فلا يقوم أحدهم إلا بالآخر، ظاهرهم بشري وباطنهم لاهوتي، فجعل ظاهرهم بشرياً، ليطيق الناس النظر إلى شمسهم المشرقة وبدرهم الساطع.

(٢) الخشرة بمعنى الردية.

(٣) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ١، ص: ٣٣١.

والله ذو الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثم خلق منّا من صلب الحسين تسعة أئمة، فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماءً مبنية وأرضاً مدحيةً أو هواءً أو ماءً أو ملكاً أو بشراً، وكُنّا بعلمه نوراً نسبحه ونسمع ونطيع. . .(١)

يقول العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي دام عزُّه(٢): فنور النبي ونور الأمير عليهما السلام كان (كانا) واحداً وفي درجة ومقام واحد، ونور الحسنين أدنى منهما، ونور فاطمة منفرداً بين الدرجة الأولى والأخرى، نقطة واحدة بين الخطين، ينتهي إليها الخط العالي وينتمي إليها الداني، قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: ١٩-٢٢].

وبعبارة أخرى: إن فاطمة الزهراء عليها السلام بمنزلة القلب من الأركان الأربعة لعالم الإمكان، والقطب والقلب واحد في مملكة البدن.

وقال العرفاء(٣): أغلب أعضاء البدن زوجية إلا القلب واللسان فهي فرد فرد، واللسان ترجمان القلب، يعني عليك أن تنظر إلى أحدهما وتمكّن الآخر في القلب، وتقرأ أحدهما وتجري الآخر على اللسان.

فإذا كان الأربعة في مقامهم يمثّلون الأركان العظمى في هذا العالم، ففاطمة الزهراء عليها السلام بمثابة القلب والفؤاد والروح لهم، وذاتها المقدَّسة مجهولة بلا عنوان.

---

(١) المصدر، ج ٧، ص: ١٢٨.
(٢) مقتبس من موقع الميزان للدفاع عن الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، موسوعة سيدة النساء.
(٣) الخصائص الفاطمية: الشيخ محمد باقر الكجوري: ج ١: ص٣٢٣.

وبعبارة أخرى: إن اسمها وذاتها وأصلها وفرعها وزوجها وذريتها الطاهرة وشيعتها الباهرة كلهم جاؤوا من عالم النور، واستغرقوا في النور، بل هم نور على نور.

وإذا كان أبوها نور الأنوار، فهي أمُّ الأنوار، وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [التغابن: ٨].

وسواء كان نور فاطمة عليها السلام مخلوقاً بالانفراد، أم من نور النبي «صلى الله عليه وآله» ونور أمير المؤمنين عليه السلام، أم من نور الربِّ، فهو على كل حال من نوع واحد ومن مصدر واحد ومن مبدأ ومنشأ واحد، ولكنه كان يختلف في تجلياته حسب الوقت والزمان والحكمة المعلومة واستعداد القبول في تلك المستورة، أُمِّ الفضائل، فهي بذاتها وحقيقتها تتجلى في الملكوت الأعلى تجليات خاصة، وتتسمى في كل تجلٍّ باسم ولقب خاص، كما ذكرنا ذلك في الكلام عن معنى الزهراء والمنصورة والنورية.

وكان آخر تجلّيات أم الأنوار وعيبة الأسرار في عالم الشهود، حيث تجلت وهي في الكسوة البشرية الحسية.

ومن المعلوم أن العوالم العلوية أفسح وأوسع من العوالم السفلية، ويختلف الاستعداد والقابلية في كل واحد منهما بالنسبة إلى الآخر حسب العلوِّ والدنوِّ، ولذا تكون الجلوة الوجودية والأنوار الحقّة لفاطمة الزهراء هناك أظهر وأجلى.

وأمّا في هذا الفضاء الضيق الدنيوي، فكانت تبدو لسلطان الولاية شمساً مرةً وقمراً مرة وكوكباً درياً مرة أُخرى، وتتجلّى له بأنوار وأطوار

أخرى أحياناً، وتتجلّى للآخرين حسب قابلياتهم ولياقاتهم، وتتجلى لأهل السماء كلَّما وقفت في محراب عبادتها بنحو خاص، وتتجلى لقلوب شيعتها الصافية بنور إيمانها إلى يوم القيامة.

فإذا كان يوم القيامة كشف حقائق الأعيان والأشخاص يوم الحاقة، أمر الله بإظهار أنوارها تامةً، فتتجلى بنورها البهيج فتحيط كل من في المحشر من الأولين والآخرين بل تعم به الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين والأولياء الكاملين والشهداء والصالحين والصدِّيقين من المؤمنين، فتدهش الأبصار وتوله القلوب، حتى يتمنّى كل واحد أن يكون فاطمياً وأن يحسب في الفاطميين، وكأن قبة القيامة فاطمية، وجميع الشرائع والملل منضوية تحت الراية الإسلامية، فلا يبقى ذكر ولا فكر ولا همة إلا انحصر في النظر إلى أنوارها الجمالية وآثارها الجلالية، ولتشبُّث الجميع بالأذيال الفاطمية.

ولذا ينادى في أهل المحشر أن «غُضّوا أبصاركم ونكِّسوا رؤوسكم» وطأطئوا رؤوسكم، فلا أحد يقوى على مشاهدة جلوات أنوارها في عالم الملكوت وعرصات القيامة، وغضوا أبصاركم لأن أهل المحشر لا قابليَّة لهم لمشاهدة الأنوار الزاهرة الباهرة، فغض الأبصار لألّا يفنى الناظرون.

الموضوع الثالث

نطفة الزهراء عليها السلام من ثمار الجنة

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يروي رحلته المعراجية: . . . ثمَّ إني صرت إلى السماء الخامسة ومنها إلى السادسة. . . فلما صرت إلى الحجب أخذ جبرئيل عليه السلام بيدي فأدخلني الجنة. . . ثم تقدّمت أمامي، فإذا أنا برطبٍ ألين من الزبد وأطيب رائحة من المسك وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتُها، فتحولت الرطبة نطفة في صلبي، فلما أن هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية. . .[1].

سؤال: هل نطفة الزهراء عليها السلام من:

١ - قطرة ماء من تحت العرش؟

٢ - أو شربة شربها الرسول «صلى الله عليه وآله» من أعالي الجنان؟

٣ - أو فاكهة تناولها من فاكهة الجنة؟

الجواب: كل هذه التساؤلات وردت في الروايات ومنها:

أولاً: أنه روي بطريق معتبر أن نطفتها الطاهرة خلقت من تفّاح الجنة وهذه الأخبار تنقسم إلى طائفتين:

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٨ / ص٣٥٠.

الطائفة الأولى: الأحاديث التي تفيد أن النبي أكل التفاحة في السماء ومنها:

- . . . عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام فأنكرت ذلك عائشة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا عائشة إني لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها، فأكلته فحول الله ذلك ماء في ظهري، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فما قَبَّلْتُها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها»[1].

- في علل الشرائع عن ابن عباس قال: دخلت عائشة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يقبل فاطمة فقالت له: أتحبها يا رسول الله؟

قال: «أما والله لو علمت حبي لها لازددت لها حباً؛ إنه لما عرج بي إلى السماء الرابعة أذن جبرئيل وأقام ميكائيل ثم قيل لي: أدن يا محمد! فقلت: أتقدم وأنت بحضرتي يا جبرئيل؟ قال: نعم إن الله عز وجل فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلك أنت خاصة، فدنوت فصليت بأهل السماء الرابعة، ثم التفت عن يميني فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام في روضة من رياض الجنة وقد اكتنفها جماعة من الملائكة.

ثم إني صرت إلى السماء الخامسة ومنها إلى السادسة، فنودي: يا

(١) المصدر - ج ٨ / ص١٢٠.

محمد! نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي، فلما صرت إلى الحجب أخذ جبرئيل عليه السلام بيدي فأدخلني الجنة، فإذا أنا بشجرة من نور في أصلها ملكان يطويان الحلل والحلي فقلت: حبيبي جبرئيل لمن هذه الشجرة؟ فقال: هذه لأخيك علي بن أبي طالب عليه السلام وهذان الملكان يطويان له الحلي والحلل إلى يوم القيامة.

ثم تقدمت أمامي، فإذا أنا برطب ألين من الزبد وأطيب رائحة من المسك وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتها، فتحولت الرطبة نطفة في صلبي، فلما أن هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية، فإذا اشتقت إلى الجنة شممت رائحة فاطمة عليها السلام»[(١)].

الطائفة الثانية: الأحاديث التي تفيد أن جبرئيل هبط على النبي وأهدى إليه تفاحة فأكلها النبي «صلى الله عليه وآله» وهو في الأرض ومنها:

- ... عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: خلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن يخلق الأرض والسماء.

فقال بعض الناس: يا نبي الله! فليست هي إنسية؟ فقال: فاطمة حوراء إنسية.

قالوا: يا نبي الله! وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله -عز وجل- من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح، فلما خلق الله عز وجل آدم عرضت على آدم.

(١) المصدر - ج ١٨ / ص٣٥٠.

قيل: يا نبي الله! وأين كانت فاطمة؟ قال: كانت في حقة تحت ساق العرش.

قالوا: يا نبي الله فما كان طعامها؟ قال: التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد، فلما خلق الله عز وجل آدم وأخرجني من صلبه وأحب الله - عز وجل - أن يخرجها من صلبي، جعلها تفاحة في الجنة وأتاني بها جبرائيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد! قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل.

فقال: يا محمد! إن ربك يقرئك السلام.

قلت: منه السلام وإليه يعود السلام.

قال: يا محمد! إن هذه تفاحة أهداها الله عز وجل إليك من الجنة، فأخذتها وضممتها إلى صدري.

قال: يا محمد! يقول الله جل جلاله: كلها، ففلقتها فرأيت نوراً ساطعاً وفزعت منه. فقال: يا محمد! مالك لا تأكل؟ كلها ولا تخف، فإن ذلك النور للمنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة.

قلت: حبيبي جبرئيل ولم سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداؤها عن حبها، وهي في السماء المنصورة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: ٤-٥] يعني نصر فاطمة لمحبيها(١).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ / ص٤.

- . . . قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: معاشر الناس! تدرون لِمَ خلقت فاطمة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: خلقت فاطمة حوراء إنسية لا إنسية.

وقال: خلقت من عرق جبرئيل ومن زغبه(١).

قالوا: يا رسول الله! استشكل ذلك علينا، تقول: حوراء إنسية لا إنسية ثم تقول: من عرق جبرئيل ومن زغبه؟ قال: إذاً أنبئكم: أهدى إلي ربي تفاحة من الجنة أتاني بها جبرئيل عليه السلام، فضمها إلى صدره، فعرق جبرئيل عليه السلام وعرقت التفاحة فصار عرقهما شيئاً واحدا ثم قال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

قلت: وعليك السلام يا جبرئيل.

فقال: إن الله أهدى إليك تفاحة من الجنة، فأخذتها وقبلتها ووضعتها على عيني وضممتها إلى صدري، ثم قيل: يا محمد! كلها.

قيل: يا حبيبي يا جبرئيل! هدية ربي تؤكل؟ قال: نعم قد أمرت بأكلها، فأفلقتها فرأيت منها نوراً ساطعاً ففزعت من ذلك النور، قال: كل، كل، كل، كل فإن ذلك نور المنصورة فاطمة.

قلت: يا جبرئيل! ومن المنصورة؟ قال: جارية تخرج من صلبك، واسمها في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة. . . (٢)

- روي: بينا النبي «صلى الله عليه وآله» جالس بالأبطح ومعه عمار بن

---

(١) قال العلامة المجلسي رحمه الله: الزغب: الشعيرات الصغرى على ريش الفرخ. وكونها من زغب جبرئيل، إما لكون التفاحة فيها وعَرِقَتْ من بينها، أو لأنه التصق بها بعض ذلك الزغب فأكله النبي «صلى الله عليه وآله».

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ / ص١٨.

ياسر والمنذر بن الضحضاح وأبو بكر وعمر وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وحمزة بن عبد المطلب، إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام في صورته العظمى قد نشر أجنحته حتى أخذت من المشرق إلى المغرب، فناداه: يا محمد! العليُّ الأعلى يقرأُ عليك السلام وهو يأمرك أن تعتزل عن خديجة أربعين صباحاً، فشق ذلك على النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان لها محباً وبها وامقاً.

قال: فأقام النبي «صلى الله عليه وآله» أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل، حتى إذا كان في آخر أيامه تلك بعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وقال: قل لها: يا خديجة! لا تظني أن انقطاعي عنك هجرة ولا قلى، ولكن ربي عز وجل أمرني بذلك لينفذ أمره، فلا تظني يا خديجة إلا خيراً فإن الله عز وجل ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مراراً، فإذا جنك الليل فأجيفي الباب وخذي مضجعك من فراشك، فإني في منزل فاطمة بنت أسد، فجعلت خديجة تحزن في كل يوم مراراً لفقد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما كان في كمال الأربعين هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد! العليُّ الأعلى يُقرئك السلام وهو يأمرك أن تتأهب لتحيته وتحفته.

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا جبرئيل! وما تحفة رب العالمين؟ وما تحيته؟ قال: لا علم لي.

قال: فبينا النبي «صلى الله عليه وآله» كذلك، إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس، أو قال: استبرق، فوضعه بين يدي النبي «صلى الله عليه وآله»، وأقبل جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمد! يأمرك ربُّك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام.

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: كان النبي «صلى الله عليه وآله» إذا أراد أن يفطر أمرني أن أفتح الباب لمن يرد إلى الإفطار، فلما كان في تلك الليلة أقعدني النبي «صلى الله عليه وآله» على باب المنزل وقال: يا بن أبي طالب، إنه طعام محرَّمٌ إلا عليَّ.

قال علي عليه السلام: فجلست على الباب وخلا النبي «صلى الله عليه وآله» بالطعام وكشف الطبق، فإذا عذق من رطب وعنقود من عنب، فأكل النبي «صلى الله عليه وآله» منه شبعا، وشرب من الماء ريا، ومد يده للغسل فأفاض الماء عليه جبرئيل وغسل يده ميكائيل وتمندله إسرافيل، وارتفع فاضل الطعام مع الإناء إلى السماء، ثم قام النبي «صلى الله عليه وآله» ليصلي فأقبل عليه جبرئيل وقال: الصلاة محرَّمة عليك في وقتك حتى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها، فإن الله عز وجل آلى على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذريَّة طيبة، فوثب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى منزل خديجة.

قالت خديجة رضوان الله عليها: وكنت قد ألفت الوحدة، فكان إذا جنَّني الليل غطّيتُ رأسي، وأسجفت ستري، وغلقت بابي، وصلَّيت وردي، وأطفأت مصباحي، وأَويتُ إلى فراشي، فلما كان في تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولا بالمنتبهة، إذ جاء النبي «صلى الله عليه وآله» فقرع الباب، فناديت: من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلا محمد «صلى الله عليه وآله»؟ قالت خديجة: فنادى النبي «صلى الله عليه وآله» بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه: إفتحي يا خديجة فإنّي محمد «صلى الله عليه وآله».

قالت خديجة: فقمتُ فرحة مستبشرة بالنبيِّ «صلى الله عليه وآله»

وفتحت الباب ودخل النبي «صلى الله عليه وآله» المنزل، وكان «صلى الله عليه وآله» إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر للصلاة ثم يقوم فيصلي ركعتين يوجز فيهما ثم يأوي إلى فراشه، فلما كان في تلك الليلة لم يدع بالإناء ولم يتأهب للصلاة، غير أنه أخذ بعضدي وأقعدني على فراشه وداعبني ومازحني وكان بيني وبينه ما يكون بين المرأة وبعلها، فلا والذي سمك السماء وأنبع الماء ما تباعد عني النبي «صلى الله عليه وآله» حتى أحسست بثقل فاطمة في بطني[١].

بيان لأهل البيان[٢]:

بيَّن «صلى الله عليه وآله» أن النطفة الطاهرة للمخدرة الكبرى خلقت من تفاح الجنة، ومن تفاحها المتعرق الممزوج بعرق جبرئيل وزغبه، ومن رطب الجنة، ومن ثمار الجنة، ومن ثمار شجرة طوبى، ومن الرطب والعنب والماء الذي جيء به من الجنة، ولا تعارض بين هذه الأخبار، حيث أن السيدة فاطمة عليها السلام ولدت بعد المعراج بثلاث سنين، ولا يبعد أن يكون النبي قد تناول التفاح والرطب وثماراً أخرى ليلة المعراج، ولما عاد إلى الأرض أكرم بتحفة الرب إكراماً وإعظاماً وتلبية لرغبة النبي «صلى الله عليه وآله» في تناول ثمار الجنة، فأُهدِيَ له منها بعد المعراج أيضاً.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٦ / ص٧٨.
(٢) الخصائص الفاطمية: العلامة محمد باقر الكجوري: ج١: ٣٤٦.

وقفة تأمل... عند حديث الاعتزال

أولاً: تجلي جبرئيل بصورته الأصلية(١)... وفي هذا دليل على عظمة مهمته وجلالة الأمر الذي جاء به، وهو انعقاد النطفة الطاهرة لفاطمة المطهرة.

ثانياً: التعبد بصيام وقيام أربعين يوماً وليلةً، واعتزال الخلق، وهجران فراش خديجة من أجل تشديد الشوق والميل الطبيعي للسيدة خديجة والنبي «صلى الله عليه وآله» لأن من لوازم مقتضيات الطبيعة البشرية أن يكون البعد والاعتزال مقوِّياً لانعقاد النطفة الزكية.

ثالثاً: إن هذا النوع من الرياضة والاعتزال كرامة وتكريم للحامل والمحمول، وإبراز لانتظار الوصول للمأمول.

رابعاً: نزول الملائكة المقربين الثلاثة خصوصاً إسرافيل، حيث لم ينزل قط سوى تلك المرة مصحوباً بالتشريفات الخاصة من السندس والإبريق والمنديل وعنقود العنب والتمر والماء في طبق من الجنة، كل ذلك (كان) كرامة للنبي «صلى الله عليه وآله» وإكراماً لفاطمة حيث أنزلت تلك العطايا والهدايا يحملها كبار سكان الملأ الأعلى وهم يفتخرون ويتباهون بإبلاغ البشارة العظمى.

خامساً: ترك الصلاة(٢) تلك الليلة والتعجيل بالمضاجعة إشارة إلى

---

(١) وقد تجلى للنبي في موضعين آخرين: أحدهما في غار حراء يوم المبعث، على ما روي، والآخر ليلة المعراج بمفاد قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النجم: ١٣-١٤].

(٢) أي: البرنامج العبادي الذي وضع للنبي خلال فترة الاربعين يوماً.

أهمية الأمر وفوريته، فأمر بالتعجيل لألّا يقع قصور أو خلل في إنجاح المهمة وإنجاز المرام، أو يقع التعلل والمسامحة في أمر الله، وكأن التعجيل بهذا العمل من أجل تنجيز الأمر الإلهي.

سادساً: إن تعدُّد ثمار الجنة من تفاح، ورطب، وعنب وغيرها، إشارة للآثار الخاصة التي أودعها الله في كل واحدة منها، فأكل كل ثمرة يؤثر أثراً خاصاً في الملكات الكريمة في النطفة الإنسانية المودعة، وإن كانت ثمار الجنة تحتوي على جميع اللذات والنعم في آن واحد، ويمكن أن تنال ما تشاء في الثمرة الواحدية، يعني: أنك تجد في التفاح حلاوة الرُّطَب(١).

سابعاً: إحساس خديجة عليها السلام بالحمل فوراً خلافاً للمعتاد بين النساء، وفي ذلك خصيصة عظمى، تدل على حياة تلك النطفة المباركة في البداية والنهاية؛ لأنها نطفة قادمة من دار الحيوان. وفي الحديث أنها كانت كالإمام تسمع وترى بعد يوم واحد من انعقاد نطفتها في رحم الأم خديجة عليها السلام.

(١) ويمكن أن يقال بأنَّ التفاح والعنب والرمان والرطب من الجنة هو نفس نور فاطمة الزهراء، ولكنه تلبّس بهذا اللباس في عالم المُلكِ، كما في الخبر المعتبر في البحار، وهذا يعني أنه «صلى الله عليه وآله» تناول النور الفاطميَّ مجسماً، فصار مظهراً للنور على النور، وهو الذي مدخله نور ومخرجه نور وطعامه نور، وكلامه نور، وهو على نور من ربه، ولذا قال «صلى الله عليه وآله»: إن هذا الطعام حرام على غيري، وشاهد النور في بطن خديجة بعد المواقعة مباشرة، وعلى ما هو المعلوم فإن ما ينزل من عالم الملكوت إلى عالم الملك يلبس لباساً آخراً يناسب عالم الملك لضيقه وصغره وعدم استعداده، وإثبات هذا الأمر واضح بَيِّن.

فلسفة أكل الرسول «صلى الله عليه وآله»
التفاحة الملامسة لعرق زغب جبرئيل[١]

جبرئيل خير أهل الملكوت وخلاصتهم وعصارتهم وعرق كل شيء أصفى منه وكأنه عصارة ذلك الشيء وخلاصته وجوهره.

وجبرئيل الأمين عليه السلام جسمه اللطيف غير الأجسام الترابية الظلمانية وهو رشحة من رشحات الذات المقدسة النبوية غير أنه كان إذا توجه إلى هذا العالم لبس كسوة تناسب هذا العالم، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يراه بهذه الكسوة، فإذا أبلغ الوحي ورجع إلى مقره الأصلي خلع عنه تلك الكسوة وعاد إلى ما كان عليه.

وفي الحديث إشارة إلى أن فاطمة عليها السلام خُلقت من خلاصة دار الله وعصارة دار الحيوان حيث أفيضت عليها الحياة الأبدية التي لا ممات فيها ولا فناء، بل هي حياة خالدة سرمدية[٢].

سؤال: من أين كان عرق جبرئيل؟ هل كان من بدنه الأصلي أم من بدنه المستعار؟

الجواب:

- من المعلوم أن التعرق من لوازم هذا العالم وهذا البدن العنصري فلا يبعد أن يقال: إنَّ عرق جبرئيل كان من بدنه الملكي مع بقاء كون بدنه غير الأبدان العنصرية الظلمانية.

---

(١) الخصائص الفاطمية: العلامة محمد باقر الكجوري: ج١: ٣٤٧.

(٢) وقد ذكرت كتب الأخبار حديث وداعها للحسنين حينما ألقيا بنفسيهما على بدنها، فمدّت باعها وأخرجت يديها من الكفن واحتضنتهما.

وإن قيل: إن عرقه كان من بدنه الأصلي فقد يقال: إنَّ ذاك البدن لا يعرق، وكلُّ عاقل يعلم أن إدراك حقيقة جبرئيل لا تسعها عقولنا فكيف نتصور عرقه؟! وكذلك القول في زغبه وجناحه حيث أن عالم البدن الأصلي لجبرائيل لا زغب فيه ولا جناح.

ومن هنا يعلم أن نور فاطمة كان في صورة تفاحة الجنة حقيقة وإنما تصورت بهذه الصورة لتناسب مذاق روح العالمين وتكون مادة لتلك النطفة الزكية.

زغب جبرئيل

وإن كان مادياً: فهو كأنه تعويذ وحرز لحفظ روح قدوة آل الخليل عليه السلام (١).

- فهو خصيصة من خصائص فاطمة عليها السلام، حيث امتزجت صورتها الحسية وقالبها الملكي - أي تفاحة الجنة - بذاك العرق والزغب.
- أضف إلى ذلك أن عرق جبرئيل كان قوة لذاك الروح المجسم والجسم المجرد للإقبال على الطاعات والاشتغال بالعبادات عوناً على القيام بوظائف العبودية.

وإن كان من جسده الأصلي: فلا يسعنا إلا أن نقول: إنها الإفاضات والبركات الخاصة.

(١) ورد نظيره في البصائر والبحار من تعويذ فاطمة عليها السلام الحسن والحسين عليهما السلام بزغب جبرئيل حيث جمعته وشدته بساعديهما، وأيضا عن الصادق عليه السلام أنه: كان يجمع بيده المبارك من حجرته الشريفة ما يتناثر فيها من زغب الملائكة.

فالنتيجة: أنَّ المراد من زغبه وعرقه الألطاف الخاصة والأفضال المختصة التي كان يفيضها مفيض الخير والجود على النبي «صلى الله عليه وآله» الجليل بواسطة جبرئيل عليه السلام.

وبعبارة أخرى يُقال: إنَّ قسماً من أقسام نور وجود جبرئيل عليه السلام أُلحق - حينئذ - بأمر الملك العلام بتلك النطفة الزكية، فأشرق فيها وصار جزءاً متمما ومكمِّلا لها في هذا العالم العنصري، وعبَّر عن ذلك بالزغب والعرق لضيق عالم الملك والشهود عن استيعاب جزيئات الملكوت الأعلى.

وأهل الحق إذا أرادوا التعبير بتعبير واضح يستسيغه سمع هذا البدن، عبروا عنه بالعرق، وإذا أرادوا إسماع الروح، عبّروا عنه بالفيض واللطف أو البركة والرحمة، لأن الأولياء الكاملين يعربون عن معلوماتهم على حسب الإدراكات المختلفة للسامعين كما ورد في الحديث «قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلِّم الناس على قدر عقولهم»(١).

وليس في رجال الأبرار ولا نساء العالمين الأطهار من فاز بمثل هذا الفخر والمنزلة وليس من النطف الزكية للأنبياء والأولياء نطفةٌ واحدةٌ كان جبرئيل وسيطاً في إقرارها في مستقرِّها. وهذا دليل على حرمتها وشرفها الذاتي وهو إكرام وإعظام لسيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

سؤال: لماذا جبرئيل عليه السلام توسط في نطفة الزهراء عليها السلام؟

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١ / ص٨٥.

الجواب:

عالم الخلق مادي وتدريجيّ الوجود وثمراته تدريجيّة الحصول، وقد اقتضت الحكمة الإلهية البالغة في الإنماء والإنشاء منذ يوم الأزل أن يكون لكُلِّ موجود أسباب ووسائط مقدرة تترتب عليها مسبَّبات منتظمة إلى يوم القيامة، وجميع الأصول والكليّات التي يدور عليها هذا العالم تدور مدار الخلق والرزق والإماتة والإحياء بمفاد قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠].

ولهذا جُعل الروح الأمين واسطة في أمر الخلق لإفاضة الحياة في خلق الإيجاد، فصار دخيلاً في حياة كُلِّ ذي حياة، كما صار عزرائيل دخيلاً في قبض روح كُلِّ ذي روح، وميكائيل دخيلاً في رزق كل مرزوق، وإسرافيل في إحياء كُلِّ النفوس في الوقت المعلوم بالنهج المعلوم.

وبناءً على هذا فإن الروح الأمين هو السبب الأقوى في إفاضة الروح ومنح الحياة لكل الكائنات وكان عليه - حسب التكليف -أن يفيض في هذا الموقع الشريف والمورد المنيف إفاضةً خاصةً ويوصل مدداً خاصاً في حياة تلك النطفة الطيبة؛ لذا أفاض عرقه على تلك التحفة السنية والتفاحة العلية. ولما كانت هذه الموهبة الكبرى أمراً عظيماً وقضاءً مقدراً وحكماً مبرماً، ترتَّب على عقد هذا الجوهر الثمين نتائج عظمى وآثار جسام.

ولهذا أُرسل جبرئيل الأمينُ إعظاماً في بدو انعقاد نطفتها الشريفة إلى الأبطح، فبدا في صورته الأصلية مع جمع من الملائكة العظام للتبشير بوجودها، وهناك أيضاً مزجوا نطفتها بالجوهر الصافي لخلاصة

سكان الملكوت الأعلى لتبلغ آثار إفاضات منبع الفيض والحياة كُلِّ البريات[١].

فعرق جبرئيل أفاض الحياة الخالدة على تلك النطفة الطيبة، وعلامة تلك الفيوضات والألطاف الربانية الخاصة التي أودعت فيها قبل التوديع وجبلت في سجيتها الزكية أنها تكلّمَت في رحم أمها قبل الولادة خلافاً للعادة وأنها أقرت بالشهادتين وذكرت أسماء أبنائها المعصومين جميعاً.

(١) قيل: إن الخضر النبي عليه السلام كان إذا جلس في مكان اخضَرَّ ذاك المكان واعشوشب لأنه شرب جُرعةً من ماء الحياة، وكان موكب جبرئيل القادم من دار الحيوان إذا أصاب تراب قدمه الجماد الصامت نطق، كما صار لعجل السامريّ خوار، إذ أن جميع الجسمانيّات تتأثر بالروح الأمين وتظهر عليها علامات الحياة.

الموضوع الرابع

خصائص حملها وولادتها عليها السلام

عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كان ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال: نعم؛ إن خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» هجرتها نسوة مكة، فكن لا يدخلن عليها ولا يسلِّمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك، وكان جزعها وغمُّها حذراً عليه «صلى الله عليه وآله».

فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة عليها السلام تحدِّثها من بطنها وتُصَبِّرُها، وكانت تكتم ذلك مِن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجة تحدِّث فاطمة عليها السلام، فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدِّثُني ويؤنسني، قال: يا خديجة هذا جبرئيل يبشرني يخبرني أنها أنثى، وأنَّها النسلة الطاهرة الميمونة، وأن الله تبارك وتعالى، سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاءهُ في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين منّي ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوّجت محمداً «صلى الله عليه وآله» يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجيءُ ولا

نلي من أمرك شيئاً، فاغتمت خديجة عليها السلام لذلك، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوةٍ سمر طوال كأنهنَّ من نساء بني هاشم، ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة فإنا رسل ربك إليك ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرةً مطهَّرة.

فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور، ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهن معها طست من الجنة وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدَّ بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أبي رسول الله سيد الأنبياء، وأن بعلي سيد الأوصياء وولدي سادة الأسباط، ثم سلمت عليهن وسمَّت كُلَّ واحدة منهن باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشَّرَ أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرةً ميمونةً، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرةً وألقمتها ثديها فدرّ عليها. فكانت فاطمة عليها السلام تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في

الشهر، وتنمو في الشهر كما ينمو الصبي في السنة[١].

يقول الشيخ محمد باقر الكجوري «قُدِّست نفسه» للحديث بشائر هي[٢]:

١ - تكلُّم الزهراء عليها السلام في رحم أمِّها في أيام الحمل عدة مرّات.

٢ - حضور جبرئيل وتبشير النبيَّ بأنها أنثى، وأن نسل النبي «صلى الله عليه وآله» سيكون منها.

٣ - مجيء النساء الأربع المحترمات وتبشير خديجة بأنَّهُنَّ رسل الله.

٤ - إشراق الأنوار الفاطمية في بيوت مكَّة وشرق العالم وغربه.

٥ - مجيء الحوريات العشر مع الطست والإبريق وماء الكوثر والخرقتين البيضاوين.

٦ - نطق المخدَّرة الكبرى بالشهادتين وذكر أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام، واستبشارها بذكر كل واحد منهم.

٧ - ظهور ذلك النور البديع في السماوات.

٨ - تبشير الملائكة بعضهم بعضاً بولادتها عليها السلام.

٩ - الإخبار عن طهارة الذات ويمن القدوم.

١٠ - نمو فاطمة عليها السلام بالصفة المذكورة، لا كبقية الصبيان.

١١ - في الحديث دلالة على أفضلية فاطمة عليها السلام على النساء الأربع سيدات نساء العالمين، لأنهنَّ أُمرن بخدمتها، والمخدوم أفضل من الخادم.

---

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها: العلامة إسماعيل الانصاري الزنجاني، ج ١، ص: ١٣٤.

(٢) الخصائص الفاطمية: ج١: ٤٠٨.

الموضوع الخامس

حديثها عليها السلام في بطن أمها، ودخول أربع نسوة حين ولادتها وما نطقت به

. . . عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كان ولادة فاطمة؟ فقال: نعم إن خديجة لما تزوج بها رسول الله هجرتها نسوة مكة فكنَّ لا يدخلن عليها ولا يسلِّمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمها حذراً عليه «صلى الله عليه وآله» فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة تحدِّثها من بطنها وتصبرها وكانت تكتم ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله» فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجة تُحدِّث فاطمة عليها السلام فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يُحدِّثني ويؤنسني، قال: يا خديجة هذا جبرئيل [يبشرني] يخبرني أنَّها أنثى وأنَّها النسلة الطاهرة الميمونة وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمَّة ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء فأرسلن إليها: أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوّجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له فلسنا نجئ ولا نلي من أمرك شيئاً فاغتمت خديجة لذلك فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوةٍ سمرٍ طوالٍ كأنهنَّ من

نساء بني هاشم ففزعت منهنَّ لما رأتهن فقالت إحداهنَّ: لا تحزني يا خديجة فإنا رسل ربِّكِ إليك ونحن أخواتك. أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثم أخت موسى بن عمران بعثنا الله إليك لنلي منكِ ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرةً مطهَّرة.

فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهنَّ معها طست من الجنة وإبريق من الجنة وفي الإبريق ماء من الكوثر فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدَّ بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية ثم استنطقتها فنطقت فاطمة بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ أبي رسول الله سيد الأنبياء وأنَّ بعلي سيد الأوصياء وولدي سادة الأسباط ثم سلمت عليهن وسمَّت كل واحدة منهنَّ باسمها وأقبلن يضحكن إليها وتباشرت الحور العين وبشَّرَ أهل السماء بعضُهم بعضاً بولادة فاطمة عليها السلام وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهَّرة زكيَّة ميمونة، بورك فيها وفي نسلها.

فتناولتها فرحة مستبشرة وألقمتها ثديها فدرَّ عليها فكانت فاطمة تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر وتنمو في الشهر كما ينمو الصبي في السنة[١].

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ / ص٢.

الموضوع السادس

عظمة وفلسفة اسم فاطمة الزهراء عليها السلام

عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة والصِّديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية والمحدثة والزهراء(١).

السؤال الأول: لماذا التسمية بأسماء مباركة وجميلة؟

الجواب(٢): من الأمور المهمة التي أخذت جانباً وحيّزاً واضحاً في الشريعة الإسلامية وأكد عليها الرسول الاعظم محمد «صلى الله عليه وآله» والأئمة: من خلال أحاديثهم المباركة مسألة تسمية المولود باسم مبارك يدلّ على معنى لائق وجميل وحسب ما ترتضيه النفس المؤمنة ويميل إليه الوجدان الانساني، ذلك لأنّ الاسم الذي يمنحه الأب أو الأم للمولود يكون ذا أثر كبير ومهمّ في النفس الإنسانية حيث اثبتت البحوث العلمية المتأخرة التي قام بها علماء النفس والاجتماع أن للاسم أثراً بالغاً على منشأ تصرفات وسلوك الأفراد الذين يحملون ذلك الاسم، وإن كانت هذه المسألة تتفاوت في مدى تأثيرها على السلوك

(١) امالي الصدوق: ٤٧٤، ح ١٨، علل الشرائع: ١/١٧٨، الخصال: ٤١٤، ح ٣، روضة الواعظين: ١٧٩.

(٢) ينظر: الاسرار الفاطمية - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ٣٨١.

الفردي للإنسان من فرد إلى آخر، إلا أنَّه في النتيجة النهائية يترك بعض الآثار المعينة واضحة البرهان لذلك المعنى الذي يحمله الإسم، على أن هذه الأمور الواضحة تدرك بأدنى تأمل لدى الإنسان الواعي الفطن الذي يدرك الكثير من الحقائق المعنوية قبل أن تطرق ذهنه وسمعه.

ومن هذا المنطلق نرى أن الرسول وأهل بيته عليهم السلام قد أكدوا ومن خلال الكثير من الروايات على ضرورة تسمية المولود بخير الاسماء وأفضلها وذلك لما يتركه الاسم من البصمات الواضحة والآثار الجميلة على طبيعة تصرف الفرد وعلى ضوء ذلك المعنى الذي يحمله الإسم، ولذلك جاءت الأحاديث لتؤكد على هذه المسألة وفلسفتها الرائعة لها، حيث ورد الإستحباب المؤكّد على ضرورة تسمية المولود بأحسن الأسماء حيث روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يولد لنا ولد إلا سميناه محمّداً فإذا مضى لنا سبعة أيام فإن شئنا غيَّرنا وإن شئنا تركنا»(١).

وقد أكَّد الرسول «صلى الله عليه وآله» على هذه التسمية بقوله: «من ولد له أربعة أولاد ولم يسمّ أحدهم باسمي فقد جفاني»(٢).

وجاء التأكيد على هذه الأسماء من خلال عدة روايات أثبتت هذه المسألة المهمّة، كل ذلك لأجل تحصين الطفل من السخرية والإستهزاء من قبل الآخرين في حالة تسميته بأسماء ورد فيها الكراهة مثل: الحكم، خالد، مالك، حارث، ولئلا تكون سبباً للشعور بالنقص كما هو الحال في الأسماء المستهجنة.

---

(١) الكافي: ٢: ١٨، باب الأسماء والكنى.
(٢) الكافي: ٦: ١٩، باب الأسماء والكنى.

السؤال الثاني: مَن الذي وضع الأسماء لبضعة النبي عليه و«عليها السلام»؟

الجواب[(١)]: هناك العديد من الروايات التي تبين ان الواضع لأسمائها عليها السلام هو الله سبحانه وتعالى ومنها:

١ - . . . عن محمد بن عيسى قال: حدثنا محمد بن زياد مولى بني هاشم قال: حدثنا شيخ لنا ثقة يقال له نجية بن إسحاق الفزاري قال: حدثنا عبد الله بن الحسن بن الحسن قال. . . فلما ولدت فاطمة سمّاها الله تبارك وتعالى فاطمة. . . [(٢)]

٢ - عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضيّة والمحدّثة والزهراء[(٣)].

٣ - . . . قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا بكر بن عبدالله بن حبيب، قال: حدثنا أبو محمد تميم بن بهلول، عن أبيه، عن عبدالله بن الفضل الهاشمي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم جالساً وعنده عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: والذي بعثني بالحق بشيراً، ما على وجه الارض خلق أحب إلى

(١) ينظر: الاسرار الفاطمية - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ٣٨١.
(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق - ج ١/ العلة التى من أجلها سميت فاطمة عليها السلام فاطمة ح١.
(٣) أمالي الصدوق: ٤٧٤، ح ١٨، علل الشرائع: ١/ ١٧٨، الخصال: ٤١٤، ح ٣، روضة الواعظين: ١٧٩.

الله عز وجل ولا أكرم عليه منا، إن الله تبارك وتعالى شق لي اسماً من أسمائه، فهو محمود وأنا محمد، وشق لك يا علي اسماً من أسمائه، فهو العليُّ الأعلى وأنت علي، وشق لك يا حسن اسماً من أسمائه، فهو المحسن وأنت حسن وشق لك يا حسين اسماً من أسمائه فهو ذو الإحسان وأنت حسين، وشق لك يافاطمة اسماً من أسمائه فهو الفاطر وأنت فاطمة[1].

٤ - روي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه حيث قال: حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أن قال: «قال الله: يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقي وبرياتي: هذا محمد وأنا الحميد المحمود في فعالي شققت له اسماً من اسمي وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له اسماً من اسمي وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عمّا يعرهم ويشينهم شققت لها اسماً من اسمي. . . ».

فائدتان[2]:

الأولى: وهذا يعني [من خلال الحديث الرابع][3] أن فيض وجودها ونورها من فيض نور الله تبارك وتعالى ونسبتها إلى الله تعالى من حيث وجودها ومبدأ نورها وصفاتها «سلام الله عليها» وبأبسط تأمل لهذا الحديث يظهر أنه سبحانه وتعالى يريد بالاسم ما هو أعم من اللفظ ولو أراد خصوص اللفظ فقط (يعني: اسم فاطمة) لما قال تعالى: وهذه

---

(١) معاني الاخبار ج ١ - باب معاني اسماء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين.
(٢) ينظر: الأسرار الفاطمية - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ٣٨١.
(٣) ما بين القوسين من الكاتب.

فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض. ولو أراد خصوص المعنى لما علَّقه بالألفاظ، ولكنه تعالى يريد الأسماء المعنوية والأسماء اللفظية وهو المفهوم من أحاديثهم الكثيرة وكما سيتبين لنا من خلال إظهار معاني أسماء فاطمة «سلام الله عليها» فافهم تغنم(١).

الثانية: فيتبين من خلال هذه الأحاديث وأحاديث أخرى... أنَّ أكثر أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام هي من وضع الله تعالى وهو الذي سماها بهذه الأسماء المباركة، ففي رواية يثبت الإمام عليه السلام أن للزهراء عليها السلام اسماً واحداً سماها به الله تعالى وفي رواية أخرى يثبت معصوم آخر أن للزهراء عليها السلام تسعة أسماء عند الله تبارك وتعالى، كل ذلك نتيجة المقام السامي لفاطمة الزهراء عند الله تعالى، وربما يوحي هذا الكلام أن هناك تعارضاً في عدد أسماء الزهراء عليها السلام ولكن بأدنى تأمل للروايات يظهر لنا أن هذا ناشئ من طبيعة حال السائل.

السؤال الثالث: هل هناك مناسبة بين أسماء الزهراء عليها السلام ومادتها وذاتها وصفاتها؟

الجواب(٢): إنما وضع الله أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام منه لتكون علامة [على عظمة الزهراء عليها السلام](٣).

وذلك لأنّ بين الأسماء والمعاني الموضوعة لها مناسبةً ذاتيةً، والواضع عندما يضع الاسم المعيَّن للمسمى المعيَّن يكون عالماً

(١) المراد من الأسماء المعنوية هو المعاني التي تدل عليها الأسماء الظاهرية لفاطمة عليها السلام.

(٢) ينظر: الأسرار الفاطميّة - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ٣٨١.

(٣) ما بين القوسين من الكاتب.

بالمناسبة وقادراً عليها ولوجود الحكمة والإتقان في وضع الأسماء لتلك المعاني، ومن هنا كان الواضع لأسماء فاطمة الزهراء عليها السلام هو الله تعالى وذلك لوجود المناسبة والحكمة في ذات الزهراء عليها السلام ، وكذلك اقتضت حكمة الباري عز وجل ان تكون العلامة فيها مناسبة لها وهي ذات الزهراء في مادتها وصورتها حيث كانت دلالة فاطمة الزهراء ذاتية ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع اسمها فكان التعبير من الله تعالى أدق في التعريف لذات الزهراء عليها السلام وأظهر في تمييز ذاتها عن بقية الذوات.

فالله سبحانه وتعالى لم يهمل الحكمة ولم يظلمها ولم يضعها في غير ما جعلها مقتضيه له فمن شاء أن يطلعه على علل الأشياء وأسبابها علمه ذلك بتفهيمه أو بوضع القرائن له والأمارات على ذلك وكما فعل ذلك مع أهل البيت عليهم السلام حيث هو الذي وضع أسماءهم وهذا ما نجده من خلال المأثور الروائيّ لأهل البيت عليهم السلام ، فالله تبارك وتعالى يحب أن تكون أسماء أهل البيت عليهم السلام منه تعالى... [محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم عليه السلام ، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي][(١)].

السؤال الرابع: ما هو أول أسمٍ لبضعة النبي «عليه وعليها السلام»؟

الجواب[(٢)] الظاهر من خلال استقراء أحاديث أهل بيت العصمة «سلام الله عليهم» أن أول اسم سُمِّيت به بضعة الرسول «صلى الله عليه

(١) الكافي - باب ما جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم عليهم السلام ، ح٩.
(٢) ينظر: الأسرار الفاطميّة - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ٣٨٧.

وآله» هو فاطمة، وهذا على القطع اليقيني ثابت، ولا يعتريه الشك ولا الشبهة ولذا ورد في كثير من أحاديث أهل البيت التأكيد على هذا الاسم وإكرامه وإعطاؤه الهيبة اللائقة به حيث كان لاسم فاطمة «سلام الله عليها» وقع كبير في نفوس ومحبي أهل البيت وخصوصاً في نفوس أهل البيت عليهم السلام وكان له المنزلة العظمى كما يظهر من الروايات والأخبار الصحيحة المسندة.

ويمكن ان نلمس عظمة هذا الاسم في محورين(١):

المحور الأول: من خلال معنى اسم (فاطمة) وذلك عن طريق روايتهم عليهم السلام ومنها:

١ - عن علي بن إبراهيم، عن اليقطيني، عن محمد بن زياد مولى بني هاشم قال: حدّثنا شيخ لنا ثقة يقال له: (نجيّة بن إسحاق الفزاريّ) قال: حدّثنا عبد الله بن الحسن بن حسن قال: قال أبو الحسن عليه السلام: لِمَ سمِّيت فاطمة (فاطمة)؟ قلت: فرقاً بينه وبين الأسماء.

قال: إنّ ذلك لمن الأسماء، ولكنّ الاسم الذي سُمِّيت به، إنَّ الله تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه، فعلم أنَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسلم يتزوّج في الأحياء وأنّهم يطمعون في وراثة هذا الأمر من قبله، فلمّا ولدت فاطمة سمّاها الله تبارك وتعالى «فاطمة» لما أخرج منها وجعل في ولدها، ففطمهم عمّا طمعوا؛ فبهذا سمّيت فاطمة «فاطمَّه» لأنّها فطمت طمعهم. ومعنى فطمت: قطعت(٢).

---

(١) المصدر - ٣٨٣.

(٢) البحار: ١٣/٤٣ ح ٧، علل الشرائع: ١٧٨/١ ح ٢.

٢ – وعن محمد بن مسلم الثقفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه (محبّاً) فتقول: إلهي وسيّدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولاني وتولّى ذرّيتي من النار، ووعدك الحقّ وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عزّ وجلّ: صدقت يا فاطمة، إنيّ سمّيتك فاطمة، وفطمت بك من أحبّك وتولّاك وأحبّ ذرّيتك وتولّاهم من النار، ووعدي الحقّ وأنا لا أخلف الميعاد – الحديث[١].

٣ – وعن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى ملك فانطلق به لسان محمّد «صلى الله عليه وآله» فسمّاها فاطمة، ثم قال: إنّي فطمتك بالعلم، وفطمتك عن الطمث. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمث بالميثاق[٢].

فائدة[٣] قال المولى محمد عليّ الأنصاري «رحمه الله»: وقد تلخّص منها (أي الأخبار) وجوه متعدّدة لتسميتها عليها السلام بتلك التسمية: مثل فطم نفسها بالعلم، وفطمها عن الشرّ، وفطمها عن الطمث، وفطم ذرّيّتها وشيعتها من النار، وكذلك فطم من تولّاها وأحبّها منها، وفطم الأعداء عن طمع الوارثة في الملك، وعن حبّها، ونحو ذلك. ولا منافاة بين الأخبار، لأنّ الفطم معنى يصدق مع كلّ من الوجوه المذكورة؛

(١) البحار: ٤٣/ ١٤ – ١٥، الجواهر السنية: ٢٤٧، المختصر: ١٣٢.
(٢) البحار: ٤٣/ ١٣ – ١٤، الكافي: ١/ ٤٦ ح ٦، المحجة البيضاء: ٤/ ٢١٢.
(٣) ينظر: الأسرار الفاطميّة – الشيخ محمد فاضل المسعودي – ٣٩٢.

واختلاف الأخبار من جهة اختلاف حال الرواة والحضّار (من حيث الاستعداد) الذاتيّة، واختلاف المصالح في الأزمنة والأمكنة؛ وكلّ هذه المعاني مرادة من اللفظ عند التسمية، ولا يلزم من ذلك استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد، الذي هو مخالف للقواعد الظاهريّة اللفظيّة، لأنّ (فاطمة) مشتقّ من الفطم بمعنى الفصل، ومنه الفطام في الطفل بمعنى فصله عن اللبن والارتضاع، يقال: فطمت المرضع الرضيع فطماً، من باب ضرب، فصلته عن الرضاع، فهي فاطمة، والصغير فطم بمعنى المفطوم. وأفطم الرجل: دخل في وقت الفطام، مثل أحصد الزرع، إذا حان حصاده. وفطمت الحبل: قطعته. وفطمت الرجل عن عادته: إذا منعته عنها. وليس الفطم مخصوصاً بالفصل عن اللبن وإن كثر استعماله فيه، بل هو مطلق الفصل عن الشيء، ومعنى القطع والمنع راجع إليه أو متفرِّع منه، فيكون معنى «فاطمة» فاصلة أو قاطعة أو مانعة، وكُلٌّ منها معنى كلّيّ وماهيّة مطلقة يصدق مع القيود الكثيرة، فسُمِّيَتْ من عند الله بها.

. . . فلوحظ في وجه تسميتها بهذا الاسم وجوه متعدّدة وهي غير داخلة في مفهوم الاسم حتّى توجب تعدّد معاني اللفظ، بل هي لحظات خارجيّة باعتبارها وقعت التسمية.

وبالجملة فاختلاف الأخبار في بيان وجه التسمية إشارة إلى عدم انحصاره في شيء؛ أو كون معناها معنى كلّيّاً يشمل على وجوه كثيرة، فيحتمل احتمالاً ظاهراً أن يكون ملحوظاً في وجه التسمية أمور على حدة أيضاً كفطمها عن الأخلاق الرذيلة بالأخلاق الفاضلة، وعن الأحوال الخبيثة بالأحوال الطيّبة الزكيّة، وعن الأفعال القبيحة بالأفعال الحسنة، وعن الظلمانيّة بالنورانيّة، وعن السهو والغفلة بالذكر والمعرفة، وعن

عدم العصمة بالمعصوميّة، وبالجملة عن جميع جهات النقيصة بالكمالات العقلانيّة والروحانية والنفسانيّة ولوازمها الظاهريّة والباطنيّة، فيلزم حينئذٍ أن تكون لها العصمة الكبرى في الدنيا والآخرة والأولى. فتكون حينئذ معصومة تقيّة نقيّة وليّة صدّيقة مباركة طاهرة إلى آخر الأسماء المذكورة في الرواية وغير الرواية. وتخصيص أسمائها بالتسعة في الخبر الصادقيّ عليه السلام إمّا من جهة اشتمالها من حيث المعنى على سائر الأسماء أيضاً؛ أو من جهة صدور التسمية بها من جانب الله سبحانه بلا واسطةٍ كما يشعر به قوله عليه السلام: لفاطمة تسعة أسماء عند الله[١]...

المحور الثاني[٢]: من خلال الوقع الكبير لاسم فاطمة عليها السلام في نفوس أهل البيت ومحبيهم عليهم السلام، فلنتصفّح التاريخ لنقرأ بعض الشواهد الروائية والوقائع التاريخية لإثبات ذلك:

١ - فلقد روي عن فضالة بن أيوب، عن السكوني قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا مغموم مكروب، فقال لي: يا سكوني ما غمّك؟ فقلت: ولدت لي ابنة، فقال: يا سكوني على الأرض ثقلها، وعلى الله رزقها، تعيش في غير أجلك وتأكل من غير رزقك، فسري (فسرّى) والله عني، فقال: ما سميتها؟ قلت: فاطمة. قال: آه آه ثمّ وضع يده على جبهته - إلى أن قال - ثم قال: أمّا إذا سمّيتها فاطمة فلا تسبها ولا تلعنها ولا تضربها[٣].

---

(١) اللمعة البيضاء: ٣٧ - ٣٩.
(٢) ينظر: الأسرار الفاطميّة - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ٣٨٧.
(٣) وسائل الشيعة: ١٥/ ١٠٠ باب ٨٧.

٢ - وعن بشار المكاري قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام بالكوفة وقد قدم له طبق طبرزد[١] وهو يأكل، فقال: يا بشار أدن فكل. فقلت: هنّأك الله وجعلني فداك، قد أخذتني الغيرة من شيء رأيته في طريق! أوجع قلبي وبلغ منّي، فقال لي: بحقي لما دنوت فأكلت.

قال: فدنوت فأكلت، فقال لي: حديثك، قلت: رأيت جلوازاً[٢] يضرب رأس إمرأة ويسوقها إلى الحبس وهي تنادي بأعلى صوتها: «المستغاث بالله ورسوله» ولا يغيثها أحد.

قال: ولم فعل بها ذلك؟ قال: سمعت الناس يقولون: إنها عثرت فقالت: «لعن الله ظالميك يا فاطمة» فارتكب منها ما ارتكب.

قال: فقطع الأكل ولم يزل يبكي حتى ابتل منديله ولحيته وصدره بالدموع.

ثم قال: يا بشار، قم بنا إلى مسجد السهلة فندعو الله عزَّ وجلَّ ونسأله خلاص هذه المرأة.

قال: ووجّه بعض الشيعة إلى باب السلطان وتقدم إليه بأن لا يبرح إلى ان يأتيه رسوله، فإن حدث بالمرأة حدث صار إلينا حيث كنّا.

قال: فصرنا إلى مسجد السهلة، وصلّى كلُّ واحد منّا ركعتين، ثم رفع الصادق عليه السلام يده إلى السماء وقال: أنت الله - إلى آخر الدعاء - قال: فخرَّ ساجداً لا أسمع منه إلا النفس ثم رفع رأسه فقال: قم فقد أطلقت المرأة.

(١) نوع من التمر سمي به لشدة حلاوته تشبيهاً بالسكر الطبرزد.
(٢) الجلواز: الشرطي الذي يخف في المجيء والذهاب بين يدي الأمير.

قال: فخرجنا جميعاً، فبينما نحن في بعض الطريق، إذ لحق بنا الرجل الذي وجهناه إلى باب السلطان، فقال له عليه السلام: ما الخبر؟ قال: قد أطلق عنها، قال: كيف كان إخراجُها؟ قال: لا أدري ولكنني كنت واقعاً على باب السلطان، إذ خرج حاجب فدعاها وقال لها: ما الذي تكلمت؟ قالت: عثرت فقلت «لعن الله ظالميك يا فاطمة» ففعل بي ما فعل. قال: فأخرج مائتي درهم وقال: «خذي هذه واجعلي الأمير في حلٍّ»: فأبت أن تأخذها، فلما رأى (ذلك) منها دخل وأعلم صاحبه بذلك ثم خرج فقال: «انصرفي إلى بيتك» فذهبت إلى منزلها.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أبت أن تأخذ المائتي درهم؟ قال: نعم، وهي والله محتاجة إليها، قال: فأخرج من جيبه صرة فيها سبعة دنانير وقال: اذهب أنت بهذه إلى منزلها فأقرئها مني السلام، وادفع إليها هذه الدنانير، قال: فذهبنا جميعاً، فأقرأناها منه السلام، فقالت: «بالله أقرأني جعفر بن محمد السلام؟!»، فشقت جيبها ووقعت مغشية (مغشيّاً) عليها قال: فصبرنا حتى أفاقت، وقال: أعدها عليّ، فأعدناها عليها حتى فعلت ذلك ثلاثاً، ثم قلنا لها: خذي، هذا ما أرسل به إليك، وأبشري بذلك، فأخذته منا وقالت: سلوه أن يستوهب أمته من الله، فما أعرف أحداً توسّل به إلى الله أكثر منه ومن آبائه وأجداده عليهم السلام [1].

٣ - وأيضاً عن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام في حديث طويل عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عند قرب وفاته: «ألا ان فاطمة بابها بابي، وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله» قال

(١) البحار: ٤٧/٣٧٩ - ٣٨١.

عيسى (الراوي للحديث): فبكى أبو الحسن عليه السلام طويلاً وقطع بقية كلامه وقال: هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله يا أمّه - صلوات الله عليها[1].

٤ - عن أبي جعفر عليه السلام إذا وعكه الحمّى استعان بالماء البارد، ثم ينادي حتى يسمع صوته على باب الدار: فاطمة بنت محمد «صلى الله عليه وآله».

قال العلّامة المجلسي رحمه الله: لعلّ النداء كان استشفاعاً بها صلوات الله عليها للشفاء.

قال المحدّث القمّي: إنّي أحتمل قوّياً كما أنّه أثّر الحمّى في جسده اللطيف كذلك أثّر كتمان حزنه على أُمّه المظلومة في قلبه الشريف، فكما أنّه يطفئ حرارة جسده بالماء، يطفئ لوعة وجده بذكر اسم فاطمة سيّدة النساء، وذلك مثل ما يظهر من الحزين المهموم من تنفّس الصعداء، فإنّ تأثير مصيبتها صلوات الله عليها على قلوب أولادها الأئمة الأطهار آلم من حزّ الشفار، وأحرّ من جمرة النار [2].

السؤال الخامس[3]: إذا كانت هذه عظمة الزهراء عليها السلام فكيف عتبت عليها السلام على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن عادت إلى بيتها الشريف بعد أن ألقت خطبتها الأولى في المسجد النبوي؟ وما معنى الكلام الذي دار بينهما روحي لذكر أسمائهم الطاهرة فداء؟ وإن

---

(١) البحار: ٢٢/ ٤٧٧.

(٢) بيت الأحزان: ١٠٠.

(٣) السؤال والجواب ينظر موسوعة الأسئلة العقائدية باب فاطمة الزهراء عليها السلام عتابها لعلي عليه السلام ومحاولة التنقيص من مقامها عليها السلام.

كانت عتبت عليه سلام الله عليهما فلماذا؟وهل صدر منه عليه السلام تقصير وهو سلام الله عليه معصوم وهي «سلام الله عليها» معصومة؟

الجواب: قد يفهم من ظاهر الكلام الذي قالته الزهراء عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام العتاب! ولكن يوجد وجه لتأويله مما لا يتنافى وعصمتهما الثابتة بالسنة المتضافرة، إذ يحمل كلامها عليها السلام على المبالغة في إنكار المنكر إظهاراً لما لحقها من شدّة الغيظ، فيكون الشأن كما حصل من موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه غضبان أسفاً فألقى الألواح وأخذ برأس[1] أخيه وشريكه في الرسالة يجره إليه. وهذا المعنى يدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام لها عقيب كلامها المشار إليه: (لا ويل لك بل الويل لشائنك نهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة)، المسألة لم تكن تعدو أكثر من إظهار غيظ اشتملت عليه الزهراء عليها السلام من فعل القوم ولم تكن في حقيقة الأمر تقصد الإساءة إلى أمير المؤمنين عليه السلام بشيء.

ولعلَّ ما فعلته الزهراء عليها السلام كان بأسلوب (إياك أعني واسمعي يا جارة) كما ورد في القرآن من عتاب لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

(١) قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٢-٩٤].

الموضوع السابع
تكملة لبيان الوجوه
والحكم من تسميتها فاطمة عليها السلام (١)

الوجه الأول

روى العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار عن الصادق عليه السلام، قال: «سُمِّيت فاطمة لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله»(٢).

وقد اتضح من هذا البيان أن الفخر بالنسب ليس فيه كثير فائدة للإنسان، وأَنَّ الذي ينفعه حقاً هو الفضل في الدين والشرف في الحسب، وعلى ذلك كثير من الشواهد العقلية والنقلية ومنها:

- ومن قصر به علمه لم ينفعه حسبه(٣).
- المؤمن يتبع على حسب دينه(٤).

نعم، إذا اجتمعت الأصالة والنبل في الأنساب مع الشرف والفخامة في الأحساب، فهو شرف على شرف وفضيلة على فضيلة.

---

(١) ينظر: الخصائص الفاطمية: الشيخ محمد باقر الكجوري: ج ١: ص٢٨٩ - ٣٠٨.
(٢) البحار ٤٣ / ١٥ ح ١٣ باب ٢.
(٣) البحار ٢١ / ١٣٧ ح ٣١ باب ٢٦ عن الكافي.
(٤) البحار ٦٤ / ٢١٠ ح ١٢ باب ١٢ عن الكافي، وقد ورد في مواضع عدةٍ من البحار وفي جميعها «إنما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه أو قال: على حسب دينه».

والمهم في الحديث التأكيد على دين فاطمة عليها السلام الذي كان في غاية الكمال وحسبها وفضلها في الحسب ثابت لا كلام فيه، ومعنى الحديث أن فاطمة لا تقاس بسواها من النساء في الفضل والدين والحسب، ولها فضل وشرف على الجميع كافةً، كما أن قوله «صلى الله عليه وآله»: «إنها ليست كالآدميين» فيه دلالة على عموم الأفضليّة.

الوجه الثاني

عن البحار، قال النبي «صلى الله عليه وآله»: «سُمِّيَتْ فاطمة فاطمة لفطمها عن الدنيا ولذاتها وشهوتها»، فلما نزل الملك وأجرى اسمها على لسان النبي «صلى الله عليه وآله»، كانت فاطمة عازفة عن الدنيا، معرضة عما سوى الله، موجهة قلبها من المهد إلى اللحد نحو الآخرة ونحو الله؛ لأن حب الدنيا قطع عنها قطعاً واستغرقت في محبّة الحقّ تعالى، ولهذا عاشت في هذه الدنيا فترة قصيرة وكابدت فيها المصائب مكابدة وهي في غاية القدرة وكمال الكرامة. . .

الوجه الثالث

في البحار عن مصباح الأنوار عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: إنما سُمِّيَتْ فاطمةُ بنت محمد «صلى الله عليه وآله» الطاهرة لطهارتها عن (مِنْ) كل دنس، وطهارتها من كل رفث، وما رأت يوماً قط حمرةً ولا نفاساً[1].

ومضمون هذا الحديث متواتر عند الشيعة والسنة، ولكني اكتفيت بذكر حديثٍ واحدٍ في المقام ومؤداه: فطام فاطمة وتنزيهها وتهذيبها من

(١) البحار ٤٣ / ١٩ ح ٢٠ باب ٢.

أدناس النساء خاصّةً، ومن الخصال الرذيلة في البشر عامة، وهذه موهبة من مواهب الرحمن ومكرمة من مكارم الملك المنان، وذلك فضل الله لها ورحمته عليها.

الوجه الرابع

في علل الشرائع للمرحوم الصدوق طاب ثراه، عن محمد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر (الباقر) عليه السلام يقول: لفاطمة وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل (مؤمن أو كافر)، فيؤمر بمحبٍّ قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ بين عينيه (محباً) فتقول: إلهي وسيدي سميتني فاطمة وفطمت بي من تولاني وتولى ذريتي من النار، ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد. فيقول الله عز وجل: صدقت يا فاطمة إني سميتك فاطمة وفطمت بك من أحبك وتولاك وأحب ذريتك وتولاهم من النار، ووعدي الحق وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه، ليتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني ومكانتك عندي، فمن قرأت بين عينيه (مؤمناً) فجذبت بيده وأدخلته الجنة[١].

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إني سُمِّيَتْ ابنتي فاطمة لأن الله عزَّ وجلَّ فطمها وفطم من أحبها مِنَ النار[٢].

الخلاصة: أنّ ظهور هذا الوجه سيكون في الآخرة، وإنه أعظم معاني اسم فاطمة، وهو حديث متفق عليه لا تجد من ينكره،

(١) البحار ٨ / ٥٠ ح ٥٨ باب ٢١ عن علل الشرائع.
(٢) البحار ٤٣ / ١٢.

والمخالفون جميعاً يذعنون بصحته، وكأن اسم فاطمة وُضِعَ للدلالة على الشفاعة، ونجاة الشيعة من النار، والوجوه السابقة المتعلقة بالدنيا كلها أوصاف يتصف بها من صاحب الشفاعةالعظمى، ولا تعارض بينها.

فطام فاطمة الزهراء عليها السلام عام وخاص

أمّا العامُّ: فانقطاع المحبة عن كل ما سوى الله.

وأما الخاصُّ: فتسليمها ورضاها بشهادة ولديها، تلك الشهادة التي كانت تسمع نبأها من مصدر الوحي ومعدن الصدق منذ يوم الأزل حتى انعقاد النطفة الزكية وإلى الولادة. فتقطع قلبها عن محبتها وتبكي لتلك الأخبار الموحشة للطبيعة البشرية، مع أن دعوتها كانت مجابة إلا أنها رجحت رضا الحبيب على رضاها وعاشت على ذلك وبكت له، ولم تنمّ عنها كلمة تخالف الإرادة الإلهية مع أنها كانت مجابة الدعوة. وأما قوله تعالى: (فحملته كرها ووضعته كرها) فإشارة إلى طبيعتها البشرية، وهي من المقتضيات الكاملة لوجودها الإنساني.

وما أصعب أن ترضع الأم وليدها وتفطمه وتربيه إلى أن يكبر، وهي تعلم بالقطع واليقين كيف سيذوقن الشهادة. والأشدُّ والأصعب من ذلك كله شهادة ولدها وعزيزها المحسن صلوات الله عليها وعلى والدها وبعلها وبنيها.

هذا الكلام - يا جواد - لا نهاية له، فاختتمه فإن الله أعلم بالرشاد.

الموضوع الثامن

فلسفة اسم الزهراء عليها السلام

وهو من أشهر أسمائِها وأشهرها شيوعاً عند الشيعة. . .

سؤال: ما هي المناسبة لتسميتها بهذا الاسم؟

الجواب: بعد الرجوع الروايات تتضح فلسفة ذلك. . . ومنها:

- عن النبي «صلى الله عليه وآله» انه قال: . . . ثم أظلمت المشارق والمغارب، فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكّلم الله جلّ جلاله كلمةً فخلق منها روحاً، ثمّ تكلّم بكلمة فخلق من تلك الكلمة نوراً، فأضاف النور إلى تلك الروح وأقامها مقام العرش، فزهرت المشارق والمغارب فهي فاطمة الزهراء، ولذلك سمّيت «الزهراء» لأنّ نورها زهرت به السموات[1].

- عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله، لم سمّيت الزهراء «زهراء»؟ فقال: «لأنّها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرّات بالنور، كان يزهر نور وجهها الغداة والناس في فراشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة، فتبيض حيطانهم، فيعجبون من ذلك، فيأتون النبيّ «صلى

(١) البحار: ٤٠/ ٤٤، إرشاد القلوب، ٤٠٣، الفضائل لابن شاذان: ١٧٢.

الله عليه وآله» فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدةً في محرابها تصلّي والنور يسطع من محرابها من وجهها، فيعلمون أنّ الذي رأوه كان من نور فاطمة، فإذا انتصف النهار وترتّبت للصلاة، زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة، فتدخل الصفرة في حجرات الناس، فتصفرُّ ثيابهم وألوانهم، فيأتون النبيّ «صلى الله عليه وآله» فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمةً في محرابها وقد زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة، فيعلمون أنّ الذي رأوا كان من نور وجهها، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس، أحمّ وجه فاطمة، فأشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً لله عزّ وجلّ، فكان تدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمرّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك ويأتون فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس، احمرّ وجه فاطمة، فاشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً للهِ عزّ وجلّ، فكان تدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمرّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك ويأتون النبيّ «صلى الله عليه وآله» ويسألونه عن ذلك، فيرسلهم إلى منزل فاطمة، فيرونها جالسة تسبّح وتمجّده ونور وجهها يزهر بالحمرة، فيعلمون أنّ الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة عليها السلام، فلم يزل ذلك النور في وجهها حتّى ولد الحسين عليه السلام، فهو يتقلّب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة منّا أهل البيت إماماً بعد إمام»(١).

(١) البحار: ٤٣/ ١١ ح ٢، علل الشرائع ١/ ١٨٠ ح ٢.

- وعن أبي هاشم العسكري قال: سألت صاحب العسكر عليه السلام: لِمَ سمّيت فاطمة «الزهراء» عليها السلام؟ فقال: «كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين عليه السلام من أوّل النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدرّيً»(١).
- وعن الحسن بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم سُمِّيَتْ فاطمة «الزهراء»؟ قال: «لأنّ لها في الجنّة قبّة من ياقوت حمراء ارتفاعها في الهواء مسيرة سنة، معلّقة بقدرة الجبّار، لا علاقة لها من فوقها فتمسكها، ولا دعامة لها من تحتها فتلزمها، لها مئة ألف باب، على كلّ باب ألفٌ من الملائكة، يراها أهل الجنة كما يرى أحدكم الكوكب الدرِّيَّ الزاهر في أُفق السماء، فيقولون: هذه الزهراء لفاطمة»(٢).
- وعن ابن عمارة، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة لم سُمِّيَتْ «زهراء»؟ فقال: «لأنّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض»(٣).
- وعن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: لم سُمِّيَتْ فاطمةُ الزهراء زهراء؟ فقال: «لأنّ الله عزَّ وجلَّ خلقها من نور عظمته، فلمّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة، وخرّت الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيّدنا، ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، وأسكنته في

(١) البحار: ٤٣/ ١٦، المناقب: ٣/ ١١٠.
(٢) البحار: ٤٣/ ١٦، المناقب: ٣/ ١١١.
(٣) معاني الأخبار: ٦٤ ح ١٥، دلائل الإمامة: ٥٤.

سمائي، خلقته من عظمتي، أُخرجه من صلب نبيّ من أنبيائي، أفضّله على جميع الأنبياء، وأخرج من ذلك النور أئمّةً يقومون بأمري، ويهدون إلى حقّي، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي[١].

- وعن النبيّ «صلى الله عليه وآله»: «لمّا خلق الله آدم وحوّاء تبخترا في الجنّة، فقال آدم لحوّاء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منّا. فأوحى الله إلى جبرئيل عليه السلام: ائت بعبديَّ الفردوس الأعلى، فلمّا دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من درانيك الجنّة، وعلى رأسها تاج من نور، وفي أذنيها قرطان من نور قد أشرقت الجنان من حسن وجهها، فقال آدم: حبيبي جبرئيل! من هذه الجارية التي قد أشرقت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمد نبيّ من ولدك يكون في آخر الزمان، قال: فما هذا التاج الذي على رأسها؟ قال: بعلُها عليّ بن أبي طالب عليه السلام . . . قال: فما القرطان اللذان في اذنيها؟ قال: ولداها الحسن والحسين. قال آدم: حبيبي جبرئيل! خلقوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة»[٢].

قال الشاعر مترجماً هذا الحديث:

في الدّرّ كوّنها الباري وصوّرها ... من قبل إيجاد خلق اللوح والقلم
وتوّجت تاج نورٍ حوله درر ... يضيء كالشمس أو كالنجم في الظلم

(١) البحار: ٤٣/١٢.
(٢) البحار: ٤٣/٥٢.

سرّ الغيوب فسادوا سائر الأمم   لله أشباح نورٍ طالما سكنوا

- قال العلامة المقرّم: اشتهرت الصدّيقة بالزهراء لجمال هيئتها والنور الساطع في غرّتها، حتّى إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر الكوكب لأهل الأرض، وإن حضرت للاستهلال أوّل الشهر لا يرى نور الهلال لغلبة نور وجهها على ضيائه[(١)]. . .
- وعن سلمان الفارسّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرفوعاً قال: كنت جالساً عند النبيّ «صلى الله عليه وآله» في المسجد، إذ دخل العبّاس بن عبد المطّلب، فسلّم، فردّ النبيّ «صلى الله عليه وآله» ورحّب به، فقال: يا رسول الله بِمَ فضّل الله علينا أهل البيت عليّ بن أبي طالب والمعادن واحدة؟ فقال النبيّ «صلى الله عليه وآله»: «إذن أخبرك يا عمّ، إنّ الله خلقني وخلق عليّاً ولا سماء ولا أرض ولا جنّة ولا نار ولا لوح ولا قلم، فلمّا أراد الله عزَّ وجلَّ بدو خلقنا تكلمّ بكلمة فكانت نوراً، ثمّ تكلمّ بكلمة ثانية فكانت روحاً، فمزج فيما بينهما واعتدلا، فخلقني وعليّاً منهما.

ثمّ فتق من نوري نور العرش، فأنا أجلّ من العرش. ثمّ فتق من نور عليٍّ نور السماوات، فعليّ أجلّ من السماوات. ثمّ فتق من نور الحسن نور الشمس، ومن نور الحسين نور القمر، فهما أجلّ من الشمس والقمر. وكانت الملائكة تسبّح الله تعالى وتقول في تسبيحها: «سبّوحٌ قدّوسٌ من أنوارها ما أكرمها على الله تعالى»! فلمّا أراد الله تعالى أن يبلو الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمة، وكانت الملائكة لا تنظر

(١) وفاة الزهراء: ١٥.

أوّلها من آخرها ولا آخرها من أوّلها، فقالت الملائكة، إلهنا وسيّدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن فيه، فنسألك بحقّ هذه الأنوار إلا ما كشفت عنّا. فقال الله عزَّ وجلَّ: وعزّتي وجلالي لأفعلنّ؛ فخلق نور فاطمة الزهراء عليها السلام يومئذٍ كالقنديل، وعلّقه في قرط العرش، فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، من أجل ذلك سُمِّيَتْ فاطمة «الزهراء». وكانت الملائكة تسبّح الله وتقدّسه، فقال الله: وعزّتي وجلالي، لأجعلنّ ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبّي هذه المرأة وأبيها... ».

إذن قد تبيّن من هذه الأخبار والأحاديث الشريفة الوجه من تسميتها بالزهراء فتارةً لإشراق نورها للإمام عليٍّ عليه السلام وأخرى لأن الأرض والسموات العلى زهرت من نورها، وتارةً أخرى نتيجة عبادتها ودخول نورها إلى بيوتات المدينة وإشعاع هذا النور على جميع الناس آنذاك.

قال الشاعر في وصف نورها:

تتوارى الشمس بالشفق خجلاً من نور بهجتها
يتغطّى الغصن بالورق وحياءً من شمائلها

الموضوع التاسع

فلسفة اختلاف الروايات لبيان الحكمة من تسميتها بالزهراء عليها السلام (١)

لا تعارضَ بين العلل المذكورة والأحاديث المسطورة في تسمية فاطمة عليها السلام بالزهراء، بل كلها صحيحة، ويمكن الجمع بينها بأن يقال: إن من كانت في بدو إيجاد نورها المبارك تزهر لأهل السماوات والأرضين وما بينهما، وخلق من نورها المشرق الموفور بالسرور القبة الزهرائية بتلك الأوصاف، لا يبعد أن تسطع أنوارها الوجودية في عالم الملك صبحاً وظهراً وغروباً على أهل المدينة عموماً، وتزهر لأمير المؤمنين على وجه الخصوص شمساً وقمراً وكوكباً درياً.

ومن البديهي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يراها بعين الولاية والمحبة، وينظر إليها بعين الباطن والظاهر، فهو يرى ما لا يراه غيره، فتتجلى له على وجه الخصوص بشكل يختلف عما تتجلى به إلى أهل المدينة عامةً.

وبعبارة أخرى هي: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يرى الشمس والقمر والكوكب الدري بحقائقها، وأمّا الآخرون فيشاهدون شعاع الشمس وضوء القمر، وهكذا قد يحجب البعض حتى عن رؤية أنوارها،

(١) ينظر: الخصائص الفاطمية: الشيخ محمد باقر الكجوري: ج ١: ص٢٠٧ - ٢١٠.

ويحرم من مشاهدة شعاعها لعدم توفر الاستعداد والقابلية فيهم لتلقي الأنوار الفاطمية ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] و﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطفّفين: ١٥].

فلسفة ألوان الزهراء عليها السلام

لقد كان هذا الأمر مطروحاً للبحث والنقاش مدةً من زمان، وجالت فيه الأنظار والأفكار، وقد اخترنا الوجه الأول القائل: إن التنوُّر بالألوان الثلاثة في الأوقات الثلاثة إشارة إلى اختلاف حالات تلك المطهرة الطاهرة حين العبادة وبعد الفراغ من أداء الفريضة في محرابها:

أمّا الصبح: فهو أول طلوع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وابتداء إشراق الشمس من الأفق، فبياض محيا السيدة الطاهرة يحكي الرحمات الإلهية الخاصة التي أفيضت عليها طيلة الليل من مصدر الرحمة الحقة، والبياض علامة الرحمة.

وهذه الصفة تشير إلى رجائِها وأملها بقبول العبادات والطاعات السابقة واللاحقة.

وأمّا وقتُ الظهر: فهو زمان نزول البركات العامة وهبوط ملائكة الرحمة، والحد الوسط بين الصباح والمساء، وفيه الصلاة الوسطى، فكانت آثار الخوف تسطع في جبين سيدة نساء العالمين وتظهر لعيون الملأ المشاهدين، وهذا الخوف يعني الحذر من الغفلة عن العبادات والذهول عن الطاعات، لِأَلّا تكون قد قصّرت في أداء حق من له الحق، فلم تؤدِّهِ كما يستحقه، فهل من رجاء في العفو؟ وهل من توفيق للطاعات

في الزمن اللاحق؟ والأثر الطبيعي للخوف والخشية هو الإرتعاش والاضطراب واصفرارالوجه، خصوصاً في محضر الربِّ القاهر القادر الحاضر الناظر، إن مناجاته وطلب الحاجة منه مخوف موحش حقاً، كما روي عن نساء النبي «صلى الله عليه وآله» أنهن كن لا يعرفن النبي «صلى الله عليه وآله» إذا دخل وقت الصلاة، بل هكذا كان كل أئمة الدين والأوصياء المرضيين عليهم السلام، خصوصاً الإمام السجاد عليه السلام، حيث روي أنه إذا حضرت الفريضة ارتعدت فرائصه واصفر لونه (١).

وأمّا وقتُ الغروب: فهو آخر زمان أداء التكاليف والوظائف اليومية، ووقت إقبال الليل والمناجاة مع قاضي الحاجات، للنشاط والانبساط والسرور الذي يعتريها من قبول الطاعات والتوفيق للعبادات لحضرة ذي الجلال، يعني أنها كانت ترى وتلمس بالحس والعيان محبة الله تبارك وتعالى لها، فكانت تتوهج وتهيج في أعماقها المحبة الباطنية التي تلمسها وتعيشها، فتتحرك إلى الله، وآية المحبّة والشوق احمرار الوجه وإشراق المحيا، فشرط المحبة الحرارة والإشتعال والتوهج.

وهذه الحالات الثلاث جميعها من لوازم العبودية وآثارها، ولهذا كانت تتجلى عليها السلام في محرابها بهذه الأنوار وتسطع بهذه الألوان المختلفة.

أنت وشجرة طوبى، ونحن وقامة الحبيب، إذ فكر كل امرىءٍ على قدر همّته.

(١) الخصائص الفاطمية: ج١، ص٢٠٧ - ٢١٠.

الموضوع العاشر

من أسماء الزهراء عليها السلام أم أبيها

عن أبي جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام أن فاطمة عليها السلام كانت تكنى (أُمَّ أبيها)(١).

سؤال: ما معنى إلام في اللغة؟

الجواب: لقد ورد في صحاح اللغة العربية أنّ معنى كلمة (أُمّ) هو الأصل كما هو معروف في لسان القرآن الكريم حيث عبّر عن مكّة المكرّمة بـ (أُمِّ القرى) قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعَام: ٩٢]. أي: أصل القرى في الجزيرة العربية، ومنها انطلقت روح الحياة لكي تغذي القرى ومن حولها وتقوم برعايتها، وذلك لما لها من مكان وموقع جغرافي في قلب الجزيرة العربية مما جعلها قطب الرحى لبقية القرى...(٢).

سؤال: ما وجه المناسبة بين معنى الأمّ في اللغة واسم الزهراء «سلام الله عليها» «أمِّ أبيها»؟

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص١٩.
(٢) الأسرار الفاطميّة للعلّامة محمد فاضل المسعودي: ط١: ١٤٣٣: ص٢٧١.

الجواب: على أساس المعنى اللغويِّ بأنَّ الأمّ هي الأصل نستطيع التفسير بأنَّ فاطمة عليها السلام كانت مصدر ذرية رسول الله ومنبع نسله وهذا ينطبق ويتماشى مع تفسير الكوثر(١) الذي هو مصدر ذرية رسول الله صلى الله عليه(٢).

سؤال: هل ثمة شواهد روائية تؤيد وتعاضد هذا الفهم؟

الجواب: أنَّهُ بالتأمُّل في حياة فاطمة الزهراء عليها السلام واستقراء حياتها

(١) يقول آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في بحث ذيل سورة الكوثر المعنون بـ «فاطمة عليها السلام والكوثر»: قلنا: إنّ «الكوثر» له معنىً واسع يشمل كل خير وهبه الله لنبيّه «صلى الله عليه وآله»، ومصاديقه كثيرة، لكن كثيراً من علماء الشيعة ذهبوا إلى أنّ «فاطمة الزهراء عليها السلام من أوضح مصاديق الكوثر؛ لأنّ رواية سبب النزول تقول: إنّ المشركين وصموا النّبي بالأبتر، أي: بالشخص المعدوم (معدوم) العقب، وجاءت الآية لتقول: إنّا أعطيناك الكوثر.
ومن هنا نستنتج أن الخير الكثير أو الكوثر هو فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنّ نسل الرسول «صلى الله عليه وآله» انتشر في العالم بواسطة هذه البنت الكريمة... وذرية الرسول من فاطمة لم يكونوا امتداداً جسمياً للرسول «صلى الله عليه وآله» فحسب، بل كانوا امتداداً رسالياً صانوا الإسلام وضحوا من أجل المحافظة عليه وكان منهم أئمّة الدين الاثنا عشر، أو الخلفاء الاثنا عشر بعد النّبي كما أخبر عنهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الأحاديث المتواترة بين السنة والشيعة، وكان منهم أيضاً الآلاف المؤلفة من كبار العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسّرين وقادة الأُمّة.
والفخر الرازي في استعراضه لتفاسير معنى الكوثر يقول: القول الثّالث «الكوثر»: أولاده. قالوا لأنّ هذه السّورة إنّما نزلت ردّاً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت ثمّ العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني أُمية في الدنيا أحد يُعبأُ به، ثمّ أنظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم / تفسير الفخر الرازي، ج٣٢، ص١٢٤/ نقلاً عن تفسير الأمثل لآية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: أبحاث في ذيل تفسير سورة الكوثر.

(٢) الأسرار الفاطميّة للعلّامة محمد فاضل المسعودي: ط١: ١٤٣٣: ص٢٧١.

في ظلّ رعاية أبيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» نجد عدة معاني وتفاسير تجعل هذا الحديث وهذه الكلمة (أُمِّ أبيها) كنظرية ولها تطبيقات عديدة في حياة الصديقة الطاهرة عليها السلام (١) ومنها:

أولاً: إيثارها «سلام الله عليها» للنبيِّ «صلى الله عليه وآله» بما عندها من طعام:

- عن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام قال كنا مع النبي «صلى الله عليه وآله» في حفر الخندق، إذ جاءته فاطمة ومعها كسرة خبز فدفعتها إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال النبي عليه الصلاة والسلام: ما هذه الكسرة؟ قالت قُرص خبزته للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسرة فقال النبيّ «صلّى الله عليه وآله»: أما إنَّه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث(٢).
- عن عبد الله بن الحسن قال: دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» على فاطمة عليها السلام فقدّمت إليه كسرةً يابسةً من خبز شعير، فأفطر عليها، ثم قال: «يابنية، هذا أول خبزٍ أكل أبوك منذ ثلاثة أيام»، فجعلت فاطمة عليها السلام تبكي ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يمسح وجهها بيده(٣).

---

(١) المصدر: ص٢٧١.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالصدوق: ط١: قم: الناشر الشريف الرضي: ج٢: باب فيما جاء عن الامام الرضا عليه السلام من الاخبار المجموعة رقم الخبر ١٢٣.
(٣) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص٤٠.

ثانياً: حفظ الرسالة الإلهية المحمديّة في جميع جوانبها تمثل بالزهراء عليها السلام.

وهذا لم نجده إلا من خلال الامتداد الطبيعي للرسول «صلى الله عليه وآله» المتمثل في ذريته من فاطمة عليها السلام... فعليه يمكن أن يقال: إنّه «صلى الله عليه وآله» أراد منها أنّ ابنتي فاطمة هي أصل شجرة الرسالة وعنصر النبوّة، كما قال الباقر عليه السلام: الشجرة الطيّبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفرعها عليّ عليه السلام وعنصر الشجرة فاطمة عليها السلام وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها شيعتها.

وكما أنّه لولا العنصر يبست الشجرة وذهبت نضرتها، فكذلك لولا فاطمة لما اخضرّت شجرة الإسلام، فإنّ الشجرة تسمو وتنمو بتغذيتها من أصلها. وشجرة الشريعة الحنيفيّة قد سمت ونمت بمجاهدتها ودفاعها عن إمامها وبعلها الشريف المظلوم ومجاهدات أولادها وتضحياتهم، ولاسيّما شبليها الكريمين، فإنّ الحسن عليه السلام بصلحه أبقى شجرة الإسلام ومنعها من الاصطدام والحسين عليه السلام بإبائه عن البيعة وبذل مهجته الشريفة سقاها وربّاها، ولولا صلح الحسن وقيام الحسين عليهما السلام ليبست شجرة الإسلام وما قام لها عود ولا اخضرّ لها عمود. ولا يخفى أنّ أصل الحسن والحسين عليهما السلام أمّهما فاطمة الزهراء عليها السلام، ولولاها لم يكن أبوها وبعلها وبنوها عليهم السلام [1].

(١) الأسرار الفاطميّة للعلّامة محمد فاضل المسعودي: ط١: ١٤٣٣: ص٢٧٢-٢٧٣.

ثالثاً: ولعل وجه تسميتها بأمّ أبيها هو أنه «صلى الله عليه وآله» يعاملها عليها السلام معاملة الولد أمه، وأنها تعامله معاملة الأم ولدها.

سؤال: هل ثمة شواهد روائية تؤيد ذلك؟

الجواب: أنَّ التاريخ يؤيد ذلك والأخبار تعضده ومنها:

- . . . عن عائشة أُمُّ المؤمنين، قالت: «ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه برسول الله «صلى الله عليه وآله» ديناً، ولا جلسةً، ولا مشيةً من فاطمة، وكانت إذا دخل عليها رسول الله «صلى الله عليه وآله» رحبت به وقامت من مجلسها، وقبلت يده، وأجلسته في مجلسها، وكانت إذا دخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» رحب بها، وقام إليها، وقبل يدها، وأجلسها في مجلسه. . .»(١).
- وإذا أراد سفراً أو غزوةً كان «صلى الله عليه وآله» آخر الناس عهداً بفاطمة عليها السلام، وإذا قدم كان «صلى الله عليه وآله» أول الناس عهداً بفاطمة عليها السلام (٢).

وكأنه يتزود من هذا النبع الصافي لسفره كما يتزود الولد المؤدّب من أمه.

- ومن جهةٍ أخرى إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تهتم به اهتمام الأُمِّ بولدها(٣)، فمنذ أيام طفولتها كانت تدفع عنه أذى المشركين(٤)، وتخفّف آلامه وتضمّد جروحه(٥)، وتمسح الدم عن وجهه في

(١) المعجم الأوسط للطبراني - ج ٩ / ح٤٢٣٩.
(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص٤٠.
(٣) البدء والتاريخ/المقدسي ٥: ٢٠ مكتبة الثقافة الدينية.
(٤) صحيح مسلم ٣: ١٠٧/١٤١٨ كتاب الجهاد والسير.
(٥) صحيح مسلم ٣: ١٠١/١٤١٦ كتاب الجهاد والسير.

الحرب[١]، وإذا عاد من سفرٍ بادرت إلى استقباله واعتنقته وقبّلت بين عينيه، وكانت تتأثر لحاله وتحنو عليه[٢]. فهو «صلى الله عليه وآله» يجده في فاطمة وكأنها أمه.

ولهذا يقول المولى الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنّ النكتة في هذه التكنية إنما هي محض إظهار المحبة، فإن الإنسان إذا أحبّ ولده أو غيره وأراد أن يظهر في حقّه غاية المحبّة قال: «يا أمّاه» في خطاب المؤنّث، ويا «أباه» في خطاب المذكّر، تنزيلاً لهما بمنزلة الأمّ والأب في المحبّة والحرمة على ما هو معروف في العرف والعادة[٣].

رابعاً: الكشف عن مقامها عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: وهي لما نزلت آية الحجاب: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزَاب: ٥٣].

قال طلحة: أيريد محمد أن يمنعنا من النظر إلى بنات عمنا أما والله لئن مات محمد لنتزوجن نساءه، ونجول بين خلاخيلهن...!![٤].

وحين نزلت آيات الحجاب، وظهر من بعض المنافقين مثل الكلام الذي قد مرّ نزلت آية تقول: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ

(١) المغازي/ الواقدي ١: ٢٤٩ عالم الكتب - بيروت.
(٢) سيدة النساء فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ علي موسى الكعبي.
(٣) الأسرار الفاطميّة للعلّامة محمد فاضل المسعودي: ط١: ١٤٣٣: ص٢٧٣.
(٤) يقول العلّامة محمد فاضل المسعودي: حقاً إنه عجب يثير الهم يجلب الحزن، أن نسمع مثل هذا الكلام من طلحة وهو من العشرة المبشرين بالجنة.... ولا أعتقد أن بوابة الجنة سوف تنخلع أمامه ليدخل الجنة من أعرض الأبواب. هذا الذي لا يتورع من إظهار الهوى والغرام لزوجات النبي وهن أمهات المؤمنين ولم يحفظ حرمة رسول الله.

أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ثم جاءت آية ثانية تتحدث عن مكانة زوجات النبي وأنّهن بمثابة الأمهات لكم أيها المؤمنون قالت الآية: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

وهذا يعني أن عائشة أُمُّ المؤمنين وأن زينب بنت جحش أُمُّ المؤمنين، ومارية القبطية أُمُّ المؤمنين، وحفصة أُمُّ المؤمنين، وخديجة الكبرى أُمُّ المؤمنين. فأثارت هذه الآية سؤالاً عريضاً على الشفاه السؤال هو: إذا كانت كل واحدة من زوجات النبي أماً للمؤمنين، ففاطمةُ أُمُّ من؟ وهنا جاء الجواب على لسان الرسول الأمين الذي (ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) حيث قال «فاطمة أُمُّ أبيها. . .» ومن ذلك الحين أصبحت فاطمة أُمُّ أبيها، وصار الرسول يناديها بأم أبيها، فيقول: مرحباً بأم أبيها(١).

خامساً: حنانها «سلام الله عليها» على أولادها ومن مصاديقه:

- **عطفها على أولادها** ساعة تكفينها لما رموا بأنفسهم على بدن أمِّهم يصرخون يبكون يقول أمير المؤمنين عليه السلام «والعيش الذي بيننا سمعتها حنت وأنت وقامت وضمت الحسنين إلى صدرها حتى سمعت هاتفاً من السماء يقول: ياعلي نح الحسنين عن بدن أمهما فلقد ابكيا ملائكة السماء»(٢).

(١) الأسرار الفاطميّة للعلّامة محمد فاضل المسعودي: ط١: ١٤٣٣: ص٢٧١.
(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص١٧٩.

- **عطفها على أولادها**، فبعد رحيلها صلوات الله عليها كانت تنظر إلى أولادها بعين العطف والحنان، قالوا: إنه في ليلة دفنها وبعد أن واراها أمير المؤمنين عليه السلام غفت عيناه عند قبرها، بينما هو كذلك وهو كذلك وإذا بالزهراء عليها السلام تتراءى له وتقول: «أبا الحسن عجل بالرجوع إلى الدار» فسألها: لماذا؟ نفسي لا تطاوعني أن أفارق قبرك يابنت رسول الله قالت عليها السلام: أبا الحسن إنَّ ابنتي زينب انتبهت مرعوبةً نظرت إلى حجرتي فلم تجدني وهي الآن تنادي: أمّاه فاطمة أين أنت؟[1].

نتائج

١ - الأم في اللغة تعني الأصل... وفاطمة هي أصل وامتداد الرسالة من بعد النبي «صلى الله عليه وآله» لأنها حاملة المظاهر الالهية وهم الحسن والحسين والتسعة المعصومون عليهم السلام.

٢ - لُقبت بأُمِّ أبيها تكريماً لها وللكشف عن مقاماتها.

٣ - لُقبت بأُمِّ أبيها لحنانها ورحمتها بعالم الامكان عامةً، وبصورةٍ خاصَّةٍ بأبيها وبعلها وبنيها.

(١) الطريق الى المنبر الحسيني: للخطيب عبد الوهاب الكاشي: ج٣.

الموضوع الحادي عشر
فلسفة اسم البتول عليها السلام (١)

البتول في اللغة

سؤال: ما معنى البتول؟

الجواب:

- سُئِلَ أحمد بن يحيى عن فاطمة رضيَ الله عنها بنت سيدّنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لم قيل لها: البتول؟ فقال: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمّة عفافاً وفضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عزّ وجلّ... وقيل: تبتيل خلقها انفراد كلّ شيء عنها بحسنه لا يتّكل بعضه على بعض. قال ابن الأعرابيّ: المبتّلة من النساء: الحسنة الخلق، لا يقصر شيء عن شيء لا تكون حسنة العين سمجة الأنف، ولا حسنة الأنف سمجة العين، ولكن تكون تامّة(٢).

يظهر من التأمّل في كلمات أصحاب الصحاح من أهل اللغة والبيان أنهم حملوا معنى الانقطاع بالنسبة للفظ البتول محملاً جيداً وفسروه بأنّه

(١) ينظر: الأسرار الفاطميّة: للعلّامة محمد فاضل المسعودي: ص٤٢٧.
(٢) لسان العرب: مادة بتل.

انقطاع عن نساء زمان فاطمة «سلام الله عليها» من ناحية العفة والفضل والدين والحسب، وكذلك حملوه على الزهد عن الدنيا وانقطاعها «سلام الله عليها» عن الدنيا. وهذه المعاني التي حملوا اسم البتول عليها وان كانت جيدةً ومفيدةً وواضحةً من خلال السليقة العربية ومفاهيمها، إلّا أَنّ واقع الحال والمقام لا يساعد على هذا الحمل ولا يظهر فيه نتيجة وجود مرجحاتٍ وشواهد وقرائن واضحةٍ لمن أراد استقصاءها في معنى اسم البتول، وخير شاهد على هذه القرائن الروايات الواردة في المقام من الخاصة والعامة...

بيان الروايات لمعنى البتول

- وورد عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «سُمِّيَتْ فاطمة بتولاً؛ لأنّها تبتّلت وتقطّعت عمّا هو معتاد العورات في كلّ شهر، ولأنّها ترجع كلّ ليلة بكراً. وسُمِّيَتْ مريم بتولاً لأنّها ولدت عيسى بكراً»[(١)].
- وعنه «صلى الله عليه وآله»: «وإنّما سُمِّيَتْ فاطمة «البتول» لأنّها تبتّلت من الحيض والنفاس...»[(٢)].
- وعن عليّ عليه السلام قال: «إن النبيّ «صلّى الله عليه وآله» سئل: ما البتول؟ فإنّا سمعناك يا رسول الله تقول: إنّ مريم بتول، وفاطمة بتول؟ فقال: البتول التي لَمْ تَرَ حمرةً قطّ، أي: لم تحض، فإنّ الحيض مكروه في بنات الأنبياء»[(٣)].

(١) إحقاق الحق: ١٠/ ٢٥، المناقب المرتضوية ١١٩.
(٢) ينابيع المودة: ٢٦٠.
(٣) معاني الأخبار: ٦٤.

- وعن عائشة قال: إذا اقبلت فاطمة كانت مشيتها مشية رسول الله «صلّى الله عليه وآله»، وكانت لا تحيض قطّ، لأنّها خلقت من تفّاحة الجنّة، ولقد وضعت الحسن بعد العصر، وطهرت من نفاسها، فاغتسلت وصلّت المغرب[١]...
- وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنّ ابنتي فاطمة حوراء، إذ لم تحض ولم تطمث»[٢].
- وروى الحافظ أبو بكر الشافعي عن ابن عباس قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: «إبنتي حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث...»[٣].
- وروى الطبري عن أسماء بنت عميس قالت: قبلت: (أي ولدت) فاطمة بالحسن فلم أر لها في حيض ولا نفاس، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «أما علمت أن ابنتي طاهرة، لا يرى لها دم في طمث ولا ولادة»[٤].
- وعن أبي جعفر عليه السلام، عن آبائه: قال: «إنّما سُمِّيَتْ فاطمة بنت محمّدٍ» الطاهرة «لطهارتها من كلّ دنس، وطهارتها من كلّ رفث، وما رأت قطّ يوماً حمرةً ولا نفاساً»[٥].

(١) أخبار الدول: ٨٧، احقاق الحق: ١٠/ ٢٤٤.
(٢) ذخائر العقبى: ٢٦.
(٣) تاريخ بغداد: ٣/ ٣٣١.
(٤) نزهة المجالس: ٢٢٧.
(٥) البحار: ٤٣/ ١٩.

نتيجة

إذن معنى البتول في الاصطلاح والمرجح على كلمات أهل اللغة أنّ هذا الاسم ظاهر في التي لم تر حمرةً قط ولم تحض أبداً وهو الذي يساعد عليه المقام.

عدم الحيض والنفاس حالة صحية أم مرضية؟

سؤال: هل عدم الحيض مخالف لنظام العلل والمعلولات الذي حكم عالم الإمكان؟

الجواب: يظهر من كلمات بعض الذين وقفوا موقف المتحير ولا يجد أيّ طريق لحل هذه المعضلة والتي حسب آرائهم إنها مخالفة لنظام العلل والمعولات والأسباب، وإنّ قضيّة أن فاطمة «سلام الله عليها» لا ترى الدم ولا الحيض وأمثال هذه القذارة، (حسب قولهم) هي مخالفةٌ لحديث الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها فجعل لكل شيءٍ سبباً. . . »(١) وذلك من جهة خروجها عن هذا النظام الأكمل في الطبيعة فنقول: قد تبين الحال من خلال مراجعة القرآن الكريم وأنّ الكثير من الشواهد القرآنية تدل دلالة قطعيةً على أن الله تعالى قد تصرّف في ملكه وقهر الكثير من القواعد المطردة في الطبيعة الكونية «ذلت لقدرتك الصعاب وتسببت بلطفك الأسباب» «ويا مسبب الأسباب من غير سبب».

(١) بصائر الدرجات - باب معرفة العالم الذي من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله تعالى والسبب الذي يوفّق لمعرفته - ج١ ص٦: حديث: ٢.

قال المحقق الهمداني(١): توجد في القرآن الكريم طائفة من القصص والوقائع والحوادث لا يساعد عليها جريان العادة المشهورة في عالم الطبيعة على نظام العلّة والمعلول المعهودة، كحمل مريم «سلام الله عليها»، فإنّها مع أنّه لم يمسسها بشر حملت بولدها عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، وكحمل سارة بإسحاق عليه السلام مع أنّها كانت عجوزاً قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٢-٧٣]، وكحمل امرأة زكريّا بيحيى مع أنّها كانت عاقراً قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، وأمثال ذلك في المعجزات وخوارق العادات التي يثبتها القرآن لعدّة من الأنبياء الكرام كمعجزات نوحٍ وهودٍ وصالحٍ وإبراهيم ولوطٍ وداود وسليمان وموسى وعيسى ومحمّدٍ عليهم السلام ، فإنّ كلّ ذلك أمور خارقة للعادة.

فبعد هذا البيان يظهر للقارئ الكريم بطلان ما يقال: إنّ الحيض في النساء من لوازم الخلقة، فخلوّ المرأة عنه نقص، وإنّ العادة الشهريّة علامة وسبب للولادة؛ لأنّا نقول: ليس الخروج من مضايق الطبيعة نقصاً بل ربما يكون كرامةً يا لها من كرامة! على أنّ الحيض بنفسه قذارة

(١) فاطمة بهجة قلب المصطفى: ١٦٠ - ١٦١.

ورجس، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢] أي: قذارة يتأذّى منها، فإنّ المرأة حين تحدث لها العادة الشهريّة تنفعل وتخجل وتنكسر ولا ترضى بأن تصرّح بها لكلّ أحد وإن كان أمسّ الناس بها من الرجال والنساء، وقد تحدث فيها ضعفاً، ومن ذلك سقطت عنها في هذه الأيّام الصلاة والصوم، وحرم عليها اللبث في المساجد، وغير ذلك من الأحكام المذكورة في كتب الفقه، حتّى أنّها حين حاضت صارت ناقصة الإيمان كما نبّه عليه الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصلاة والصيام في أيّام حيضهنّ»(١).

فعلى هذا: إنّ الله عزَّ وجلَّ تفضّل على سيّدة النساء فاطمة البتول العذراء «سلام الله عليها» بالولادة الكاملة من دون رؤية هذه القذارة. وهذا فضيلة سامية لها، وتطهير زائد لذاتها «سلام الله عليها». وإنّ الله عزَّ وجلَّ لا يرضى أن تتلوث سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين بهذه القذارة أو غيرها ظاهرةً كانت أم باطنةً، كما قال في حقّها: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ وعن النبيّ «صلّى الله عليه وآله»: يا حميراء إنّ فاطمة ليست كنساء الآدميّين لا تعتلّ كما يعتللن(٢).

(١) نهج البلاغة: خطبة ٧٨.
(٢) البحار: ١٦/٤٣

الموضوع الثاني عشر

فلسفة اسم المرضية «سلام الله عليها»

سؤال: ما معنى المرضية؟

الجواب:[(١)] من خلال التأمل والتدبر في السيرة الذاتية للزهراء عليها السلام وبالرجوع للروايات نحتمل احتمالين لفلسفة هذا الاسم وهما:

الأول: أنّ جميع أعمالها وأفعالها وأقوالها وما صدر منها خلال مسيرة حياتها مرضيٌّ عند الله تبارك وتعالى فالزهراء رضي الله عنها ورضت عنه، فهي راضية مرضية راضية عند الباري عزَّ وجلَّ ومرضية بما وعد الله تبارك وتعالى عباده بالرضوان الأكبر والروايات واضحة الدلالة في ذلك ومنها:

- جاء في الحديث القدسي يقول الباري عز وجل: «يا فاطمة وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أعذب محبيك ومحبي عترتك بالنار»[(٢)].
- وعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «يا فاطمة إنّ الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[(٣)].

---

(١) ينظر: الأسرار الفاطميّة: للعلّامة محمد فاضل المسعودي: ص٤١٢.
(٢) سفينة البحار: ٢/ ٣٧٥.
(٣) المناقب: ٣/١٠٦.

- وعنه «صلّى الله عليه وآله» أنّه قال في حقها: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمدٍ وهي بضعة مني وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»(١).

- وأيضاً قوله «صلّى الله عليه وآله»: «ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن ظلمك فقد ظلمني، لأنك منّي وأنا منك، وأنت بضعة مِنّي وروحي التي بين جنبيّ ثم قال «صلى الله عليه وآله»: «إلى الله أشكو ظالميك من أُمتي»(٢).

- وورد في الحديث الشريف المأثور عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنّه «ما تكاملت نبوة نبيٍّ من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الاولى»(٣).

- وورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا»(٤).

وهذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي أعطت لفاطمة عليها السلام (وعلى لسان حفيدها الحسن العسكري عليه السلام) أكبر شهادة عظمى بحقّها.

- وخرج من الناحية الشريفة عن الإمام المهدي «عجل الله تعالى فرجه الشريف» أنه قال: «وفي ابنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لي

---

(١) البحار: ٥٣/ ١٧٩ و١٨٠، غيبة الطوسي: ١٧٢، الاحتجاج: ٢/ ٢٧٧، إلزام الناصب: ١/ ٤٣٩.
(٢) كشف الغُمّة: ١/ ٤٩٨.
(٣) البحار: ٤٣/ ١٠٥.
(٤) تفسير أطيب البيان: ٣/ ٢٢٦.

أسوة[١] حسنة. . . »[٢].

الثاني: أنها «سلام الله عليها» كانت مرضية، من جهة ما أعطاها الله تبارك وتعالى من المقامات النورانية التي بها فضلها على غيرها، وكذلك وكذلك من خلال ما أعطاها تبارك وتعالى من الذرية الكثيرة حيث جعل منها الأئمة الهادين، وكذلك هي مرضية «سلام الله عليها» من جهة أن لها مقام الشفاعة الكبرى. . .

المقام النوراني:

ففي الحديث عن النبّي «صلّى الله عليه وآله» أنّه قال: لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه، التفت آدم يمنة العرض فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً، قال آدم: يا ربّ هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا، يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الّذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنّة ولا النار، ولا العرش، ولا الكرسي، ولا السماء، ولا الأرض، ولا الملائكة، ولا الانس، ولا الجنّ. فأنا المحمود وهذا محّمد، وأنا العالي وهذا علّي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزّتي أنّه لا يأتيني أحد بمثقال ذرّةٍ من خردلٍ من بغض أحدهم إلّا أدخلته ناري ولا أبالي.

(١) أي: اتخذها قدوةً له يتأسى بها في المعضلات والمصائب. . .
(٢) البحار: ٥٣/ ١٧٩ و١٨٠، غيبة الطوسي: ١٧٢، الاحتجاج: ٢/ ٢٧٧، إلزام الناصب: ١/ ٤٣٩.

يا آدم، هؤلاء صفوتي من خلقي، بهم أنجيهم وبهم أهلكهم، فإذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسّل. فقال النبّي «صلى الله عليه وآله»: نحن سفينة النجاة، من تعلّق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت(١).

الذرية الكثيرة(٢):

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكَوثَر: ١] المراد من الكوثر هو: الخير الكثير، والمراد من الخير الكثير: كَثرَة الذُّرِّيَّة، لِمَا في ذلك من تَطْييبٍ لِنَفْسِ النبي.

ففي الرواية عن النبي «صلّى الله عليه وآله» قال لخديجة قبل ولادة فاطمة عليها السلام: هَذا جِبرَئِيلُ يُبَشِّرُنِي أَنَّها أُنثَى، وأَنَّهَا النَّسلَةُ، الطاهرةُ، المَيْمُونَةُ، وأنَّ الله تبارك وتعالى سيجعل نَسلِي مِنها، وسيجعل مِن نَسْلِهَا أئمةً، ويجعلُهُم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه(٣).

مقام الشفاعة:

- قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: «يا فاطمة أبشري فلك عند الله مقامٌ محمودٌ تشفعين فيه لمحبيك وشيعتك فتُشفعين»(٤).
- وورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: قال جابر لابي جعفر عليه السلام: جعلت فداك يابن رسول الله حدثني بحديثٍ في فضل

(١) فرائد السمطين: ١/ ٣٦.
(٢) مستفاد من كلمات العلّامة السيد كمال الحيدري.
(٣) بحار الأنوار: ج ١٦: ص[٨٠]: ح٢٠.
(٤) كنز الفوائد: ١/ ١٥٠.

جدتك فاطمة إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك، قال أبو جعفر عليه السلام: حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله» قال: إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة، ثم يقول الله: يا محمد اخطب، فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها، ثم ينصب للأوصياء منابر من نور وينصب لوصيي عليٍّ بن أبي طالب في أوساطهم منبر من نور فيكون منبره أعلى منابرهم، ثم يقول الله: يا علي اخطب فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها، ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور، فيكون لابني وسبطي وريحانتي أيام حياتي منبر من نور، ثم يقال لهما: اخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلها، ثم ينادي المنادي وهو جبرئيل عليه السلام: أين فاطمة بنت محمد؟ أين خديجة بنت خويلد؟ أين مريم بنت عمران؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين أم كلثوم؟ أين أم يحيى ابن زكريا؟ فيقمن، فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟ فيقول محمد وعلي والحسن والحسين: لله الواحدِ القهار، فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعليٍّ والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضوا الأبصار فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنة مُدبَّجةِ الجنبين، خطامها من اللؤلؤ الرطب، عليها رحل من المرجان، فتناخ بين يديها فتركبها فيبعث الله مائة ألف ملكٍ ليسيروا عن يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملكٍ ليسيروا عن يسارها

ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها على باب الجنة فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت، فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟ فتقول: يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لاحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه، الجنة، قال أبو جعفر عليه السلام: والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة فخذوا بيده وأدخلوه الجنة، قال أبو جعفر عليه السلام: والله لا يبقى في الناس إلا شاكٌّ أو كافر أو منافق فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١] فيقولون: «فلو أن لنا كرةً فنكون من المؤمنين» قال أبو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات منعوا ما طلبوا ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨](١).

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٨ / ص٥١.

الموضوع الثالث عشر

فلسفة تسمية فاطمة عليها السلام (بالطاهرة)

الطاهرة: من الأسماء الجميلة التي تدلُّ على معنًى يصبو إليه كل مؤمن (هو الطهارة الباطنية والظاهرية)، حيث سُمِّيَتْ به فاطمة «سلام الله عليها» والأدلة النقلية والعقلية والشواهد التأريخية أثبتت ذلك بشكل جليٍّ وواضح واليك لمعةً من تلك الشواهد:

الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣](١).

يقول العلامة الطباطبائي «عليه الرحمة»(٢): كلمة «إنّما» تدل على حصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير وكلمة (أهل البيت) سواء كانت لمجرد الاختصاص أم مدحاً أم نداءً تدلُّ على اختصاص إذهاب الرجس والتطهير بالمخاطبين بقوله: «عنكم»، ففي الآية في الحقيقة قصران: قصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير وقصر إذهاب الرجس والتطهير على أهل البيت.

والرجس - بالكسر فالسكون - صفة من الرجاسة وهي القذارة،

---

(١) ينظر: الأسرار الفاطميّة عليها السلام للشيخ المسعودي ص٤٠٦.
(٢) الميزان ج ١٦: ص٣١٥-٣١٩ مؤسسة المجتبى.

والقذارة هيئة في الشيء توجب التجنُّب والتنفر منها، وتكون بحسب ظاهر الشيء كرجاسة الخنزير، قال تعالى: (أو لحم الخنزير فإنّه رجس)، وبحسب باطنه - وهو الرجاسة والقذارة المعنوية - كالشرك والكفر وأثر العمل السيّء، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥]، وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وأيّاً ما كان فهو إدراك نفساني وأثر شعوري من تعلق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيء وإذهاب الرجس - واللام فيه للجنس - إزالة كل هيئة خبيثة في النفس تخطئ حقّ الاعتقاد والعمل فتنطبق على العصمة الإلهية التي هي صورة علمية نفسانية تحفظ الإنسان من باطل الاعتقاد وسيّء العمل.

. . . فمن المتعين حمل إذهاب الرجس في الآية على العصمة ويكون المراد بالتطهير في قوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ - وقد أكّد بالمصدر - إزالة أثر الرجس بإيراد ما يقابله بعد إذهاب أصله، ومن المعلوم أن ما يقابل الاعتقاد الباطل هو الاعتقاد الحق فتطهيرهم هو تجهيزهم بإدراك الحق في الاعتقاد والعمل، ويكون المراد بالإرادة أيضاً غير الإرادة التشريعية لما عرفت أن الإرادة التشريعية (التي هي توجيه التكاليف إلى المكلف) لا تلائم المقام أصلاً.

والمعنى: أنّ الله سبحانه تستمر إرادته أن يخصكم بموهبة العصمة بإذهاب الاعتقاد الباطل وأثر العمل السيئ عنكم أهل البيت وإيراد ما يزيل أثر ذلك عليكم وهي العصمة.

وخلاصة حديث العلامة الطباطبائي «عليه الرحمة»: أنّ هذه الآية تثبت أعلى مراتب التطهير لآل البيت عليهم السلام.

الثاني: عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام: قال: إنّما سُمِّيَتْ فاطمة بنت محمّدٍ «صلّى الله عليه وآله» «الطاهرة» لطهارتها من كلّ دنس، وطهارتها من كلّ رفث، وما رأت قطّ يوماً حمرة ولا نفاساً(١).

ومن الأحاديث الدالة على طهارتهم ما نستشفه من خلال هذا السؤال المنقول عن الشيخ الطوسي رحمه الله: ... هل اغتسل أمير المؤمنين (صلواتُ الله عليه) حين غسل رسول الله «صلّى الله عليه وآله» عند موته؟ فأجابه(٢): النبي «صلّى الله عليه وآله»، طاهر مطهر عليه السلام (٣)، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام فعل وجرت به السنة(٤).

الثالث: حادثة سدّ أبواب المسجد النبوي إلا باب فاطمة عليها السلام فقضية سد الأبواب بالنسبة للمسجد النبوي الشريف إلّا لأهل البيت عليهم السلام في زمن النبي محمد «صلّى الله عليه وآله» هي أفضل شاهد على طهارتهم الظاهرية والباطنية.

وإليك تلك الحادثة كما يرويها التاريخ(٥) «روى أبو رافع قال: خطب النبي «صلّى الله عليه وآله» فقال: أيها الناس الله تعالى أمر موسى

---

(١) البحار: ٤٣/ ١٩، ١٦. مصباح الأنوار على ما في العوالم: **٢٢٢** مخطوط.
(٢) الجواب وارد عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام.
(٣) لأن ثبوت هذا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» يعني ثبوتهُ لأصحاب العصمة عليهم السلام لشمولهم بآية التطهير.
(٤) التهذيب: ج ١، ص١٠٧، ح ٢٨١.
(٥) بحار الانوار / جزء ٣٤ / صفحة [١٩٠].

بن عمران أن يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا هو وهارون وابنا هارون: شبر وشبير وإن الله أمرني أن أبني مسجداً لا يسكنه إلا أنا وعلي والحسن والحسين، سدوا هذه الأبواب إلا باب عليٍّ، فخرج حمزة يبكي فقال: يا رسول الله أخرجت عمك وأسكنت ابن عمك، فقال: ما أنا أخرجتك وأسكنته ولكن الله أسكنه، فقال بعض الصحابة وقيل هو أبو بكر: دع لي كوة أنظر فيها! قال «صلّى الله عليه وآله»: لا ولا رأس إبرة.

وقال العلّامة الأميني[١] «رحمه الله»: إنّ سدّ الأبواب الشارعة (المشرعة) في المسجد كان لتطهيره عن (من) الأدناس الظاهريّة والمعنويّة، فلا يمرّ به أحد جنباً، ولا يجنب فيه أحد.

وأمّا ترك بابه «صلّى الله عليه وآله» وباب أمير المؤمنين عليه السلام فلطهارتهما عن (من) كلّ رجس ودنس بنصّ آية التطهير، حتّى أنّ الجنابة لا تحدث فيهما من الخبث المعنوي ما تحدث في غيرهما...

وقوله «صلّى الله عليه وآله»: ألا إنّ مسجدي حرام على كلّ حائض من النساء وكلّ جنب من الرجال إلّا على محمد وأهل بيته عليهم السلام علي وفاطمة والحسن والحسين[٢] صلوات الله عليهم أجمعين.

يقول العلامة المسعودي دامت بركاته[٣] «فزبدة المخض من هذه كلّها أنّ إبقاء ذلك الباب والإذن لأهله بما أذن الله لرسوله ممّا خصّ به مبتنٍ على نزول آية التطهير النافية عنهم كلّ نوع من الرجاسة».

---

(١) الغدير: ٣/ ٢١١.
(٢) سنن البيهقي: ٧/ ٦٥
(٣) الأسرار الفاطميّة ص٤٠٨

سؤال: هناك روايات لسانها أن تأمُرَ فاطمة الزهراء عليها السلام بقضاء الصوم للحيض... وأنّ رسول الله «صلّى الله عليه وآله» كان يأمر فاطمة عليها السلام بذلك، ألا يتنافى هذا مع طهارتها؟

الجواب أنّه: لا يخفى أنّ ما في هذه الروايات لا ينافي ما في أحاديث أخرى، ووجه الجمع حمل أمره «صلّى الله عليه وآله» لها على إرادة تعليم المؤمنات، وهو نوع من التجوّز في الخطاب شائع، ولعلّ المقتضي له في هذا الموضع رعاية خفاء هذه الكرامة كغيرها ممّا ينافي ظهوره بلاء التكليف[1].

وهكذا خطابات واردة في القرآن والسنة والمراد منها (إياك أعني واسمعي يا جارة) ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القَصَص: ٨٦] حيث يقول العلامة الطبرسي «عليه الرحمة» في تفسيره (مجمع البيان) عند مروره بهذه الآية... (أي: معيناً لهم) وفي هذا دلالة على وجوب معاداة أهل الباطل وفي هذه الآية وما بعدها وإن كان الخطاب للنبيّ «صلّى الله عليه وآله» فالمراد غيره وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقول: «القرآن كله إياك أعني واسمعي يا جارة».

(١) منتقى الجمان: ١/ ٢٢٤.

الموضوع الرابع عشر

فلسفة اسمي الصديقة والمباركة

أولاً: الصديقة[١]

وهو ثاني الأسماء المباركة لفاطمة الزهراء عليها السلام الذي هو معروف على لسان أهل البيت، وقد سماها به الله تبارك وتعالى إجلالاً وإكراماً لمقامها السامي ولما وصلت إليه من التصديق بكلّ ما أمر الله ورسوله «صلّى الله عليه واله»والصديقة صيغة مبالغة في الصدق والتصديق أي: أنها «سلام الله عليها» كثيرة الصدق... وأياً كان منها معنى الصديق فان فاطمة الزهراء «سلام الله عليها» تنطبق عليها جميع الأقوال فهي «سلام الله عليها» كانت المداومة على التصديق بما يوجبه الحق جلّ وعلا حيث كانت المصدقة بكل ما أمر الله به وبأنبيائه ولا يداخلُها في أي شيء من ذلك أي شك كان وكانت المصداق الأفضل مع أوليائه المعصومين عليهم السلام ويمكن التعرف اكثر على فلسفة هذا الاسم من خلال القرآن والسنة[٢].

(١) ينظر: الأسرار الفاطميّة – الشيخ محمد فاضل المسعودي – ٣٩٦.
(٢) أي: سنة المعصوم النبي وآله عليه و«عليهم السلام»».

عظمة هذا الاسم في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحَديد: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المَائدة: ٧٥]، حيث فسرت كلمة صديقة في هذه الآية المباركة بأنها تصدق بآيات ربها، ومنزلة ولدها وتصدقه فيما أخبرها به، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ [التَّحْريم: ١٢].

عظمة هذا الاسم في الأحاديث

١ - عن مفضّل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من غسل فاطمة عليها السلام؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، فكأنّما استضقت (استفظعت) ذلك من قوله، فقال لي: كأنّك ضقت ممّا أخبرتك به، فقلت: قد كان ذلك جعلت فداك، فقال: لا يضيقنّ فإنّها صدّيقة لم يكن يغسّلها إلا صدّيق، أما علمت أنّ مريم لم يغسّلها إلا عيسى؟[١].

٢ - عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: أنّه قال لعليّ عليه السلام: أوتيت ثلاثاً لم يُؤتهنّ أحد ولا أنا: أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي، وأوتيت زوجة صدّيقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها زوجةً، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنّكم منّي وأنا منكم[٢].

---

(١) الوسائل: ٢/ ٧١٤ - ٧١٥.
(٢) الرياض النضرة: ٢/ ٢٠٢ على ما في الغدير: ٢/ ٣٠٥.

٣ – وقال الإمام الصادق عليه السلام: وهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى(١).

على معرفتها دارت القرون الأولى

ولعله ينقدح في الذهن السؤال التالي: ما المقصود من «وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»؟

الجواب(٢): الرواية ذكرها الشيخ الطوسي في (الأمالي ٦٦٨) عن الحسين بن إبراهيم القزويني عن محمد بن وهبان عن علي بن حبشي عن العباس بن محمد بن الحسين عن أبيه عن صفوان بن يحيى عن الحسين بن أبي عندر عن إسحاق بن عمار وأبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، . . .

وذكر في معنى الحديث أن جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أمروا أممهم بمعرفة الصديقة الكبرى عليها السلام وكلفوهم عرفان المقامات الفاطمية أي أنّ أحكام جميع الأمم وتكاليفهم الشرعية منوطة بمعرفة الزهراء عليها السلام أي: أن السعادة والشقاء لأهل كل زمان تدور مدار التولي والتبري لجناب الصديقة الكبرى عليها السلام. وهذا الأمر ثابت في الروايات(٣).

(١) البحار: ٤٣، ١٠٥.
(٢) مركز الابحاث العقائدية / www . aqaed . com.
(٣) انظر الخصائص الفاطميّة للشيخ محمد باقر الكجوري ١/ ٢٢٤.

ثانياً: المباركة[١]

وهو ثالث الأسماء التي وردت عن لسان المعصوم عليه السلام لفاطمة الزهراء «سلام الله عليها» عند الباري عزَّ وجلَّ.

سؤال: كيف نتعرف على مدلولات هذا الاسم؟

الجواب: من خلال:

١ - **اللغة:** ما معنى المبارك في اللغة؟

الجواب: فلقد ورد في معنى كلمة البركة أنّها النماء والزيادة، وعن الزجاج «المبارك ما يأتي من قبله الخير الكثير»[٢]. وقيل: إنّ البركة: هي النماء والسعادة والزيادة[٣].

٢ - **النصوص القرآنية:**

- من خلال القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثَر: ١]، ولقد انطبقت عليها هذه المعاني لكثرة بركتها على رسول الله «صلّى الله عليه وآله» وعلى أهل بيته وعلى شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، فأيّ بركة بعد رسول الله «صلّى الله عليه وآله» مثل فاطمة ويمكن أن نلمس ذلك في محاور منها:

الأول: على معرفتها دارت القرون الأولى.

الثاني: وأيّ بركة أكبر وأفضل من بركة فاطمة «سلام الله عليها»

---

(١) ينظر: الأسرار الفاطميّة - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ٣٩٨.
(٢) لسان العرب: مادة برك.
(٣) تاج العروس: مادة البركة.

على الشيعة وخاصةً في هذه الحياة الدنيا حيث كانت الوعاء الأكبر للإمامة التي مثلت أفضل مصاديق الولاية الكبرى.

الثالث: وأي بركة أفضل منها عندما تأتي يوم القيامة وتخلص شيعتها ومحبيها من عذاب النار.

حيث ورد في الخبر(١) «قال العلامة المجلسي «عليه الرحمة»: رأيت في بعض مؤلفات أصحابنا أنه حكي عن السيد علي الحسيني أنّهُ قال: كنت مجاوراً في مشهد مولاي عليّاً بن موسى الرضا عليه السلام مع جماعة من المؤمنين، فلما كان اليوم العاشر من شهر محرَّم ابتدأ رجل من أصحابنا بقراءة مقتل الحسين عليه السلام فوردت رواية عن الباقر عليه السلام أنه قال: من ذرفت عيناه على مصاب الحسين عليه السلام ولو مثل جناح البعوضة غفر الله ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر.

وكان في المجلس معنا جاهل مركب يدّعي العلم، ولا يعرفه، فقال: ليس هذا الصحيح والعقل لا يعتقد، وكثر البحث بيننا، وافترقنا عن ذلك المجلس، وهو مصرّ على العناد في تكذيب الحديث.

فنام ذلك الرجل تلك الليلة، فرأى في منامه كأن القيامة قد قامت، وحشر الناس في صعيد صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً. وقد نُصبت الموازين، وامتد الصراط، ووضع الحساب ونشرت الكتب، وسِّرت النيران، وزخرفت الجنان واشتد الحر عليه، وإذا هو قد عطش عطشاً شديداً، وبقي يطلب الماء فلا يجده.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص٢٩٣ ح ٣٨. نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج٢٤، ص: ١٧٤,.

فالتفت يميناً وشمالاً، وإذا هو بحوض عظيم الطول والعرض، قال: قلت في نفسي: هذا هو الكوثر، فإذا فيه ماء أبرد من الثلج وأحلى من العذب، وإذا عند الحوض رجلان وامرأة أنوارهم تشرق على الخلائق، ومع ذلك لبسهم السواد، وهم باكون محزونون.

فقلت: من هؤلاء؟ فقال لي: هذا محمد المصطفى، وهذا الإمام علي المرتضى، وهذه الطاهرة فاطمة الزهراء عليهم السلام. فقلت: ما لي أراهم لابسين السواد وباكين ومحزونين؟ فقيل لي: أليس هذا يوم عاشوراء، يوم مقتل الحسين عليه السلام؟ فهم محزونون لأجل ذلك قال: فدنوت من سيدة النساء فاطمة عليها السلام وقلت لها: يا بنت رسول الله، إني عطشان! فنظرت شزراً وقالت لي: أنت الذي تنكر فضل البكاء على مصاب ولدي الحسين ومهجة قلبي وقرّة عيني الشهيد المقتول ظلماً وعدواناً؟ لعن الله قاتليه وظالميه ومانعيه من شرب الماء.

قال الرجل: «فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً واستغفرت الله كثيراً، وندمت على ما كان مني، وأتيت إلى أصحابي الذين كنت معهم، وخبّرت برؤياي، وتبت إلى الله عزَّ وجلَّ».

٣ - من خلال الروايات

- قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله» في حديث طويل: يا فاطمة، ما بعث الله نبيّاً إلا جعل له ذرّيّةً من صلبه، وجعل ذرّيّتي من صلب عليّ، ولولا عليّ ما كانت لي ذرّيّة[١]. قال ابن أبي الحديد في ذيل كلام عليّ عليه السلام: «إملكوا عنّي هذا الغلام لا يهدَّني، فإنّني أنفس

(١) البحار: ٤٣/ ١٠١.

بهذين (يعني الحسن والحسين)» على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله «صلّى الله عليه وآله»[١].

- قيل لمحمّد ابن الحنفيّة: لِمَ يغرّر[٢] بك أبوك في الحرب ولِمَ لا يغرّر بالحسن والحسين؟ فقال: لأنّهما عيناه، وأنا يمينه، وهو يذبّ عن عينيه بيمينه [٣].

٤ - رأي عظماء المفسرين في معنى سورة الكوثر[٤]

أولاً: العلامة الطباطبائي «عليه الرحمة»:

قال: إنّ كثرة ذرّيّته هي المرادة وحدها بالكوثر الذي أُعطيه النبيّ «صلّى الله عليه وآله» أو المراد بها الخير الكثير، وكثرة الذرّيّة مرادة في ضمن الخير الكثير... وقد استفاضت الروايات أنّ السورة إنّما نزلت فيمن عابه «صلّى الله عليه وآله» بالأبتر بعد ما مات ابنه القاسم وعبدالله... وبالجملة لا تخلو الآية الشريفة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكَوثَر: ١] من دلالة على أنّ ولد فاطمة عليها السلام ذرّيّته «صلّى الله عليه وآله»، وهذا في نفسه من ملامح القرآن الكريم، فقد كثّر الله تعالى نسله بعد كثرة لا يعادلهم فيها أيّ نسل آخر، مع ما نزل عليهم من النوائب، وأفنى جموعهم من المقاتل الذريعة[٥].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٥.
(٢) يُغرِّر: أي: يشجعه على الغوص للغوص في اعماق الحرب بدلاً عن الحسن والحسين.
(٣) شرح النهج: ١١/٢٦.
(٤) ينظر: الأسرار الفاطميّة - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ٣٩٩.
(٥) الميزان: ٢٠/ ٣٧٠ - ٣٧١.

ثانياً: العلامة الفخر الرازي

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، والقول الثالث: الكوثر أولاده.

قالوا: لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردّاً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه (أولاداً) يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، والعالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني - أُميّة في الدنيا أحد يعبأ به! ثمّ انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكيّة وأمثالهم.

سبب نزول سورة الكوثر(١)

سؤال: من هؤلاء الذين عابوا النبي «صلّى الله عليه وآله» بأنّه أبتر؟

الجواب: ذكر في سبب نزول السّورة: أنّ «العاص بن وائل» رأى رسول الله «صلّى الله عليه وآله» يخرج من المسجد، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدثا، وأُناس من صناديد قريش جلوس في المسجد. فلما دخل «العاص» قيل له من الذي كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتر. وكان قد توفي عبد الله بن رسول الله «صلّى الله عليه وآله» وهو من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر. فسمته قريش عند موت ابنه أبتر. (فنزلت السّورة تبشر النّبي بالنعم الوافرة والكوثر وتصف عدوّه بالأبتر).

(١) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل للعلّامة مكارم الشيرازي ج٢٠ تفسير سورة الكوثر.

ولمزيد من التوضيح نذكر أنّ النّبي ﷺ كان له ولدان من أُم المؤمنين خديجة عليها السلام أحدهما «القاسم» والآخر «الطاهر» ويسمى أيضاً عبد الله. وتوفي كلاهما في مكّة. وأصبح النّبي من دون ولد. هذه المسألة وفرت للأعداء فرصة الطعن بالنّبي فسمّوه الأبتر.

ومن هنا نستنتج أن الخير الكثير أو الكوثر هو فاطمة الزهراء عليها السلام، لأن نسل الرسول «صلّى الله عليه وآله» انتشر في العالم بواسطة هذه البنت الكريمة... وذرية الرسول من فاطمة لم يكونوا امتداداً جسمياً للرسول «صلّى الله عليه وآله» فحسب، بل كانوا امتداداً رسالياً صانوا الإسلام وضحوا من أجل المحافظة عليه وكان منهم أئمّة الدين الاثنا عشر، أو الخلفاء الاثنا عشر بعد النّبي كما أخبر عنهم رسول الله «صلّى الله عليه وآله» في الأحاديث المتواترة بين السنة والشيعة، وكان منهم أيضاً الآلاف المؤلفة من كبار العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسّرين وقادة الأمة.

مناظرات بين الأئمة عليهم السلام وتلاميذهم من جهة وبين من ينكر انهم أولاد رسول الله «صلّى الله عليه وآله» من جهة أخرى(١):

والآن نطرح السؤال التالي: هل جرت مناظرات بين الأئمة عليهم السلام وتلاميذهم من جهة وبين من ينكر أنّهم أولاد رسول الله «صلّى الله عليه وآله» من جهة أخرى.

الجواب: نعم... كتب التاريخ مشحونة بالوثائق في هذا المجال ولنستمع إلى ما كتبه المؤرخون.

(١) ينظر: الأسرار الفاطميّة - الشيخ محمد فاضل المسعودي - **٤٠٣**.

المناظرة الأولى: بين الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وهارون العباسي.

. . . وفيها قال له هارون: لم جوّزتم للعامّة والخاصّة أن ينسبوكم إلى رسول الله «صلّى الله عليه وآله» ويقولون لكم: يا بني رسول الله، وأنتم بنو عليّ؟ وإنّما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنّما هي وعاء، والنبيّ «صلّى الله عليه وآله» جدّكم من قبل أمّكم! فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أن النبيّ «صلّى الله عليه وآله» نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟ فقال: سبحان الله! ولم لا أجيبه بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك. فقلت: لكنّه عليه السلام لا يخطب إليّ ولا ازوّجه.

فقال: ولم؟ فقلت: لأنّه ولدني ولم يلدك.

فقال: أحسنت يا موسى.

ثم قال: كيف قلتم: إنّا ذرّيّة النبي، والنبيّ «صلّى الله عليه وآله» لم يعقب، وإنّما العقب للذكر لا للأنثى، وأنتم ولد الابنة ولا يكون لها عقب؟ فقلت: أسألك بحقّ القرابة والقبر ومن فيه إلا ما أعفيتني عن هذه المسألة، فقال: أو لا تخبرني بحجّتكم فيه يا ولد عليّ، وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم؟ كذا انهي إليّ، ولست أعفيك في كلّ ما أسألك عنه حتّى تأتيني فيه بحجّة من كتاب الله، فأنتم تدّعون معشر ولد عليّ أنّه لا يسقط عنكم منه شيء ألف ولا واو إلا وتأويله عندكم، واحتججتم بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعَام: ٣٨] وقد استغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟ قال: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٥]، من أبو عيسى، يا أمير المؤمنين[(١)]؟

فقال: ليس لعيسى أب، فقلت: إنّما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام، وكذلك ألحقنا بذراري النبّي «صلّى الله عليه وآله» من قبل أمّنا فاطمة عليها السلام.

أزيدك يا أمير المؤمنين؟ قال: هات.

قلت: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٦١]، ولم يدّع أحد أنّه أدخل النبيّ «صلّى الله عليه وآله» تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلّا عليّاً بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وكان تأويل قوله عزَّ وجلَّ (أبناءنا) الحسن والحسين (ونساءنا) فاطمة (وأنفسنا) عليّ بن أبي طالب.. فقال: أحسنت يا موسى...[(٢)].

الثانية: بين سعيد بن جبير «عليه الرحمة» وبين الحجاج بن يوسف الثقفي.

عن عامر الشعبيّ أنّه قال: بعث إليّ الحجّاج ذات ليلةٍ، فخشيت،

---

(١) ان صح هذا القول فهو من باب التقية وليس إمضاءٍ من الإمام عليه السلام.
(٢) البحار: ٤٨/١٢٧.

فقمت وتوضّأت وأوصيت، ثم دخلت عليه فنظرت فإذا نطع منشور وسيف مسلول، فسلّمت عليه، فردّ السلام فقال: لا تخف، فقد أمنتك الليلة وغداً إلى الظهر. وأجلسني عنده، ثمّ أشار فأتي برجلٍ مقيّدٍ بالكبول والأغلال، فوضعوه بين يديه فقال: إنّ هذا الشيخ يقول: إنّ الحسن والحسين كانا ابني رسول الله «صلّى الله عليه وآله»؛ ليأتينّي بحجّة من القرآن وإلا لأضربنّ عنقه.

فقلت: يجب أن تحلّ قيده فإنّه إذا احتجّ فإنّه لا محالة يذهب، وإن لم يحتجّ فإنّ السيف لا يقطع هذا الحديد. فحلّوا قيوده وكبوله، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير، فحزنت بذلك وقلت: كيف يجد حجّة على ذلك من القرآن؟ فقال له الحجّاج: إئتني بحجّة من القرآن على ما ادّعيت وإلا أضرب عنقك.

فقال له: إنتظر فسكت ساعةً ثم قال له مثل ذلك، فقال: انتظر. فسكت ساعةً ثم قال له مثل ذلك، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤] ثم سكت.

وقال للحجّاج: اقرأ ما بعده، فقرأ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥]، فقال سعيد: كيف يليق ههنا (ذكر) عيسى؟ قال: إنّه كان من ذرّيّته، قال: اين كان عيسى من ذرّيّة إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن ابنة(١)، فنسب إليه مع بعده، فالحسن

(١) أي: ابن مريم عليها السلام.

والحسين أولى أن يُنسبا (إلى) رسول الله «صلّى الله عليه وآله» مع قربهما منه. فأمر له بعشرة آلاف دينار وأمر بأن يحملوها معه إلى داره، وأذن له في الرجوع.

قال الشعبّي: فلما أصبحت قلت في نفسي: قد وجب عليّ أن آتي هذا الشيخ فأتعلّم منه معاني القرآن، لأنّي كنت أظنّ أنّي أعرفها فإذا أنا لا أعرفها، فأتيته فإذا هو في المسجد وتلك الدنانير بين يديه يفرّقها عشراً عشراً ويتصدّق بها، ثم قال: هذا كلّه ببركة الحسن والحسين عليهما السلام، لإن أغممنا واحداً لقد أفرحنا ألفاً وأرضينا الله ورسوله(١).

الخلاصة:

والظاهر من خلال سيرتها عليها السلام وما تركت من ذرية طيبة من بعدها أن مسألة البركة واضحة البرهان في حياتها الواقعية، حيث نجد أن ذرية كل رسول من ولده وخصوصاً الذكور إلا نبينا محمداً «صلّى الله عليه وآله» حيث كانت ذريّته من ابنته المباركة فاطمة «سلام الله عليها»، وهذا ما نجده من خلال المأثور الروائي في حياة الرسول وأهل بيته عليهم السلام.

(١) البحار: ٤٣/ ٢٢٩.

الموضوع الخامس عشر

فلسفة تسمية فاطمة عليها السلام بالمحدثة(١)

المحدثة نحتمل فيه: أن تكون الدال المشدّدة مكسورة أو أن تكون الدال المشددة فيه مفتوحةً.

فيكون لكل منهما معنىً:

المحدِّثة

أولاً: الدال المشدّدة مكسورة؛ يكون معنى هذا الاسم أنّها «سلام الله عليها» كانت تحدث أمها خديجة عليها السلام وهذا ما يظهر من خلال مراجعة بعض الروايات، حيث أنها «**سلام الله عليها**» كانت تحدث أمها وهي في بطنها، وكما ورد عندما سئل رسول الله من زوجته خديجة أثناء دخوله عليها قائلاً لها مع من تتحدثين قالت: الجنين الذي في بطني يؤنسني ويحدثني واليك أيها القارئ العزيز تلك الحادثة كما يرويها العلامة القمي «عليه الرحمة» (نعم، إن خديجه لمّا تزوج بها رسول الله

(١) أصل الموضوع مقتبس من الأسرار الفاطميّة للعلّامة المسعودي من ص٤١٣-٤١٨ واجرينا عليه تغييرات فنيّةً في عباراته من حيث الأسلوب وإيضاح العبارات مع التقديم والتأخير والإضافة بحيث يخرج البحث بحلّةٍ أنيقةٍ يستطيع أن يفهمها كلّ قارئ أو مستمع... ولا يعني ذلك أنّ العلّامة هو قاصر في هذا المجال، ولكنّه لعلّه كتبُ بما يلائم البيئة التي هو فيها... وأسأل الله له التوفيق.

صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكة، فكنَّ لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأةً تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك، وكان جزعها وغمها حذراً عليه، فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك عن رسول الله، فدخل رسول الله يوما فسمع خديجة تحدث فاطمة، فقال لها يا خديجة من تحدثين؟ قالت الجنين الذى في بطني، يحدّثني ويؤنسني قال: يا خديجة هذا جبرئيل يخبرني أنّها أنثى، وأنّها النسلة الطاهرة الميمونة وأنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه(١).

المحدَّثة

ثانياً: اذا كانت الدال المشددة مفتوحةً (وهو الأصح على ما يظهر من بعض الأحاديث في المقام وسوف يظهر ذلك من خلال البحث) يكون معنى المحدّثة هو أنّها «سلام الله عليها» كانت تحدّثها الملائكة وتؤنسها وخصوصاً بعد فقد أبيها رسول الله «صلّى الله عليه وآله».

سؤال: وهنا سؤال يطرح نفسه في المقام وينقدح في ذهن القارئ أو المستمع وهو هل من الممكن أن تكون الملائكة تحدث بعض الناس مع أن المعلوم أن الوحي انقطع بعد وفاة الرسول «صلّى الله عليه وآله»، وفي حال ثبوت تحديث الملائكة وإمكان وقوعه ولو على غير نحو الوحي هل يقع هذا مع فاطمة «سلام الله عليها»؟

الجواب: وقبل الإجابة لا بدّ للقارئ والمستمع ان يعلم ان هذا غير

(١) بيت الأحزان - الشيخ عباس القمي - ص٢٣.

الوحي الذي قال عنه سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشّورى: ٥١].

هذا الإيحاء من مختصات الرسل الأنبياء عليهم السلام وحيث إنّه لا نبي بعد مقام الخاتمية وهو القائل «صلّى الله عليه وآله» مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي)[١].

إذن هناك إجماع عند المسلمين على انقطاع النبوة بعد الرسول «صلّى الله عليه وآله».

إذن نعود إلى سؤالنا: ما هذا التحديث المنسوب إلى الزهراء عليها السلام وهل هو من مختصات مدرسة الأمامية، وهل وقع في الأمم السابقة؟

ويمكن الإجابة من خلال القرآن الكريم ومن السنة الشريفة، ونستعين بالله فنقول: أصل التحديث من قبل الملائكة لغير الأنبياء قضية قرآنية لا يمكن إنكارها (وهي ثابتة في الأمم السابقة وهذا ما سيتضح خلال البحث في مشيئة الله تعالى) فنجد من خلال عدة آيات قرآنية ثبوت هذه الحقيقة، وهي أنّ الملائكة يمكن أن تتحدّث مع البشر من غير الأنبياء والرسل عليهم السلام. وإليك بعض هذه الآيات القرآنية التي أثبتت هذه المسألة:

---

(١) الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام تأليف الفقيه المتكلم أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد المتوفى ٤١٣ هـ ق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة قم وهو يسند الحديث الى هذه المصادر علل الشرائع ٢٢٢: أمالي الصدوق ٧ / ١٤٦: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٣ / ١٠: ٢، سنن الترمذي ٣٧٣١ / ٦٤١: ٥، مسند أحمد ٤٣٨: ٦، مجمع الزوائد.

الأولى: قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم: ١٦-٢٠].

الثانية: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣].

الثالثة: قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا[1] بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

الظاهر من خلال التأمل في الآيات المباركة أن مريم «سلام الله عليها» تحدثت مع الملائكة، وكذلك زوجة إبراهيم عليه السلام وهذا من أفضل الأدلّة على مسألة تحدّث الملائكة مع أناس ليسوا بأنبياء فإنّ مريم وسارة «سلام الله عليهما» لم تكونا من الأنبياء بل هما مِن أمهات لأنبياء، ومع ذلك فالملائكة تحدّثت معهما.

ولعلّ سؤالاً ينقدح في ذهن قارئ القرآن أو المستمع مفاده أن القرآن ذكر كلمة (الوحي) في مواضع عديدةٍ لأشخاص، وهم ليسوا بأنبياء فما المقصود بالوحي هنا؟ ومن تلك الآيات:

---

(١) هذه بشارة إبراهيم عليه السلام التي بشرّهُ الله تعالى... وكانت امرأته سارة قائمةً وراء الستار تخدمهم مع إبراهيم... لما سمعت بنبأ هلاك قوم لوط ضحكت فرحاً بهلاك أهل الخبث، فعندئذ بشرها الله تعالى على لسان الملائكة بإسحق ومن بعده يعقوب أي: بولد وولد ولد.../ أيسر التفاسير لأبي بكر للجزائري.

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [القَصَص: ٧].

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المَائدة: ١١١].

الجواب: نرجع إلى القاعدة العامة لفهم مقاصد القرآن والتي أفدناها من خلال كلمات العلامة المحقق آية الله العظمى السيد كمال الحيدري «دام ظله»(١) حيث يقول: لا بدّ من الرجوع إلى القرآن نفسه لفهم مقاصده وكلماته وألفاظه.

ونطرح هذا السؤال على القرآن: هل كلمة الوحي مختصة بالإحياء الاصطلاحي (أي للأنبياء عليهم السلام) أم هناك مقاصد أخرى لكلمة الوحي؟).

وعندما استنطقنا القرآن وجدناه يستعمل كلمة الوحي مع الملائكة والحيوانات فضلاً عن الإنسان:

حيث قال تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الأنفَال: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾ [النّحل: ٦٨].

وفي هذا المجال يقول العلامة صاحب التفسير الأمثل أعلى الله مقامه(٢): إنّ للوحي في القرآن معنىً واسعاً لا ينحصر في الوحي الذي ينزل على الأنبياء، بل إنّ الإلهام الذي ينزل على قلوب الناس يعتبر من

(١) هذا الكلام هو مضمون كلام العلّامة من خلال محاضراته الصوتية الدرسية.
(٢) الأمثل/ الجزء الرابع/ صفحة ١٨٧.

مصاديقه أيضاً، لذلك جاء هذا المعنى في آيات عديدة كما بينا ذلك في قصة السيدة مريم العذراء وسارة أم إسحاق عليه و«عليهما السلام»... بل إن الكلمة تطلق في القرآن حتى في موردِ الغرائز التكوينية عند الحيوان، كالنحل.

إذن يظهر من خلال هذه الآيات القرآنية وآيات أخرى أنّ الوحي ليس مختصاً بالأنبياء والرسل فقط بل هو يتعدى إلى أولياء الله تعالى... بل إلى الملائكة وبعض البشر وإلى الحيوانات وذلك لأن كلمة الوحي لغير الأنبياء عليهم السلام لا تعني الوحي الاصطلاحي المختص بالأنبياء عليهم السلام بل تعني الإعلام الخفي السريع.

وهذا ما تقرره المعاجم اللغوية لكلمة الوحي[١].

فالوحي لغةً: يعني الإعلام الخفيّ السريع.

وفي الاصطلاح: الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى برسله

(١) ما هو الوحي؟ الوحي لغةً: هو الإعلام في خفاء، ولكن ما هو الوحي الالهي الذي اختص به الله سبحانه النبيين من عباده وتجلى بشكل واضح في القرآن الكريم؟
وبصدد الاجابة عن هذا السؤال يمكن أن نقول: إنّ كل فكرة يدركها الانسان فهي ترتبط في وجودها - بسبب أو بآخر - بالله سبحانه وتعالى خالق الإنسان ومدبر أموره. ولكن شعور الإنسان تجاه مصدر هذه الفكرة - بالرغم من إدراكه العقلي لهذه الحقيقة - قد يكون مختلفاً. ونذكر أنحاء ثلاثة لهذا الشعور:
أ - أن يشعر بأنّ الفكرة نابعة من ذاته، ووليدة جهده الخاص وإدراكه الشخصي، وهذا الشعور هو ما نحسه في حالات الإدراك الاعتيادية تجاه أفكارنا العادية. فإنّنا - مع اعتقادنا بأنّ أفكارنا منسوبة الى الله تعالى على أساس أنه الخالق المدبّر لعالم الوجود بجميع مقوّماته، ومنه قدرتنا على التفكر - نشعر بأنّ هذه الفكرة كأنّها وليدة هذا المزيج المركب في ذات أنفسنا وناتجة عن مجموعة المواهب والقدرات الشخصية لنا. لسان العرب ١٥/ ٣٨١ مادة: وحي. /نقلاً عن علوم القرآن لشهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم قدّس سره الشريف.

وأنبيائه لإعلامهم ألوان الهداية والعلم، وإنما جاء تعبير الوحي عن هذه الطريقة باعتبارها خفيةً عن الآخرين.

إذن القرآن يثبت الإيحاء اللغويّ (الإعلام الخفيّ السريع أو الإلهام) على إمكان وقوع ذلك كما حدث مع أُمّ موسى وعيسى عليهما السلام وحواريي عيسى عليه و«عليهم السلام» والملائكة والنحل وكيفية إيحاء الله تعالى لها.

والذي نقول به هو أن فاطمة الزهراء عليها السلام إنما كانت محدّثة من قبل الملائكة بنحوٍ من أنحاء الوحي الذي بينته الآيات آنفة الذكر، فلا محالة أن تكون قد حدثت من قبلِ الملائكة.

سؤال: كيف نستدل على ذلك مع أنّ القرآن لم يصرّح باسم فاطمة عليها السلام؟

الجواب: نحن نعتقد وهو الحق وكما هو ثابت في محله أن الزهراء عليها السلام هي سيدة نساء العالمين من الأولين والأخرين حيث قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: (إن فاطمة سيدة نساء العالمين. . .)[1] وهي بضعة (فاطمة بضعة مني، من سرها فقد سرني، ومن ساءها فقد ساءني)[2]، وهي روح عالم الوجود كما يقول العلامة الالوسي في روح المعاني (إذ البضعية من روح الوجود وسيد كل موجود لا أراها تقابل بشيء وأين الثريّا من يد المتناول. . .)[3] فكيف نتصور (أنَّ) هذا المقام (مقام تحديث الملائكة لمريم وسارة عليهما السلام وأُمّ موسى عليها السلام . . .) ثابت

(١) بشارة المصطفى «صلى الله عليه وآله» لشيعة المرتضى عليه السلام.
(٢) رواه الشيخ في أماليه ١: ٢٤، والمفيد في أماليه: ٢٦٠.
(٣) تفسير الآلوسي: ج ٣ / ص٣١: بحسب المكتبة الالكترونية.

لهن ولم يثبت لسيدة نساء العالمين «صلوات الله وسلامه عليها»؟! فكيف تكون سيدة وكيف تكون هي أفضل نساء الدنيا والآخرة وكيف تكون روح سيد الكائنات النبي الخاتم محمد «صلّى الله عليه وآله» ولم يثبت لها هذا المقام؟! لأن عدم ثبوت هذا المقام لها يعني أنّها لم تكن أفضل النساء من كل الجهات.

إذن بهذه القرائن العقلية والقرآنية نثبت هذا المقام لفاطمة الزهراء عليها السلام.

الشواهد الروائيّة

نحن عندما نأتي إلى الشواهد الروائية لا نبحث عن سندها، لأن المطلب ثبت قرآنياً ونأتي بالروايات من باب مؤيدات لما أثبتناه من القرآن... ومع هذا نجد الروايات صريحةً وصحيحةً لإثبات أنّها محدثة وأنّها أفضل نساء العالمين «صلوات الله وسلامه عليها». ومن تلك الشواهد:

الشاهد الأول: عن إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّما سُمِّيَتْ فاطمة محدّثةً لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين(1).

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣].

فتحدثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيّدة نساء عالمها، وإنّ الله جعلك سيّدة نساء عالمك وعالمها وسيّدة نساء الأولين والآخرين[١].

الشاهد الثاني: عن عبد الله بن الحسن المؤدّب، عن أحمد بن عليٍّ الأصفهاني، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن إسماعيل بن بشّار قال: حدّثنا عليّ بن جعفر الحضرميّ بمصر منذ ثلاثين سنة قال: حدّثنا سليمان قال: محمد بن أبي بكر... قلت: وهل يحدّث الملائكة إلّا الأنبياء؟ قال: إنّ مريم لم تكن نبيّة وكانت محدّثةً، وأمّ موسى بن عمران كانت محدّثة ولم تكن نبيّة، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشّروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تكن نبيّةً، وفاطمة بنت رسول الله «صلّى الله عليه وآله» كانت محدّثةً ولم تكن نبيّةً[٢].

الشاهد الثالث: يقول العلامة الأميني«طيب الله ثراه» قال[٣]: «أصفقت الامّة الإسلامية على أنّ في هذه الأمة (كما لدى الأمم السابقة) أناس محدّثين... وقد أخبر بذلك النبيُّ الأعظم كما ورد في الصّحاح والمسانيد من طريق الفريقين (العامة) والخاصّة، والمحدّث من تكلّمه الملائكة بلا نبوّة ولا رؤية صورة، أو يلهم له ويلقى في روعه شيء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى، أو

(١) البحار: ٤٣/ ٧٨.
(٢) البحار: ٤٣/ ٧٩.
(٣) الغدير: ٥/ ٤٢-٤٩.

ينكت له في قلبه من حقائق تخفى على غيره، أو غير ذلك من المعاني التي يمكن أن (تُراد) منه. فوجود من هذا شأنه من رجالات هذه الأمّة مطبق عليه بين فرق الإسلام، بيد أنّ الخلاف في تشخيصه. فالشيعة ترى عليّاً أمير المؤمنين وأولاده الأئمة «صلوات الله عليهم» من المحدّثين. وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّ في هذه الأمة أناساً محدّثين كما كان في الأمم الماضية، وأمير المؤمنين وأولاده الأئمة الطاهرون علماء محدّثون وليسوا بأنبياء.

وهذا الوصف ليس من خاصّة منصبهم ولا ينحصر بهم بل كانت الصدّيقة كريمة النبي الأعظم «صلّى الله عليه وآله» محدّثة، وسلمان الفارسيّ محدّثاً، نعم كلّ الأئمّة من العترة الطاهرة محدّثون، وليس كلّ محدّثٍ بإمام، ومعنى المحدّث هو العالم بالأشياء بإحدى الطرق الثلاث المفصّلة في الأحاديث. هذا ما عند الشيعة ليس إلا»[(١)].

الشاهد الرابع: وورد عن العلامة المناوي في ذيل الحديث الذي جاء عن النبي «صلّى الله عليه وآله» حول مسألة تحديث الملائكة مع الناس ما نصه: «قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس محدّثون»... وهذه كرامة يكرم الله بها من شاء من صالح عباده، وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء[(٢)].

إذن يظهر من الأحاديث والأقوال المأثورة عن الخاصة والعامة أن مسألة تحديث الملائكة لأناس ليسوا بأنبياء متسالم بها، وما شذ عنها

(١) أي: ولا ندعي لهم النبوة - من الكاتب.
(٢) فيض القدير: ٤/ ٥٠٧.

إلا من يدعي الزور والبهتان ضد الشيعة، فالأمم الماضية وقع فيها هذا الأمر وهذا ما ظهر لنا من خلال القرآن الكريم والروايات. . .

إذن فاطمة الزهراء عليها السلام محدثة من قبل الملائكة وهذا التحديث ليس الوحي الاصطلاحي بل هو اللغوي.

الموضوع السادس عشر
فلسفة اسمي: الزكية، الرضية[١]

أولاً: الزكية

ومعنى هذا الاسم مماثل ومرادف للمباركة، والذي يقتضيه الحال ان الزكاة هي النمو والزيادة في الشيء على وجهٍ ما بحيث يكون ذا أثر واضح نتيجة تلك الزيادة التي تطرأ عليه، فالزهراء زكية من جهة أن الله تعالى قد جعل ذرية الرسول الله «صلّى الله عليه وآله» قد ازدادت ونمت عن طريق الرحم الطاهر للزهراء «سلام الله عليها» فلقد كثر وبانت ذرية الرسول من جهتها «سلام الله عليها» وهذا يقتضي أن تكون الزهراء هي المنبع الذي عن طريقه كثرة ذرية رسول الله، فهي الزكية بكثرة بركتها على شيعتها ويمن المراجعة في هذا الموضوع في باب اسمها المباركة فإنه كما هي مباركة فهي زكية بسبب إخلاصها وحبها الله تعالى وتفانيها في ذات الله.

ثانياً: الرضية

من الأمور المهمة التي تكون ذا أهمية كبيرة في معرفة درجة إيمان الفرد المسلم مسألة الرضا عن الله تعالى، فمقام الرضا يحتاج إلى معرفة

(١) الأسرار الفاطميّة: للعلّامة محمد فاضل المسعودي: ص٤٠٩.

ويقين حتى يصل إليه الإنسان ويكون من الراضين بما قسم الله تعالى وحتى يصل في النهاية إلى مرحلة إيمانية عالية جداً، وكما ورد في دعاء كميل «وتجعلني بقسمك راضياً قانعاً» أي: أن الإنسان المؤمن يطلب من الله تعالى أن يوصله إلى مقام الرضا منه جل وعلا في كل ما يقسمه له من خيرٍ (في السرّاء والضرّاء)، ومع هذا كله فلقد ورد في عدة أحاديث مروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أن رأس طاعة الله تعالى الصبر والرضا عن الله تبارك وتعالى.

وجاء في حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عزَّ وجلَّ[(١)].

فمن خلال هذا الحديث وأحاديث أخرى يظهر مقام الزهراء «سلام الله عليها». . . حيث أنها كانت راضية عن الله تعالى بكل ما قدر لها من خيرٍ وبلاءٍ، وهذا ينم عن الحالة الإيمانية عند فاطمة «سلام الله عليها»، فبملاحظة اسمها الذي لا يظهر معناه إلّا لِمَن حاز على مرتبة شريفة وسامية، وملاحظة أمور أخرى في حياتها «سلام الله عليها» يتضحُ ويظهر أَنّها عليها السلام كانت ذات مرتبة علمية عرفانية بلغت أوج عظمتها، وكما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال «نَحْنُ حُججُ الله على خلقه، وجّدتنا فاطمة عليها السلام حُجّة الله علينا»[(٢)] والحجة لا يكون على الآخرين إلا إذا كان ذا مقامٍ علميٍّ وسامٍ على الآخرين وإلا لا يكون حجة على غيره.

إذن فاطمة «سلام الله عليها» كانت راضيةً. وهذا يظهر من خلال

(١) أصول الكافي: ٢/٦٦.
(٢) تفسير أطيب البيان: ١٣/٢٢٦.

أبسط تأمل لحياتها وما جرى عليها من الظلم والأذى، وما قدر لها من مرارة الدنيا ومشقاتها ومصائبها وبلاياها.

وبمراجعة بعض الروايات في المقام يظهر أن هناك حالة ترابطٍ بين اسم الصديقة لفاطمة «سلام الله عليها» وبين اسمها الراضية، فهناك حالة تلازم كما يظهر من الحديث الذي سأنقله إليك بين حالة الرضا بقضاء الله تعالى وبين الصدّيق الذي يكون عند الله بهذا المقام، فلقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «قال الله عز وجل: عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي أكتبه، أكتبه يا محمد من الصدّيقين عندي»[1].

وتمام هذا الحديث منطبق على سيرتها الذاتية عليها السلام فهي كانت راضيةً بقضاء الله تعالى وصابرةً على ما جرى عليها من الظلم والهوان، وكانت شاكرة لله تعالى فالشكر يدلّ على الرضا وبملاحظة أسماء الزهراء في الرواية المتقدمة في أول الفصل نجد أن من أسمائها الصديقة وأن من الأسماء الأخرى لها هو الراضية، إذن الرضا يؤدي بالعبد إلى درجة الصديقين، والزهراء من خلال استقراء حياتها وسيرتها الذاتية نجد أنها كانت راضية بكل ما قدر الله لها، فهي إذن صديقة. وهذا من أفضل البراهين على أنها كانت صديقة «سلام الله عليها».

وأما من خلال الأحاديث والأقوال الواردة في المقام فهي كثيرة والتي من خلالها بينت أن فاطمة «سلام الله عليها» كانت الراضية، وكما قلنا: إن سيرتها الذاتية طافحة بالأحداث الكثيرة التي أثبتت أنّها كانت

---

(١) أصول الكافي: ٢/٦٨.

راضيةً بما قدر الله لها، فعن علي بن أعبد قال: قال لي عليّ عليه السلام: ألا أحدّثك عنّي وعن فاطمة بنت رسول الله «صلّى الله عليه واله» وكانت من أحبَّ أهله إليه؟ قلت: بلى. قال: إنّها جرّت بالرحى حتّى أثّر في يدها، واستقت بالقربة حتّى أثّر في نحرها، وكنست البيت حتّى اغبرّت ثيابها، وأوقدت القدر حتّى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرّ، فأتى النبيّ عليه السلام خدم، فقلت: لو أتيت أباك فسألته خادماً. فأتته فوجدت عنده حدّاثاً، فاستحيت فرجعت، فأتاها من الغد، فقال: ما كان حاجتك؟ فسكتت، فقلت: أحدّثك يا رسول الله، جرّت عندي بالرحى حتّى أثّر في يدها، وحملت القربة حتّى أثّر في نحرها وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، [و] أوقدت القدر حتّى دكنت ثيابها، فلمّا جاءك الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادماً يقيها حرّ ماهي فيه.

قال: اتّقي(١) الله يا فاطمة، وأدي فريضة ربّك، واعملي عمل أهلك، إن أخذت مضجعك فسبّحي ثلاثاً وثلاثين، وكبّري أربعاً وثلاثين، (واحمدي ثلاثاً وثلاثين) فتلك مائة، فهي خير لك من خادم. فقالت: رضيت عن الله وعن رسوله؛ ولم يخدمها(٢).

---

(١) لعل هذا الخطاب ثقيل على من يسمعه أو يقرأه... أو يتبادر الى الذهن أنه هل الزهراء عليها السلام غير متقيّه؟ أقول: إن هذا الخطاب موجه الى الرسول «صلى الله عليه وآله» من قبل الله سبحانه وتعالى حيث قال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].
إذن لا ملازمة بين الحديث وعدم التقوى المتبادر إلى الذهن.

(٢) مسند فاطمة عليها السلام للحافظ البوطي: ١١٠.

الموضوع السابع عشر
من ألقابها عليها السلام «المنصورة»(١)

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ [الروم: ٤-٥].

المنصورة: لقب تدعى به فاطمة الزهراء عليها السلام في السماء كما ورد في الأحاديث الشريفة.

المنصورة: تعني: المعانة، وناصرها ومعينها هو الله تبارك وتعالى.

علاقة النص القرآني بلقب المنصورة

جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: . . . قال [جبرائيل]: يا محمد! إن هذه تفاحة أهداها الله - عزَّ وجلَّ - إليك من الجنة فأخذتها وضممتها إلى صدري. قال: يا محمد! يقول الله جلّ جلاله: كلها، ففلقتها فرأيت نوراً ساطعاً، ففزعت منه فقال: يا محمد! مالك لا تأكل؟ كلها ولا تخف، فإن ذلك النور (المنصورة) في السماء، وهي في الأرض (فاطمة). قلت: حبيبي

(١) ينظر: الخصائص الفاطميّة: الشيخ محمد باقر الكجوري: ج ١: ص٢١٣ - ٢١٧.

جبرئيل ولم سُمِّيَتْ في السماء «المنصورة» وفي الأرض «فاطمة»؟ قال: سُمِّيَتْ في الأرض «فاطمة»، لأنها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداؤها عن حبها، وهي في السماء «المنصورة»، وذلك قول الله - عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾ يعني: نصر فاطمة لمحبيها[1].

تأويل نصر فاطمة عليها السلام في الحديث يعني نجاة محبيها من النار

وربما كان المقصود من نصر فاطمة في هذا الحديث، نصر محبيها، لأنّ نصر محبيها نصر لها، فيكون معنى المنصورة من لوازم اسمها «فاطمة»، وهو النجاة من النار، وإنما سُمِّيَتْ (فاطمة) لأنها فطمت شيعتها من النار، وأي نصر وإعانة أعظم من أن ينجو المحب لحبها من النار الأبدية؟ وأي نصر أعظم من الغلبة على عدوها؟

والاستشهاد بالآية من باب التأويل، والظاهر أنها عليها السلام «نصر الله»، وسميت «منصورة» لذلك، فهي تنصر من تشاء وتعينه وتذل من تشاء وتقهره. وقد ورد في تعليل الرواية «لنصر فاطمة لمحبيها»، فحبها سبب النجاة والخلاص، وهي نصرة الله، ونصر الله، وهذا المعنى أدق في الجملة...

ويكون ظهور هذه النصرة الحقة وبروزها يوم القيامة وعند موقف

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص٤.

الشفاعة، كما أنّ الفرج لحجة الله الأعظم في هذا العالم سيكون بعد ظهوره إن شاء الله.

وأما إخبار جبرئيل النبي «صلّى الله عليه وآله» في الجنة: أن اسم فاطمة الزهراء في السماء المنصورة، ففيه بشارة روحانية وتكريم رحماني، وإظهار لجلالة قدر المستورة الكبرى، وتسلية لها بالانتقام من أعدائها وشانئيها.

الزهراء عليها السلام منصورة والإمام المهدي «عجل الله فرجه الشريف» يسمى بالمنصور فما العلاقة بين النصرين

أولاً: نصر الحجة في الدنيا: لقد سمى الله سبحانه إمام العصر «عجل الله فرجه الشريف» بـ «المنصور»، ويعتقد الشيعة الإمامية أن الإمام يكون منصوراً بعد ظهور الفرج الأعظم في هذا العالم، فينتقم عليه السلام من الأعداء ويسفك دماء أعداء الله.

ثانياً: وأمّا فاطمة الزهراء عليها السلام: فهي منصورة في الآخرة... فما هي الحكمة في التأجيل والتأخير؟

علة تأخير نصر فاطمة

الجواب: بديهي أن ولي الأمر إذا خرج سيقتل أعداء فاطمة وأبناءها، ويطهر الأرض من وجودهم القذر، وبهذا يثأر لها عليها السلام وينتقم من خصومها، وهي مكافأة دنيوية عاجلة. وأمّا المكافأة

الأخروية، فهي آجلة باقية سرمدية دائمة، ونشر لواء الشفاعة موهبة عظيمة لأحبّاء فاطمة وذريتها الطيبة، وبهذا يكون حجة الله الأعظم منصوراً للانتقام والثأر لأمه الزهراء عليها السلام، وقيامه أيضاً بنصر الله وبه ينصر من يشاء.

وفي يوم القيامة يفرح أحباء فاطمة بمفاد قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الرُّوم: ٤] ويعمهم السرور في يوم الله يوم العرض الأكبر، فتدركهم النصرة الحقة وينالون جزاء محبتهم وهي «خير العمل» ويصلون إلى «رضوان الله».

الزهراء عليها السلام مظهر الرحمة وإمام العصر «عجل الله فرجه» مظهر الغضب الإلهي:

وببيان آخر: إن إمام العصر مظهر القهر والغضب الإلهي، وإنما يقوم ويخرج للانتقام من أعداء فاطمة الزهراء عليها السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام مظهر الرأفة والرحمة والشفقة الربانية، وإنما تقوم يوم الحشر لنجاة محبيها وإنقاذهم من النار.

وتجلي هيكل العصمة يوم القيامة هو ميزان المحبة والعداوة عند أولياء الله وأعداء الله، وهو مميز أهل الثواب وأهل العقاب.

فالنتيجة أن الفرج الأعظم والمنصور بأمر الله هو خيرة الصديقة الكبرى صاحب الزمان، والمأمول من رجال الله القيام بالسيف، كما أن المأمول من النساء - وهن في موقع الرحمة والشفقة - الانطلاق بلسان الترحم والشفاعة.

جواب سؤال

فإن قيل: إن الآية المباركة ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا

فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسرَاء: ٣٣] مؤولة في حق سيد المظلومين وسيد الشهداء الحسين عليه السلام وخاتم الخلفاء إمام العصر صلوات الله عليهما، وهو منصور في الانتقام من قاتلي جده العظيم؟

فالجواب: أنّ أعداء جدّه الحسين عليه السلام هم أعداء فاطمة عليها السلام، ومن آذى ذريتها فقد آذاها، ومن آذاها فقد آذى رسول الله، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله تبارك وتعالى.

والخلاصة: أن هذا اللقب السامي الشريف يبشر محبي فاطمة عليها السلام بحسن العاقبة، والنجاة من مهالك الدنيا والآخرة.

وهذا يعني: أنّ الله سبحانه هو المنتقم الحقيقي من الظالمين والراد الحقيقي على كيد المعاندين، وهو الجازي الذي لا يهمل، وسيأتي اليوم الذي ينشر فيه لواء العدل والنصر ويفتح بساط القسط ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

فليفرح شيعة فاطمة بهذا الاسم الذي يبشّرهم بالشفاعة لهم والانتقام من أعدائهم المعاندين.

نرجو أن نرى هذه الفرقة القليلة الناجية ضاحكةً مستبشرةً تحت لواء ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصَّف: ١٣] ونرى زمرة الظلمة الضالين في حسرتهم باكين مغمومين.

الموضوع الثامن عشر

كيف نختار أسماؤنا؟

بعد ان استعرضنا فلسفة تعدد أسماء الزهراء عليها السلام الإلهية السماوية أقف واياكم أيها الأحبة على فلسفة الأسماء واثارها وضعاً وتكليفاً ولنستمد العون منه سبحانه انه ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١] ولنبدأ بحديث: روي عن إمامنا الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: أنّ رسول الله «صلّى الله عليه وآله» كان يغيّر الأسماء القبيحة في الرجال والبلدان(١).

سؤال: لماذا تغيير الأسماء القبيحة؟

الجواب:

أولاً: لا يخفى أن للتسمية أهمية كبيرة، ولها في نظر أهل البيت عليهم السلام عناية خاصّة، وهي وإن وجدت مع وجود الإنسان باعتبار المدنية الطبيعية المقتضية للتعامل مع الأشخاص والأشياء المختلفة الموجبة للتمييز فيما بينها إلا أنّ تعاليم أهل البيت عليهم السلام أدخلت تعديلات مهمّة في وضعها وإطلاقها على الأشخاص والأشياء راعت فيها الجوانب النفسانية والأخلاقية، فحثّت على تخيّر الاسم الحسن(٢).

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ١٠١ / ص١٢٧.

(٢) مقتبس من كلام الشيخ محمد علي المعلّم (حفظه الله وسدده) في حديث عن تعدد

إذن الاسم له آثار نفسية على السامع والشخص المسمى.

ثانياً: تعتبر التسمية الحسنة من حقوق الأبناء ففي رواية عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنّه قال: جاء رجل إلى النبي «صلّى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله ما حقّ ابني هذا؟ قال: تحسن اسمه، وأدبه، وتضعه موضعاً حسناً[(١)].

ثالثاً: للأسماء معانٍ منها الجميل ومنها القبيح المخزي ويمكن الرجوع إلى الروايات واللغة فيتضح ذلك... ونأخذ مصداقين لذلك وهما:

١ - عن علي ابن عطية قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لعبد الملك بن أعين: كيف سُمِّيَتْ ابنك ضريسا؟ فقال: كيف سماك أبوك جعفر؟ قال: إنّ جعفر نهر في الجنة وضريس اسم شيطان[(٢)].

٢ - مثلاً اسم (عفلق) عندما نرجع إلى اللغة نحصل على هذا المعنى... العَفْلَقَ بتسكين الفاء: الضخم المسترخي، وربَّما سمِّي الفرجُ الواسع بذلك، وكذلك المرأة الخرقاء السيئةُ (سيئة) المنطقِ والعملِ[(٣)].

وقال صاحب العين[(٤)]: العَفْلَقُ: الفَرْجُ إذا كان واسعاً رِخواً، قال: يا ابنَ رَطومٍ ذاتِ فَرْجٍ عَفْلَقِ.

والعَفْلَقُ من الرّجال: الوَخْمُ الضَّخْم.

أسما فاطمة المعصومة عليها السلام في كتابه الموسوم «فاطمة المعصومة قبس من أشعة الزهراء عليها السلام».

(١) وسائل الشيعة: باب استحباب التسمية بعليّ: ح٢٧٣٨٠.
(٢) جامع أحاديث الشيعة: أبواب أحكام الأولاد: ح٣٩٤٤٦: مطبعة قم ١٤٣٤ هـ.
(٣) الصحاح في اللغة - عفلق.
(٤) العين - عفلق.

سؤال: هل هناك موقف عملي لهذه الأطروحة من قبل أهل البيت عليهم السلام؟

الجواب: نعم... وإليكم عدة شواهد ومنها:

الأول: روي عن موسى بن جعفر «عليهما السلام» في حديث إسلام سلمان: وأنّ اسمه كان روزبه، وأنّ النبي «صلّى الله عليه وآله» اشتراه من امرأة يهودية بأربعمائة نخلة - إلى أن قال عليه السلام: قال سلمان: فأعتقني رسول الله «صلّى الله عليه وآله» وسمّاني سلمان(١).

الثالث: ... في خبر طويل في دخول نصرانيٍّ من ملك الروم على رسول الله «صلّى الله عليه وآله» (إلى أن قال) فقال ما اسمك فقلت: إسمي عبد الشمس فقال لي: بدل اسمك فإني أسميك عبد الوهاب. الخبر(٢).

الرابع: ... عن البرقي... قال: إستعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة وأمره أن يفرض لشباب قريش، ففرض لهم، فقال علي بن الحسين عليه السلام: فأتيته فقال: ما اسمك؟ فقلت: علي بن الحسين، فقال: ما اسم أخيك؟ فقلت: علي، فقال: علي وعلي، ما يريد أبوك أن يدع أحداً من ولده إلا سماه علياً؟! ثم فرض لي، فرجعت إلى أبي فأخبرته، فقال: ويلي(٣) على ابن الزرقاء دباغة الادم، لو ولد

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٢٢ / ص٣٥٩.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: باب ما ورد: أنّ من حقوق الولد على والده أن يسميه باسمٍ حسن...: ح٣٩٤٠٨: مطبعة قم ١٤٣٤ هـ.

(٣) «ويلي على ابن الزرقاء» أي: ويل وعذاب وشدة مني عليه، قال الجوهري: ويل كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب يقال: ويله وويلك وويلي وفي الندبة ويلاه قال الأعشى: ويلي عليك وويلي منك يا رجل: بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٤ / ص٢١١.

لي مائة لأحببت أن لا أسمي أحداً منهم إلا علياً(١).

الخامس: روى الكليني بسنده عن يعقوب السرّاج أنّه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى عليه السلام، وهو في المهد، فجعل يسارّه طويلاً فجلست حتى فرغ، فقمت إليه، فقال: أُدن إلى مولاك فسلّم عليه، فدنوت فسلّمت عليه، فردّ عليّ بلسان فصيح ثم قال لي: إذهب فغيّر اسم ابنتك التي سمّيتها أمس، فإنّه اسم يبغضه الله، وكانت ولدت لي بنت فسمّيتها بالحميراء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: انته إلى أمره ترشد. فغيّرت اسمها(٢).

سؤال: ما هي الأسماء المحببة في الشريعة المحمدية المتمثلة بالنبي وآله عليه و«عليهم السلام»؟

الجواب: من خلال الرجوع إلى رواياتهم وسيرتهم العملية تتضح الإجابة وها نحن وإياكم نطلع على طرفٍ من تلك الروايات:

الأولى: استحباب التسمية بأسماء العبودية والأنبياء عليهم السلام قال «صلّى الله عليه وآله»: أصدق الأسماء ما سمي بالعبودية، وأفضلها أسماء الأنبياء(٣).

الثانية: استحباب التسمية بمحمد «صلّى الله عليه وآله»... عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: لا يولد لنا ولد إلا سميناه محمداً، فإذا مضى سبعة أيام فإن شئنا غيرنا وإلا تركنا(٤).

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٤ / ص٢١١.
(٢) المصدر - ج ٤٨ / ص٧٣.
(٣) المصدر- ج ١٠١ / ص١٢٦.
(٤) المصدر - ج ١٠١ / ص١٣١.

الثالثة: استحباب التسمية بعلي عليه السلام قال الإمام الحسين عليه السلام: . . . لو ولد لي مائة لأحببت أن لا أسمي أحداً منهم إلا علياً(١).

الرابعة: . . . استحباب التسمية بأحمد والحسن والحسين وجعفر وطالب وعبد الله وحمزة وفاطمة. عن سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء(٢).

الخامسة: وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي «صلّى الله عليه وآله» فقال: ولد لي غلام، فماذا أسميه؟ قال: بأحب الأسماء إليّ: حمزة(٣).

السادسة: استحباب التسمية بأسماء أهل البيت عليهم السلام؛ لأنها أسماء من الجنة. . . عن. . . أسماء بنت عميس قالت حدثتني فاطمة عليها السلام لما حملت بالحسن عليه السلام وولدته جاء النبي «صلّى الله عليه وآله» فقال: يا أسماء هلّمي ابني. فدفعته إليه. . . وأذّن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى ثم قال لعلي عليه السلام بأي شيء سُمِّيَتْ ابني قال ما كنت أسبقك باسمه يا رسول الله. . . فقال النبي «صلّى الله عليه وآله». ولا أنا أسبق

---

(١) المصدر - ج ٤٤ / ص٢١١.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: السيد حسين البروجردي: باب ما ورد في أن أصدق الأسماء ما سمي بالعبودية وأفضلها أسماء الأنبياء خصوصاً اسم النبي الخاتم وأسماء الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين واسم فاطمة عليها السلام وحمزة وجعفر وطالب، واستحباب إكرام البنت التي اسمها فاطمة وترك إهانتها: ح٣٩٤٢٨: مطبعة قم ١٤٣٤ هـ.

(٣) المصدر: ح٣٩٤٣٥.

باسمه ربّي ثم هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول... سمه الحسن قالت أسماء. فسماه الحسن فلما كان يوم سابعه عق النبيّ «صلّى الله عليه وآله» عنه بكبشين أملحين[(١)]... وتصدق بوزن الشعر ورقا.. قالت أسماء فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام وجاء النبي «صلّى الله عليه وآله» فقال: يا أسماء هلمي ابني. فدفعته إليه في خرقةٍ بيضاء فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ووضعه في حجره فبكى، فقالت أسماء: بأبي أنت وأمي ممّ بكاؤك قال على ابني هذا إنه ولد الساعة، قتله الفئة الباغية من بعدي لا أنالهم الله شفاعتي... ثم قال لعلي: أيّ شيءٍ سُمِّيَتْ ابني هذا قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله... فقال النبي «صلّى الله عليه وآله» ولا أسبق باسمه ربي عزَّ وجلَّ ثم هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: .... سمه الحسين، فلما كان يوم سابعه عق عنه النبي «صلّى الله عليه وآله» بكبشين... ثم حلق رأسه وتصدق بوزن الشعر ورقاً[(٢)] [(٣)].

السابعة: استحباب التسمية بفاطمة عليها السلام: يقول الشيخ محمد علي المعلم حفظه الله وسدده في كتابه الموسوم (فاطمة المعصومة قبس من أشعة الزهراء عليها السلام): إن لهذا الاسم قدسية في نفوس أهل البيت عليهم السلام، ولذا ذكر بعض الباحثين أن جميع الأئمة عليهم السلام كانت لهم

(١) كبش أملح أي: أسود يعلو شعره بياض - المنجد.
(٢) الورق بفتح الواو وكسر الراء: الفضة. والورق: الدراهم المضروبة: مجمع البحرين.
(٣) جامع أحاديث الشيعة: السيد حسين البروجردي: أبواب أحكام الأولاد: ح٣٩٤٣٩: مطبعة قم ١٤٣٤ هـ.

بنات بهذا الاسم، حتى أن أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان اسم أمّه فاطمة واسم زوجته فاطمة، كان له بنت اسمها فاطمة، وأنّ الإمام الكاظم عليه السلام كانت له أربع بنات بهذا الاسم، الأمر الذي يؤكد على أن هذا الاسم ليس أمراً عادياً، فيا ترى ما هو الوجه في ذلك؟

إن شيعة أهل البيت عليهم السلام يدركون تماماً خصوصية هذا الاهتمام وأبعاده ومغزاه، فإن المتسمّيات بفاطمة من النساء كثيرات، إلّا أنّه ما أن يطلق هذا الاسم ويتناهى إلى الأسماع حتى تتبادر الأذهان إلى فاطمة بضعة النبي «صلّى الله عليه وآله» التي كانت واسطة العقد وملتقى النورين ومنشأ السّلالة النبويّة الشريفة والذريّة الطاهرة.

طبعاً قدسية هذا الاسم عند شيعة أهل البيت عليهم السلام مأخوذة من رواياتهم عليهم السلام وإليكم هذه الرواية كما ينقلها الكليني (عليه الرحمة) بسنده عن السكوني، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا مغموم مكروب، فقال لي: يا سكوني ما غمّك؟ فقلت: ولدت لي ابنة، فقال: يا سكوني على الأرض ثقلها، وعلى الله رزقها، تعيش في غير أجلك، وتأكل من غير رزقك، فسرّى والله عني، فقال: ما سمّيتها؟ قلت: فاطمة، قال: آه، آه، آه، ثم وضع يده على جبهته، ثم قال: أما إذا سمّيتها فاطمة فلا تسبّها، ولا تلعنها، ولا تضربها(١).

آثار الأسماء المحببة في الدنيا والآخرة

سؤال: هل لهذه الأسماء المحببة آثار في الدنيا والآخرة؟

---

(١) الفروع من الكافي: ج٦، كتاب العقيقة، باب حق الأولاد، الحديث ٦، ص٤٨: نقلاً عن كتاب فاطمة المعصومة، قبس من اشعة الزهراء عليها السلام.

الجواب: نعم هذا ما صرحت به رواياتهم عليهم السلام . . . ومن تلك الآثار:

أولاً: دلالة الحب للنبي وآله عليه و«عليهم السلام»: عن ربعي بن عبد الله قال قيل لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك إنا نسمى بأسمائكم وأسماء آبائكم فينفعنا ذلك فقال: إي والله وهل الدين إلا الحب قال الله : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ٣١][(١)].

ثانياً: إكرام المسمى بهذه الأسماء المقدسة تعظيماً لها: . . . عن أبي هارون مولى آل جعدة قال: كنت جليساً لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة ففقدني أياماً ثم إني جئت إليه فقال لي: لم أرك منذ أيام يا أبا هارون فقلت: ولد لي غلام. فقال: بارك الله فيه، فما سميته؟ قلت: سميته محمداً قال: فأقبل بخدّه نحو الأرض وهو يقول: محمد محمد محمد. حتى كاد يلصق خده بالأرض، ثم قال: بنفسي وبولدي وبأهلي وبأبويّ وبأهل الأرض كلّهم جميعاً الفداء لرسول الله «صلّى الله عليه وآله» لا تسبه ولا تضربه ولا تسئ إليه واعلم أنه ليس في الأرض دار فيها اسم محمد إلا وهي تقدس كل يوم. ثم قال لي: عققت عنه؟ قال: فأمسكت. قال وقد رآني حيث أُمسك ظن أنى لم أفعل فقال يا مصادف أدن مني فوالله ما علمت ما قال له إلا أني ظننت أنه قد أمر لي بشيء فذهبت لأقوم فقال لي: كما أنت يا أبا هارون فجاءني مصادف بثلاثة

(١) جامع أحاديث الشيعة: السيد حسين البروجردي: باب ما ورد أن أصدق الاسماء ما سمي بالعبودية وأفضلها أسماء الانبياء خصوصاً اسم النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وأسماء الأئمة عليهم السلام واسم فاطمة عليها السلام . . . : ح٣٩٤١٩: مطبعة قم ١٤٣٤ هـ.

دنانير فوضعها في يدي فقال: يا أبا هارون اذهب فاشتر كبشين واستسمنهما واذبحهما وكل وأطعم(١).

وفي رواية أخرى: عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله» أنه قال: إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه وأوسعوا له في المجالس ولا تقبحوا له وجها.

ثالثاً: الشيطان يذوب من تلك الأسماء الشريفة**!**: عن جابر قال: أراد أبو جعفر عليه السلام الركوب إلى بعض شيعته ليعوده فقال: يا جابر الحقني. فتبعه فلما انتهى إلى باب الدار خرج علينا ابن له صغير فقال له أبو جعفر عليه السلام: ما اسمك قال: محمد قال: فبما تكنى قال: بعلي فقال له أبو جعفر عليه السلام: لقد احتضرت من الشيطان احتضاراً شديداً إن الشيطان إذا سمع منادياً ينادي يا محمد يا علي ذاب كما يذوب الرصاص، حتى إذا سمع منادياً ينادي باسم عدوٍّ ومن أعدائنا اهتزّ واختال(٢).

رابعاً: ارتفاع الفقر ببركة تلك الأسماء... عن بكر بن صالح عن سليمان الجعفري قال سمعت أبا الحسن عليه السلام: يقول لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد أو عليّ أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء عليهم السلام (٣).

خامساً: البركة بمشورة أصحاب تلك الأسماء: ... فما من قومٍ كانت لهم مشورة حضر معهم من اسمه أحمد أو محمد فأدخلوه في مشورتهم إلا خير لهم، وما من مائدة نصبت وحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس ذلك البيت في كل يوم مرتين(٤).

(١) المصدر: ح٣٩٤٢١.
(٢) المصدر: ح٣٩٤٢٣.
(٣) المصدر: ح٣٩٤٢٨.
(٤) المصدر: ح٣٩٤٣٠.

سادساً: إعطاء نور يوم القيامة. . . عن أبيه عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله» استحسنوا أسماءكم فإنكم تدعون بها يوم القيامة قم يا فلان بن فلان إلى نورك وقم يا فلان بن فلان لا نور لك(١).

سابعاً: شفاعة تلك الأسماء لصاحبها يوم القيامة: . . . عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام عن ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم كل من اسمه محمد، فيدخل الجنة لكرامة سميّه محمد «صلّى الله عليه وآله»(٢).

سؤال: هل كل من سميه بهذه له هذه الآثار الطيبة؟

الجواب: عندما نرجع إلى الآيات الروايات نحصل على ميزان وضابطة مفادها (يحاسب الإنسان على عمله لا على الأسماء والألقاب). . . قال تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٣].

وفي الحديث. . . إن رجلاً يؤتى في القيامة واسمه محمد فيقول الله له: ما استحييت إن إذ عصيتني وأنت سمي حبيبي وأنا أستحيي أن أُعذبك وأنت سمي حبيبي(٣).

وهذا الحديث يشعر أنّ هناك ثمرةً للتسمية بهذه الأسماء الشريفة ما دام الإنسان مؤمناً وقد خلط عملاً صالحاً وطالحاً. . .

---

(١) المصدر: ح٣٩٤٠٧.
(٢) المصدر: ح٣٩٤٢٥.
(٣) المصدر: ح٣٩٤٢٤.

سؤال: ما هي الأسماء والكنى المبغوضة في الشريعة المحمديّة المتمثلة بالنبي وآله عليه و«عليهم السلام»؟

الجواب: من خلال الرجوع إلى رواياتهم وسيرتهم العملية تتضح الإجابة وها نحن وإياكم نطلّع على طرف من تلك الروايات:

الأولى: . . . عن أبي عبد الله عن أبيه أحمد بن النضر عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله» على منبره: ألا إن خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن وحارثة وهمام وشرّ الأسماء ضرار ومرة وحرب وظالم[١].

الثانية: . . . عن ابن بكير عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول إن رجلاً كان يغشى عليّاً بن الحسين عليهما السلام وكان يكنّى (أبا مرّة) فكان إذا استأذن عليه يقول: أبو مرة بالباب، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: بالله إذا جئت إلى بابنا فلا تقولنّ: أبو مرة[٢].

الثالثة: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي «صلّى الله عليه وآله» نهى عن أربع كنًى: عن أبي عيسى وعن أبي الحكم وعن أبي مالك وعن أبي قاسم إذا كان الاسم محمداً[٣].

سؤال: هناك شعارات ولباس وأسماء للفسقة وأعداء الدين مثلاً مغنين. . . هل للشريعة موقف من تقليدهم؟

---

(١) المصدر: ح٣٩٤٤٧.
(٢) المصدر: ح٣٩٤٥٢.
(٣) المصدر: ح٣٩٤٥٣

الجواب: نعم... نهت الشريعة عن ذلك وبشدّةٍ وفي أحاديث عديدةٍ ومنها:

الأول: عن النبي «صلّى الله عليه وآله» وأوحى الله إلى نبيٍّ إلى أن قال: قل لقومك لا تطعموا مطاعم أعدائي ولا تشربوا مشارب أعدائي ولا تركبوا مراكب أعدائي ولا تلبسوا ملابس أعدائي ولا تسكنوا مساكن أعدائي فتكونوا أعدائي كما كان أولئك أعدائي(١).

وأبدع حين قال الشاعر:

إن السلامة من سلمى وجارتها   أن لا تمر على حال بواديها

الثاني: وهذا الحديث يبين الأثر الوضعي المترتب على ذلك: عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إن الشيطان إذا سمع منادياً ينادي باسم عدوٍّ من أعدائنا اهتز واختال(٢) (٣).

الثالث: مواجهة شعارات العدو بشعارات إسلامية، وفي هذا المجال حفظ لنا التأريخ هذه الحادثة كما يرويها لنا آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي(٤) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: ١٠٤].

(١) جامع أحاديث الشيعة: ح٤١٩٧١.
(٢) اهتزّ واختال: أي: تحرّك وخدع.
(٣) جامع أحاديث الشيعة: السيد حسين البروجردي: باب ما ورد في أن أصدق الأسماء ما سمي بالعبودية وأفضلها أسماء الأنبياء خصوصاً اسم النبي الخاتم وأسماء الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين واسم فاطمة عليها السلام ...: ح٣٩٤٢٣: مطبعة قم ١٤٣٤ هـ.
(٤) تفسير الأمثل مكارم الشيرازي: ج ٣: ٢٥٩: ط١: الأميرة.

روي عن ابن عباس ومفسّرين آخرين أنّ النّبي «صلّى الله عليه وآله» بعد الأحداث الأليمة لواقعة أحد - صعد إلى جبل أحد وكان على الجبل أبوسفيان، فخاطب النّبيّ بلهجة الفاتح بقوله: «يا محمّد يوم بيوم بدر!» وعنى أبو سفيان بذلك أن انتصارهم في أُحد كان مقابل هزيمتهم في واقعة بدر.

فطلب النّبي «صلّى الله عليه وآله» من المسلمين أن يردوّا عليه فوراً، ولعل النّبي أراد أن يثبت لأبي سفيان أنّ من تربّوا في ظلّ الرسالة الإسلامية يتمتعون بكامل الوعي، فرد المسلمون على أبي سفيان: هيهات أن يستوي الوضع بين المؤمنين والمشركين، فشهداء المؤمنين في الجنّة وقتلى المشركين في النّار.

فأجاب أبو سفيان - صارخاً ومفتخراً - بالعبارة التالية: «لنا العزّى ولا عزّى لكم» فردّ عليه المسلمون: «الله مولانا ولا مولى لكم» ولما عجز أبو سفيان عن الردّ على هذا الجواب والشعار الإسلامي الحي تخلى عن صنمه «العزى» وعرج على صنم آخر هو «هبل» متوسلاً إليه بقوله: «أُعل هبل، أُعل هبل» فردّ عليه المسلمون بجواب قوي علّمهم إياه نبي الإسلام «صلّى الله عليه وآله» وهو: «الله أعلى وأجل».

فلما أعيت أبا سفيان الحيلة ولم تجده شعاراته الوثنية نفعاً قال صارخاً: «موعدنا في أرض بدر الصغرى».

عاد المسلمون من ساحة القتال مثخنين بالجراح، وحين كان يعتصرهم الألم من أحداث أُحد، نزلت الآية المذكورة أعلاه محذرة المسلمين من الغفلة عن المشركين مطالبة إياهم بملاحقة قوى الشرك دون كلل أو ملل، وأن لا يتأثروا بحوادث مؤلمة كحادثة أُحد، فهب

المسلمون وهم في تلك الحالة لملاحقة العدو، فما أن سمع المشركون بعزم المسلمين حتى أسرعوا الخطى مبتعدين عن المدينة وعادوا إلى مكّة.

إنّ سبب النّزول هذا يعلّمنا أنّ المسلمين يجب أن لا يغيب عن بالهم أنواع التكتيك الذي يستخدمه العدو، وأن يواجهوا كلّ أسلوب حربي يتبعه العدو، سواء الأسلوب القتالي أو النفسي بأسلوب إسلامي أقوى، وأعنف من أسلوب العدو، وأن يواجهوا منطق الأعداء بمنطق أقوى وأشد، ويقابلوا سلاحهم بسلاح أمضى، وحتى شعارات الأعداء يجب أن تقابل بشعارات إسلامية ضاربة، وبغير ذلك فإنّ الرياح ستجري بما يشتهيه الأعداء.

ومن هذا المنطلق، فإنّنا نحن المسلمين - بدلاً من أن نجلس ونذرف الدموع على ما مر ويمر علينا من أحداث مؤلمة مريرة، وما تشهده مجتمعاتنا من مفاسد رهيبة (تحيط بهذه المجتمعات من كل جانب)، علينا أن نبادر بصورة فعالة إلى العمل، فنواجه العدوان المكتوب بكتابات تدحضه وتقمعه، ونواجه الإعلام الضال المسموم المضلل بأسلوب إعلامي يحبطه ويقضي على أمره، ونقابل مراكز اللهو الخليع ببناء مراكز للهو البريء السليم لشبابنا وأبنائنا، ونقرع الأفكار والأطروحات والمذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالفكر الإسلامي الجامع بأسلوب عصري يفهمه الجميع.

وإذا استطعنا أن نواجه أعداءنا بهذه الصورة فقد أفلحنا في الحفاظ على كياننا الإسلامي، وفي أن نبرز للعالم بشكل مجتمع تقدمي أصيل.

الموضوع التاسع عشر
فلسفة تسبيح الزهراء عليها السلام

. . . عن أبي عبد الله عليه السلام قال: . . . إنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة. . .[(١)].

سؤال: ما مناسبة إهداء النبي «صلّى الله عليه وآله» التسبيح للزهراء عليها السلام ولماذا سُمي بتسبيح الزهراء عليها السلام ؟

الجواب: التاريخ يحدثنا عن كفاح فاطمة عليها السلام وكيف كانت حياتها تجري في بيت زوجها عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام . . .

علاقتها عليها السلام بالليل

إنّها كانت قليلة الهجوع في الليل، وكانت تستغفر الله في الأسحار، فوقفت في محرابها للصلاة حتى تورّمت قدماها من كثرة العبادة والدعاء وكانت تذوب رقّةً وخشوعاً في صلاتها وعند دعائها فكانت من مصاديق قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٨٢ / ص٣٢٨.

علاقتها عليها السلام بالقرآن

ولدى قراءتها القرآن الكريم. . . فإذا مرت بآية فيها وعد أو وعيد رددتها ببكاءٍ وحزنٍ ودموعٍ، فهي مصداق لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المَائدة: ٨٣].

علاقتها عليها السلام بشؤون أسرتها

فقد كانت عليها السلام تطحن بالرحى حتى أثّرت الرحى بيدها، واستقت بالقربة حتى أثّرت القربة بنحرها، وكنست البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى طبع الدخان أثره على ملابسها وترك لونه على ثيابها وقت العمل بالطبع، وبلغ بها الحال أن دخل عليها النبي «صلّى الله عليه وآله» ذات صباح، وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل، وطفلها يبكى إلى جانبها، فبكى النبي «صلّى الله عليه وآله»، وقال: «تجرّعي يا فاطمة مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة»(١).

وكان أمير المؤمنين (سلام الله عليه) يشفق عليها ولذلك طلب منها الذهاب إلى النبي «صلّى الله عليه وآله» لطلب خادمٍ، ففي الرواية عن علي عليه السلام قال: أهدى بعض ملوك الأعاجم رقيقاً فقلت لفاطمة اذهبي إلى رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فاستخدميه خادماً. فأتته فسألته

(١) بحار الأنوار - العلاّمة المجلسي - ج ٦٥ / ص٢٢٠.

ذلك، (وذكر الحديث بطوله) فقال لها رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: يا فاطمة أعطيك ما هو خير لك من خادم، ومن الدنيا بما فيها: تكبرين الله بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرةً، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسبيحة ثم تختمين ذلك بلا إله إلا الله، وذلك خير لك من الذي أردت، ومن الدنيا وما فيها، فلزمت (صلوات الله عليها) هذا التسبيح بعد كل صلاة ونسب إليها[١].

كيفية التسبيح وأوقاته

فتسبيح الزهراء عليها السلام هو **٣٤** تكبيرةً و**٣٣** تحميدةً، و**٣٣** تسبيحةً، وهو تسبيح معروف، ومشهور، وخصوصاً عند أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا يأمرون أولادهم بحفظه وقراءته، قبل النوم، وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول: كنا نعلم أولادنا، أو قال: نعلم صبياننا حفظ هذا التسبيح وقراءته بعد الصلاة وفي أول دقائق النوم والآثار والفوائد إنما أخذناها واستفدناها من خلال عددٍ كبيرٍ من الأحاديث المأثورة عن لسان أهل البيت عليهم السلام.

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٨٢ / ص٣٣٦.

آثاره وفوائده

أولاً: الشفاء من الأمراض

- إن تسبيح فاطمة عليها السلام من الخير الكثير للمؤمن(١).
- إن من قرأه وكان في سمعه ثقل دفع الله عنه هذا الثقل الذي في أذنيه(٢).
- إنّه ما لزمه مؤمن وشقي في حياته(٣).

ثانياً: الثواب العظيم

- من قرأ هذا التسبيح عند النوم بات وله ألف حسنةٍ وعند قيامه من نومه - الذي قرأ فيه التسبيح - له ألف حسنة(٤).
- إن هذا التسبيح مائة باللسان وألف في الميزان وذلك قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠] (٥).
- إنّ من سبح تسبيح الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام بسبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتب الله له أربعمائة حسنة ومحا عنه أربعمائة سيئةٍ وقضيتٍ له أربعمائة حاجةٍ ورفع له أربعمائة درجةٍ(٦).

---

(١) شرح السنة: ٥/ ١٠٧، مسند احمد: ٦/ ٢٩٨ وكنز العمال: ٢٠/ ٥٥.
(٢) مشكاة الانوار: ٢٧٨ ح ١٤.
(٣) أمالي الصدوق: ٤٦٤ ح ١٦، ثواب الاعمال: ١٩٥.
(٤) حلية الأولياء: ١/ ٦٩، نظم درر السمطين: ١٩٢ فتح الباري في شرح البخاري: ١١/ ١٠٢، أعلام النساء: ٣/ ١٢٠٢.
(٥) كنز العمال: ٢/ ٥٨.
(٦) كنز العمال: ٢/ ٥٨.

ثالثاً: أفضل العبادة

- إنه ما عبد الله تعالى بشيءٍ من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة[(١)].

رابعاً: ذكر لله

- إنّه من الذكر الكثير - أي: من سبح هذا التسبيح المبارك كان من الذاكرين لله كثيراً «واذكروا الله ذكراً كثيراً» «والذاكرين الله والذاكرات الله»[(٢)].

خامساً: غفران الذنوب

- إنه من سبح هذا التسبيح في دبر الصلاة المكتوبة من قبل ان يبسط رجليه أوجب الله له الجنة - وفي رواية: غفر له[(٣)].
- من سبح هذا التسبيح قبل ان يثني رجليه بعد انصرافه من صلاة الغداة غفر له[(٤)].

سادساً: قضاء الحوائج

- إن من سبح تسبيح الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام بسبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتب الله له أربعمائة حسنةٍ ومحا عنه أربعمائة سيئة

---

(١) الكافي: ٣/ ٣٤٣ ح ١٤، الوسائل: ٤/ ١٢٠٤ ح ١.
(٢) معاني الأخبار: ١٩٣ ح ٥، تفسير العياشي: ١/ ٦٨.
(٣) فلاح السائل: ١٦٥، ثواب الاعمال: ١٩٦ ح ٤.
(٤) فلاح السائل: ١٦٥، ثواب الاعمال: ١٩٦ ح ٤.

وقضيت له اربعمائة حاجة ورفع له أربعمائة درجة(١).

سابعاً: رضا الرب سبحانه

- من سبح هذا التسبيح ثم استغفر الله غفر له وهي مائة باللسان - أي التسبيحة - وألف في الميزان وتطرد الشيطان وترضي الرحمن(٢).

ثامناً: يعدل ألف ركعة

- إن هذه التسبيح عند الأئمة عليهم السلام دبر كل صلاة احب اليهم من صلاة الف ركعة في كل يوم(٣).

تاسعاً: أفضل شيء تعلمته «سلام الله عليها»

- إن هذا التسبيح افضل شيء علمه رسول الله لفاطمة عليها السلام (٤).

فلسفته

سؤال: ما هي فلسفة هذا التسبيح والذي عليه ترتبت هذه الآثار العظيمة؟

الجواب: لكي تتضح لابد من الوقوف على عدة مقدمات:

الأولى: **معنى التسبيح**: فالتسبيح هو تنزيه الله عن العبث، ويؤكد الحكمة التي اقامها الله عزَّ وجلَّ عليها الكون والحياة والإنسان. وهو من شعائر الله، لأنه يعيد الإنسان إلى واقعه، وحقيقته التي خلق من أجلها،

(١) البحار: ٨٥/ ٣٤٠ ح ٣٢.
(٢) ثواب الاعمال: ١٩٦ ح ٢، البلد الامين: ٩ قطعة - الوسائل: ٤/ ١٠٢٣ ح ٣.
(٣) كشف الغمة: ١/ ٤٧١.
(٤) التهذيب: ٣/ ٦٧ ح ٢١.

وهي العبادة المطلقة لله وحده والتوجه إلى الخالق القادر الذي لا إله غيره. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦].

الثانية: انسجام الإنسان في التسبيح مع كل ما يجري في هذا الكون، لأنّه ما من شيء في الأرض ولا في السماء إلّا وهو يسبح الله ويقدسه. قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

ومن هنا جاءت فكرة التسبيح لتردّ الإنسان إلى هذه الحقيقة وهي الانسجام الكامل مع ما يجري في هذا الكون.

ثالثاً معاني مفردات التسبيح

- الله أكبر: تعني أن الله أكبر من كل شيء في هذا الوجود، إنه أكبر من المال، وأكبر من السلطان، وأكبر من الأهل، والنفس، والحياة، وإذا كان أكبر من كل هذه الأشياء، فمعنى ذلك أنكّ تكون على أهبةالاستعداد لأن تضحي بنفسك واهلك، ومالك وكل غال ونفيس في سبيل كلمة «الله أكبر».

ومن جهة أخرى، إنّ كلمة (الله أكبر) تعني الصدق والوفاء والإخلاص، والشجاعة والعفة والزهد، والشرف الرفيع، وهذه لا تسلم أبداً من أيدي العابثين إلّا بسفك المهج وإراقة الدماء. وصدق الشاعر حين قال:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدمُ

ويقول أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة   فلابد ان يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي   ولابد للقيد أن ينكسر

● الحمد: وتعني أعلى قمة يمكن أن يصل اليها الإنسان، ومن هنا كانت سورة الحمد أُمّ الكتاب، لأنها جمعت التعبير كله ولخصت مسيرة الأنبياء جميعاً في مضمونها(١).

والحمد: هو الثناء على صفات الكمال(٢).

● سبحان الله: هو التنزيه للباري عزَّ وجلَّ عن النقائص.

إذن التسبيح: شعيرة من شعائر الدين ومحتواه الفداء والتضحية ولا يكون ذلك إلا بشرطين:

الأوّل الشرط التربوي: ونلمسه في تركيبة هذا التسبيح فنجد أن التسبيح يبدأ باسم الله وينتهي باسم الله (الله أكبر. سبحان الله. الحمد لله). إذن فالشرط التربوي ظهرت فيه الإشارة واضحةً إلى المبدأ والمعاد. فنحن من الله وسنرجع إليه... إنّا لله، وإنّا إليه راجعون، وهذا معناه أن القراءة والدعاء، والتسبيح وكل حركة في الحياة يجب أن

---

(١) «الحمد» في اللغة: الثناء على عمل أو صفة طيبة مكتسبة عن اختيار، أي: حينما يؤدي شخص عملا طيّباً عن وعي، أو يكتسب عن اختيار صفة تؤهله لأعمال الخير فإنّنا نحمده ونثني عليه.
ولو علمنا أنّ الألف واللام في الحمد هي لاستغراق الجنس، لعلمنا أنّ كل حمد وثناء يختص بالله سبحانه دون سواه.
ثناؤنا على الآخرين ينطلق من ثنائنا عليه تعالى، لأنّ مواهب الواهبين كالأنبياء في هدايتهم للبشر، والمعلمين في تعليمهم، والكرماء في بذلهم وعطائهم، والأطباء في علاجهم للمرضى وتطبيبهم للمصابين، إنّما هي في الأصل من ذاته المقدسة. وبعبارة أُخرى: حمد هؤلاء هو حمد لله، والثناء عليهم ثناء على الله تعالى.
وهكذا الشمس حين تغدق علينا بأشعتها، والسحب بأمطارها، والأرض ببركاتها، كلّ ذلك منه سبحانه، ولذلك فكلّ الحمد له / تفسير الأمثل لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي سورة الحمد.

(٢) تفسير الأمثل لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي الآية ٨٠ من سورة الانبياء.

تكون باسم الله. . . كما كانت أوّل كلمة في القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥].

فجعل القراءة منصبةً في قالب أدبي تربوي ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ أي: أنّ القراءة يجب أنّ تنصب في إطار تربوي أدبي، لأنّ كلمة الرب مشتقة من التربية.

الشرط الثاني رمز الفداء والتضحية: والذي يعني أنّ هناك رمزاً نتخذ منه قدوةً، وأسوةً حسنةً في تطبيق مضمون التسبيح، فهو الفداء، والتضحية. . . وهنا تجد فاطمة الزهراء عليها السلام حين أخذت درس هذا التسبيح من أبيها الرسول الأعظم محمد «صلّى الله عليه وآله»، حيث انطلقت به إلى قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عليه السلام وحين وصلت إلى القبر، جلست تصنع حبات لمسبحتها من تراب قبر الشهيد وذلك لبيان:

- مظلومية الشهيد حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليهما. . . لأن مصرعه هدّ قلب النبي «صلّى الله عليه وآله» فقال في تأبينه: ما وقفت موقفاً أغيظ عليَّ من هذا الموقف!!! أتعرف لماذا؟

والتأريخ هو المجيب. . . لأنّ هنداً زوجة أبي سفيان قد قامت بأبشع جريمة يمكن أن تقوم بها امرأة (في مثل وضع هند آكلة الأكباد)، إذ شقت بطن الحمزة وأخرجت كبده وأرادت ان تمضغها فحوّلها الله إلى حجر في فمها فلفظتها، ثم لفظتها، ثم جدعت أنفه، وأذنه، وقطعت أعضاءه وشوّهت صورته النورانية بوحشية وحقد يظهران نكسة الشر في طبعها، والدناءة والخباثة القابعة في داخلها. . .

- تريد ان تقول لنا «سلام الله عليها»: إنّ الشعار وحده لا يبني مجتمعاً، ولا يقيم أمةً، وإنما لابد للشعار من محتوى عملي، ومنهج تطبيقي.

لا بد للشعار من ممارسة فعلية وذلك ان الشعار لابد له من هدف يتجه نحوه، ومن دون هدف، يغدو تافهاً لا يثير دهشة أحد، ولا يشد انتباه أحد، ولايربط على قلب أحد.

. . . فاطمة «سلام الله عليها» تصنع مسبحة من تراب قبر الحمزة من أجل أن تعبق حبات هذه المسبحة برائحة الشهادة، وتتضوع بعطر الشهيد الذي أقدم على الفداء والتضحية، من أجل الحق، من أجل أن يحيى الإنسان في أمن وطمأنينة، من أجل أن يعبد الناس رب العالمين في حرية ودون إكراه، من أجل إعطاء الناس حرية وحقاً وعدالة اجتماعية، من أجل أن يندحر الظالمون، وينهزم المستكبرون ويذل الطغاة في الأرض.

- إعطاء الصلاة بعداً جهادياً تربوياً (لأن تسبيحها يستحب عقب الصلاة) في رشد الأمة، والتقليل من غبائها وبلادتها، نعم إنها مسبحة للصلاة، ولكنها ليست مسبحة جامدة فيها حبات من الطين، كلا. وإنما هي مسبحة مصنوعة من تراب ممزوج بدم الشهادة ونور الولاية وهذا هو الذي يجعل للصلاة معنى وقيمة ووزنا.

نعم وأقبح ما يكون أن يرفع الإنسان شعاراً يخالفه، ويعمل ضده، يقول القرآن الكريم في هذا المضمار ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٤٤].

فلسفة السجود على التربة الحسينية

من هنا جاءت فكرة السجود على تراب كربلاء وذلك لنستلهم الدروس التالية:

الأوّل: إننا نطبق سنة شريفة جارية، وهي السجود على الأرض وفقا لتعاليم الحبيب المصطفى الرسول، حيث قال: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»(١).

والثاني: أنّنا نتذكر الحسين عليه السلام دائماً؛ لأنّ تراب كربلاء تضمن جسد الحسين عليه السلام الحسين بن رسول الله... الحسين ابن فاطمة الحسين الذي قال فيه النبي «صلّى الله عليه وآله»: «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً»(٢) الذي كان أقرب الناس إلى قلب جدّه رسول الله، والذي كان يوم عاشوراء يلبس جبة النبيّ «صلّى الله عليه وآله»، وعمامته. والقرآن الكريم يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

الثالث: أنّنا نتذكر أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام

وقد أعلن سيّد الشهداء عليه السلام أنّ أحد دواعي نهضته هو: «ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقّاً حقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما»(٣).

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ١٦ / ص٣٢١.
(٢) المصدر - ج ٣٧ / ص٧٤.
(٣) المصدر، ج٤٤، ص٣٨١.

لقد كشف الإمام الحسين عليه السلام في خطبته المفصّلة التي خطبها قبل خروجه من المدينة المنوّرة عن جوهرة «الإخلاص» هذه في حركته التي غايتها الإصلاح الدينيّ والاجتماعيّ قائلاً: «اللّهمّ إنك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لِنُري المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك. . . »[1].

ويقول عليه السلام أيضاً في تصريح آخر للتعريف بنهضته المقدّسة: «. . . وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام . . . »[2].

إذن فكما أنّ الزهراء عليها السلام ، تريد أن تجعل أهداف الشهداء نصب عينيها حين تصنع سبحة لها من تراب قبر الشهيد، كذلك نحن نريد ان نتذكر أهداف الإمام الحسين عليه السلام حين نصلي على قطعة من تراب أرض كربلاء المقدسة.

هذا بالإضافة إلى أنّها «سلام الله عليها» علمتنا كيف نتعامل مع شعائر الله، وكيف نحول الشعار إلى سلوك عملي نمشي به في الناس، على أنّ تسبيح الزهراء، قد صبه النبي في إطار تربوي عميق حين جعله يبدأ وينتهي بالله عزَّ وجلَّ.

---

(١) المصدر - ج ٩٧ / ص٨٠.
(٢) المصدر - ج ٤٤ / ص٣٢٩.

الموضوع العشرون

زيارة الزهراء عليها السلام

بعد التوكل على الله سبحانه نقف عند زيارتها عليها السلام ونحاول أن نقترب أكثر من تلك المحجوبة المسماة بفاطمة الزهراء عليها السلام مستعينين بالآيات والروايات الشريفة وذلك من خلال المحاور التالية:

- أهمية الزيارة.
- معنى الامتحان في العوالم.
- إمتحان الزهراء عليها السلام.
- معنى الطهارة القرآنية.
- موالاة الزهراء عليها السلام.
- فلسفة الطهارة بولايتها عليها السلام.

نص الزيارة

جاء في زيارة الزهراء عليها السلام: يا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللّهُ الَّذى خَلَقَكِ قَبْلَ اَنْ يَخْلُقَكِ فَوَجَدَكِ لِمَا امْتَحَنَكِ صابِرَةً وَزَعَمْنا أنّا لَكِ أوْلِياۤءُ وَمُصَدِّقُونَ وَصابِرُونَ لِكُلِّ ما أتانا بِهِ أبُوكِ «صلّى الله عليه وآله» وَأتى بِهِ وَصِيُّهُ، فَإنّا نَسألُكِ اِنْ كُنّا صَدَّقْناكِ إلّا ألْحَقْتِنا بِتَصْديقِنا لَهُما لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنا بِأَنّا قَدْ طَهُرْنا بِوَلايَتِكِ.

ثواب زيارتها عليها السلام

- . . . عن يَزيدَ بنِ عَبدِالمَلِكِ عَن أبيهِ عَن جَدّهِ: دَخَلتُ عَلى فاطِمَةَ، فَبَدَأَتني بِالسّلامِ، ثُمّ قالَت: ما غَدا بِكَ؟ قُلتُ: طَلَبُ البَرَكَةِ.

قالَت: أخبَرَني أبي وهُوَ ذا هُوَ أنّهُ مَن سَلّمَ عَلَيهِ وعَلَيّ ثَلاثَةَ أيّامٍ أوجَبَ اللهُ لَهُ الجَنّةَ.

قُلتُ لَها: في حَياتِهِ وحَياتِكِ؟ قالَت: نَعَم، وبَعدَ مَوتِنا(١).

- عن أمير المؤمنين عليه السلام عن فاطمة أنها قالت: قال لي رسول الله «صلّى الله عليه وآله» يا فاطمة من صلى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت في الجنة(٢).

- وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قالَ رَسول اللهِ «صلّى الله عليه وآله»: «ما بَينَ قَبري ومِنبَري رَوضَةٌ مِن رِياضِ الجَنّةِ، ومِنبَري عَلى تُرعَةٍ مِن تُرَعِ الجَنّةِ»؛ لِأَنّ قَبرَ فاطِمَةَ صَلَواتُ اللّهِ عَلَيها بَينَ قَبرِهِ ومِنبَرِهِ، وقَبرُها رَوضَةٌ مِن رِياضِ الجَنّةِ، وإلَيهِ تُرعَةٌ(٣) مِن تُرَعِ

---

(١) التهذيب: ٦/ ٩/ ١٨، بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٩٧ / ص١٩٤.

(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٩٧ / ص١٩٤.

(٣) بيان: قال الجزري فيه: منبري على ترعة من ترع الجنة، الترعة في الأصل الروضة على المكان المرتفع (خاصّة)، فإذا كانت في المطمئن فهي روضة. قال القتيبي: معناه: أن الصلاة والذكر في هذا الموضع تؤديان إلى الجنة، فكأنه قطعة منها، وقيل: الترعة الدرجة، وقيل: الباب.
أقول: الظاهر أنّ التفسير من الرواة ويحتمل أن يكون من الامام عليه السلام، وقال الكفعمي رحمه الله في حواشي البلد الامين: ذكر السيد الرضيّ (ره) في مجازاته في تفسير الترعة هنا ثلاثة أقوال: الأول أن يكون اسماً للدرجة. الثاني: أن يكون اسماً للروضة على المكان العالي خاصة. الثالث: أن يكون اسماً للباب وهذه الأقوال تؤول

الجَنّةِ[١].

- . . . عن أحمَدُ بنُ مُحَمّدِ بنِ أبي نَصر: سَأَلتُ الإمام الرّضا عليه السلام عَن قَبرِ فاطِمَةَ، فَقالَ: دُفِنَت في بَيتِها، فَلَمّا زادَت بَنو أُمَيّةَ فِي المَسجِدِ صارَت فِي المَسجِدِ[٢].

قال آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم «دام ظله»[٣]: يستحب مؤكداً بعد زيارة النبي «صلّى الله عليه وآله» زيارة بضعته الطاهرة فاطمة سيدة نساء العالمين، والاولى أن تزار في بيتها، وفي الروضة، وفي البقيع، لمكان الاختلاف في دفنها، وإن كان المروي صحيحاً أنها دفنت في بيتها، إلَّا أنه لما زاد بنو أُمية في المسجد صار قبرها فيه.

إلى معنىً واحدٍ، فإن كانت الترعة بمعنى الدرجة، فالمراد أن منبره «صلّى الله عليه وآله» على طريق الوصول إلى درج الجنة، لأنه «صلى الله عليه وآله» يدعو عليه إلى الايمان ويتلو عليه قوارع القرآن ويخوف ويبشر، وإن كانت بمعنى الباب فالقول فيهما واحد، وإن كانت بمعنى الروضة على المكان العالي فالمراد بذلك أيضاً كالمراد على القولين الأولين؛ لأن منبره «صلى الله عليه وآله» على الطريق إلى رياض الجنة لمن طلبها وسلك السبيل إليها وفيها زيادة معنىً، وهو أنه إنّما شبهه بالروضة لما يمر عليه من محاسن الكلم وبدايع الحكم التي تشبه أزاهر الرياض ودبابيج الثياب ويقولون في الكلام الحسن: كأنه قطع الروض، وكأنه ديباج الرقيم فأضاف «صلّى الله عليه وآله»: الروضة إلى الجنة؛ لأن كلامه «صلّى الله عليه وآله» يهدي إلى الجنة، ويقول بعضهم الترعة الكوة وهو غريب، فإن كان المراد ذلك فكأنه «صلّى الله عليه وآله» قال: منبري هذا على مطلع من مطالع الجنة، والمعنى قريب من معنى الباب؛ لأن السامع لما يتلى عليه كأنه مطلع إلى الجنة ينظر إلى ما أعد الله تعالى للمؤمنين فيها/ بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٩٧ / ص١٥٢.

(١) معاني الأخبار: ٢٦٧/١.
(٢) الكافي: ١/ ٤٦١/٩.
(٣) مناسك الحج: الفائدة الثالثة في آداب المدينة المنوّرة من الخاتمة.

عالم الذر والامتحان الإلهي وفق الروايات الشريفة[(١)]

ذكرت الروايات الشريفة أن الله سبحانه خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام أو أكثر، وأنه سبحانه جعل الأبدان كالذر وامتحنهم في ذلك العالم، فقد ورد في رواية علي بن معمّر عن أبيه أنه قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النّجْم: ٥٦]، قال: «إن الله تبارك وتعالى لمّا ذرأ الخلق في الذرّ الأول فأقامهم صفوفاً قدّامه، بعث الله محمداً «صلّى الله عليه وآله» فآمن به قوم وأنكره قوم، فقال الله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾، يعني به محمداً «صلّى الله عليه وآله» حيث دعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ في الذرّ الأول»[(٢)].

قال الإمام الشيرازي اعلى الله درجاته: فالامتحان هناك كان بالنسبة إلى الألوهية، وبالنسبة إلى النبّوة، وبالنسبة إلى الولاية، ولعله كان ايضاً بالنسبة إلى المعاد.

وظاهر بعض الروايات أن الدنيا مبنية على ذلك العالم، ولو بنحو المقتضي، حيث أن الله تبارك وتعالى ابتلى الخلق في بدء الخلقة في عالم الذرّ قبل ابتلائهم في هذه الدنيا.

وفي روايات متعددة إشارة إلى هذا الإمتحان هناك في عالم الذرّ، فقد ورد في زيارة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: «يا ممتحنة، امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة»[(٣)].

---

(١) مقتبس من http://www.alshirazi.net/aqaed/015.htm

(٢) بحار الأنوار: ج٥ ص٢٣٤ ب١٠ ح٧.

(٣) التهذيب ج٦ ص٩ ب١٦ ح١٢.

كيفية الامتحان:

الروايات مختلفة فيه، ولعله كانت هناك امتحانات متعددة كما أن البشر في الدنيا يمتحنون بامتحانات مختلفة: إمتحان بالإيمان وبالصوم وبالصلاة وبالخمس والزكاة وبالحج والجهاد وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥].

ففي رواية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما اختلف اثنان، فقال: إن الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماءً عذباً أخلق منك جنتي واهل طاعتي، وقال: كن ماءاً ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم أمرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً ويلد الكافر مؤمناً، ثم اخذ طين آدم من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فإذا هم في الذرّ يدبون، فقال لأصحاب اليمين: إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب النار: إلى النار ولا أبالي: ثم أمر ناراً فأُسعرت فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها فهابوها، وقال لأصحاب اليمين ادخلوها فدخلوها، فقال: كوني برداً وسلاماً فكانت برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا رب أقلنا، فقال قد أقلتكم فادخلوا فذهبوا فهابوها، ثم ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا أن يكونوا من هؤلاء»[1].

---

(١) المحاسن: ص٢٨٢ باب بدء الخلق، ح٤١٢، وبحار الأنوار: ج٥ ص٢٥٢ ب١٠ ح٤٨.

تعقيب واستطراد:

معنى «لا يستطيع» أن أهواءهم لا تتركهم هكذا، وإلا فلهم الاختيار والإرادة، وحيث إن لهم الإرادة فإنهم يثابون ويعاقبون، وإلّا فمن لا إرادة له لا ثواب ولا عقاب له، وهذا ما يشار إليه من الاقتضاء لا العلية التامة، وتفصيل الكلام في علم الكلام.

وفي حديث جابر عن الإمام الباقر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قال تبارك وتعالى للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩]، قال: وكان ذلك من الله تعالى في آدم قبل ان يخلقه واحتجاجاً منه عليهم، قال: فاغترف ربنا عزَّ وجلَّ غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات وكلتا يديه يمين».

قال الإمام الشيرازي (قدّس سرّه): والظاهر أن المراد من (اليمين) اليمن؛ لأن الله منزّه عن الجسم والجسمانيات، فلذا قال: (كلتا يديه يمين) أي: أنه لا شمال في الله سبحانه وتعالى كما في الإنسان حيث يمينه أفضل من شماله أو ما شابه.

قال عليه السلام: «فصلصلها في كفّه حتى جمدت فقال لها: منك أخلق النبيين والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمة المهتدين والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم القيامة ولا أُبالي، ولا أسأل عمّا أفعل وهم يُسألون».

توضيح:

المراد بـ (كفه) هو: بقدرته كما لا يخفى، ووجه أن الله لا يسأل

عما يفعل: أنه يفعل كل شيء حسب العلم والحكمة والمصلحة، وأما الإنسان فيسأل؛ لأنه يفعل بعض الأشياء حسب الحكمة والمصلحة وبعض الأشياء حسب الجهل والمفسدة أو مع الشك أو ما شابه ذلك، وإنما يسأل النبيون عليهم السلام كما في القرآن الحكيم حيث قال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، لأن الحكم لما جاء يجب أن يكون عاماً، كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام بأنه إنما غسل رسول الله «صلّى الله عليه وآله» بعد الموت لا لأنه تنجّس جسمه الشريف - والعياذ بالله - بل لجريان السنة[(١)] وفيه: «كتبت إلى الصادق عليه السلام: هل اغتسل أمير المؤمنين عليه السلام حين غسل رسول الله «صلّى الله عليه وآله» عند موته؟ فقال: كان رسول الله «صلّى الله عليه وآله» طاهراً مطهراً ولكن فعل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذلك وجرت به السنة)[(٢)]، وهذا ما يسمى في العرف الحديث بضرب القانون.

وقال عليه السلام: «ثم اغترف غرفة أخرى من الماء المالح الأجاج فصلصلها في كفّه فجمدت، ثم قال لها: منك أخلق الجبَّارين والفراعنة والعتاة وإخوان الشياطين والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشياعهم ولا أبالي ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون، قال: وشرطه في ذلك البداء ولم يشترط في أصحاب اليمين».

(١) راجع تهذيب الأحكام: ج١ ص٤٦٩ ب٢٣ ح١٨٦.
(٢) والإستبصار: ج١ ص٩٩ ب٦٠ ح٣، وبحار الأنوار: ج٢٢ ص٥٤٠ ب٢ ح٥٠.

تعقيب وتوضيح:

لعل المراد بـ (البداء) في ذلك: أن الأمر لم يخرج من يد الله سبحانه وتعالى، ولم يكن الأمر علّة تامّة بحيث لا يتمكن من خلافها حتى يكون حال ذلك حال اجتماع النقيضين أو الضدين المحال أو كون الجزء كالكل المحال أو ما أشبه ذلك.

قال عليه السلام: «ثم أخلط الماءَين جميعاً في كفّه فصلصلهما ثم كفّهما قدّام عرشه وهما سلالة من طين»(١).

روايتا زرارة وابن أُذينة:

وفي رواية زرارة: «إن رجلاً سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقال. وأبوه عليه السلام يسمع -: حدّثني أبي ان الله عزَّ وجلَّ قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم عليه السلام، فصبّ عليها الماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحاً ثم صبّ عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً، فخرجوا كالذّر من يمينه وشماله، وأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها»(٢).

وعن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كنا عنده فذكرنا رجلاً

(١) تفسير القمي: ج١ ص٣٧.
(٢) الكافي: ج٢ ص٧ ح٢.

من أصحابنا فيه حدة فقال: إن الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين - وأنتم هم - أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وهج، فالحدة من ذلك الوهج، وأمر أصحاب الشمال - وهم مخالفون - أن يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثم لهم سمت ولهم وقار(١).

ولعل المراد بالحدة في مثل هذه الرواية: أن أهل الحق مصرّون على حقهم ويرون أن مخالفيهم لا يتكلّمون بمنطق وتعقل وإنما بتهريج وما أشبه ذلك.

وقد يكون من باب قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْح: ٢٩].

وأمّا أهل الباطل فحيث يعلمون - عادة - ببطلان طريقتهم فيتسمون بالوقار الظاهري وما أشبه ذلك حتى يخفوا بذلك الظاهر المليح الواقع القبيح... (ومثل هذا ما ذكره علماء النفس والاجتماع في سبب اتصاف الأقليات عادة ببعض المحاسن وذلك ليغطوا ضعفهم في الكم بقوة في الكيف).

فهناك أصل خلقة أولي، وأصل خلقة ثانوي في عالم الذرّ، وهناك تقدم الأرواح خلقة على الأجساد، وهناك امتحان وهناك أصول تقتضي الطاعة وأصول تقتضي المعصية، وهناك مكالمة بين الله وبين المخلوقات، وهناك طاعة وعصيان، وهناك... وهناك. مما يعلمه الله تبارك وتعالى وكل ذلك لا يوجب حتماً بالنسبة إلى هذا العالم، بأن

(١) بحار الأنوار ج٥ ص٢٤١ ب١٠ ح٢٧.

يكون المطيع هناك مطيعاً هنا أو العاصي هناك عاصياً هنا، كما سبقت الإشارة بكونها إلى محتوى الانقضاء لا العلّة التامةپ لأن لله البداء بمعناه المعروف عند المتكلمين الذي يرجع إلى الإبداء حيث إن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ولا سابقاً ولا لاحقاً ولا حالاً.

ومجموع ما ورد في الآيات والروايات يعطي ما ذكرناه على نحو التواتر الإجمالي وإن كان في الخصوصيات بعضها آحاد.

امتحان الزهراء عليها السلام وفلسفته

سؤال: ما المعنى اللغوي للامتحان؟

الجواب[1]: المعنى اللغوي لكلمة الامتحان هو الاستعلام، فحين يقال: امتحِنِ الرجل قبل مصاحبته فمعناه هو (استعلم حاله لتقف على واقعه وحقيقة أمره قبل مصاحبته).

وسائل الامتحان

وللامتحان وسائل عديدة تختلف باختلاف الغرض من الامتحان وتختلف باختلاف الممتحِن والممتحَن ومنها:

١ - قد يكون الامتحان بسؤال الممتَحن كما يفعل المدرس مع طلابه فإنَّه بسؤاله لهم يتعرَّف على مستوياتهم.

٢ - وقد يكون الامتحان بالسؤال عن الممتحَن كما هو السؤال عن

(١) مقتبس من جواب للعلّامة الشيخ محمد الصنقور/ الموقع الالكتروني.

المرأة التي يبتغي الرجل الزواج منها، فهو يمتحنها قبل الإقدام على الزواج بمعنى أنه يستخبر عن حالها قبل السؤال عنها.

٣ - وقد يكون الامتحان بالتجربة كأن تدخل مع رجلٍ في تجارة محدودة لتستخبر واقعه حتى إذا ما وجدته أميناً صادقاً دخلت معه في تجارة أوسع.

٤ - وقد يكون الامتحان بملاحظة ما يفعله الإنسان حين يُصاب ببلية أو يقع في مأزق فتمتحنه وتستعلم حاله من ملاحظة مقدار تحمله وكيفية إدارته للمأزق الذي وقع فيه، ومن ذلك تعرف أنَّه صابر أو جزوع وأنَّه عاقل أو أحمق.

وهذ هو المعنى الذي استُعمل في القرآن كثيراً تحت عنوان الامتحان والابتلاء والتمييز والافتتان والتمحيص، فكل هذه المفاهيم تعطي معنىً واحداً وهو الاستعلام والاستخبار.

- قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢-٣].
- وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التّوبَة: ١٢٦].
- وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [الحُجرَات: ٣].
- وقال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفَال: ٣٧].
- وقال تعالى: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٤].

فلسفة ابتلاء الله سبحانه للناس

سؤال: الله سبحانه عالم بما كان ويكون فلماذا الامتحان؟

الجواب: أنَّ استعلام الله عزَّ وجلَّ ليس لأنه لم يكن عالماً بالواقع. (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) بل إنَّ الغرض من الامتحان هو إيقاف الإنسان على واقعه أو إيقاف الناس على واقع هذا الإنسان الممتحَن.

وهنا ينقدح هذا السؤال: وما الفائدة من إيقاف الانسان او الناس على واقعه؟

الجواب: أن الهدف هو إخراج الحقائق من أعماق القوة إلى فضاء الفعل لتكون حجة على أصحابها، وبتقريب أكثر لو كان انسان يحمل في أعماقه السوء فإن الله عزَّ وجلَّ يبتليه بموقف ليخرج ذلك السوء إلى الواقع العملي، والكلام نفسه في جانب الحسنات. والامتحان لهذه الغاية نعمة إلهية؛ لأننا نتعرف على حقائقنا بواسطته فنتدارك أنفسنا قبل فوات الأوان، وبواسطته أيضاً يتعرف بعضنا على البعض الآخر فالبلاء يظهر حقائق الناس ويكشف بواطنهم!

فإما أن تكون حقائقهم نوراً يستضيء به الناس ويكونوا قدوة لهم فيتخذونهم أولياء وإمّا أن تكون حقائقهم مقززة ومنفرة فيحذروهم.

معنى الاختبار الإلهي لأهل البيت عليهم السلام

إن الله جلّ اسمه امتحن أهل البيت عليهم السلام بأنواع البلاء لا لجهله بحالهم فهو العالم بكل شيء، وإنما ليخرج مكنونهم النورانيّ الذي

يكشف الطريق للسائرين إلى الله جل شأنه، وانكشاف هذا المكنون يتوقف على الامتحان، لذلك كان الأنبياء عليهم السلام وأهل البيت عليهم السلام أعظم الناس بلاء.

امتحان الزهراء عليها السلام

سؤال: اين امتحنت «سلام الله عليها»؟

الجواب:

أولاً: أن الزهراء عليها السلام امتحنت في نشأة ما قبل عالم الاظلة (الذر) وكان ذلك في عالم الأنوار الأولى في الصادر الأول، والروايات تؤكد أن أول ما خلق الله (العقل) وهو نور النبي (محمد) صلوات الله عليه وعلى آله، ذلك العقل (النور) لا يتجزأ فهو محمد وهو فاطمة وهو علي وهو الحسن وهو الحسين عليهم الصلاة والسلام، وقد امتحنه الله تعالى بقوله: (أقبل) فأقبل و(أدبر) فأدبر هناك امتحنت السيدة الزهراء عليها السلام فكانت صابرة...

ثانياً: يقول سماحة الشيخ محمد صنقور[1]: فإن المراد من الامتحان هو أنَّ الله تعالى استخبر حال السيدة فاطمة عليها السلام في الأزل فعلم أنَّها واجدة لمقام الصبر على ما سينتابها من مصيباتٍ في الدنيا، ولذلك اصطفاها.

فامتحان الله عزَّ وجلَّ لفاطمة قبل خلقها ليس بمعنى اختبارها في

(١) موقع الشيخ الصنقور.

ذلك العالم، بل هو بمعنى علمه بواقعها، وأنَّها ستصبر بعد خلقها إذا ابتُليت، وإنما عبَّرت الرواية عن علم الله تعالى في الأزل بواقع فاطمة عليها السلام في الدنيا بالامتحان؛ لأنَّ علمه بمستقبل الأمور حتمي الوقوع، فهو لحتميته كأنه قد وقع.

لذلك نجد في القرآن أن الله تعالى يتحدث عما سيقع في يوم القيامة وما سوف يقع في الجنة والنار وكأنه قد وقع، فيُخبر عنه بصيغة الماضي(١) وكأنه قد وقع وانتهى وما ذلك إلا لحتمية وقوعه.

والمتحصَّل من مفاد الزيارة المأثورة أنَّ الله تعالى علم منذ الأزل أنَّ فاطمة عليها السلام ستحظى بمقام الصابرين بعد أن تُمتحن في الدنيا.

فتوصيفها بالممتحنة منذ الأزل؛ ولأنَّ ذلك هو ما كان قد قُدِّر لها، ولأن الذي قد قُدِّر لها سوف يقع عليها حتماً، لذلك فهو منزَّل منزلة ما كان قد وقع.

ثمّ إنَّ الامتحان يستبطن معنى التمحيص، فيقال: محَّص الذهب أي: صفَّاه واستخلصه من شوائب المعادن الأخرى فأصبح ذهباً خالصاً لا شائبة فيه، ولأنَّ تمحيص الذهب يكون بتسليط النار عليه وتذويبه لغرض تنقيته وتخليصه من الشوائب، لذلك يُعبَّر عن هذه العملية في استعمال العرب بامتحان الذهب.

فالامتحان يكون بتسليط النار، والأثر المترتِّب على ذلك هو تمييز معدن الذهب عن سائر المعادن والشوائب، فإذا تميز الذهب عن سائر

---

(١) مثلا قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

المعادن تمكَّن الممتحِن من تخليص معدن الذهب من بين سائر المعادن، فتكون نتيجة الامتحان الاصطفاء أي: اختبار معدن الذهب وإهمال ما عداه من المعادن والشوائب التي كانت عالقة وممتزجة به، فغاية الامتحان هي الاصطفاء، لذلك يُستعمل الامتحان في كلام العرب ويُراد به الاصطفاء، فمعنى أن هذا الرجل ممتحَن هو أنَّه مصطفى من بين أقرانه، والتعبير عنه بالممتحَن بدلاً من المصطفى يكون لغرض الإشعار بمنشأ الاصطفاء فهو إنما اصطُفي دون أقرانه؛ لأنه قد امتُحن، فالممتحَن هو خلاصة ما نتج عن الامتحان والتمحيص.

وبذلك يتضح المراد من قوله: «يا ممتحنة» فإنَّ المراد من ذلك أنَّها المصطفاة دون أقرانها، غايته أنَّ امتحان الإنسان للأشياء أو لأخيه الإنسان يكون بالتمحيص بالنحو المناسب بكل شيء يراد امتحانه.

وأمّا امتحان الله جلَّ وعلا فالمناسب له هو التأهيل ابتداءً، إذ أنه تعالى غنيٌّ عن التجربة والفحص والمعالجة، فمعنى أنَّه امتحن فاطمة عليها السلام من الأزل هو أنَّه أهَّلها أي: أودع فيها الملكات التي تُميِّزها دون سائر أقرانها فتكون بذلك جديرة بالاصطفاء والاختيار.

وبذلك يكون المراد من قوله: «يا ممتحنة امتحنك الله قبل أن يخلقك» هو أنَّ الله عزَّ وجل اصطفى فاطمة عليها السلام واختارها دون سواها بعد أن أودع فيها الملكات والكمالات التي تؤهلها لمقام الاصطفاء.

فلسفة امتحانها عليها السلام

سؤال: لماذا امتحنت الزهراء عليها السلام ؟

الجواب: أن امتحانها عليها السلام تميز عن امتحان البشر في النشأة وفي مضمون الامتحان، فالبشر يتعرضون للامتحان ليخرج مكنونهم إلى الواقع العملي، فيحاسبوا عليه فتكون لله الحجة البالغة يوم الجزاء.

وأمّا الزهراء عليها السلام فامتحانها ليس لهذا الهدف وإنّما لتكون هي امتحاناً للخلق بحجيتها عليهم فيحاسبون على أساس علاقتهم بها وبمبادئها وعبارة (وحساب الخلق عليكم) الواردة في الزيارة الجامعة تشير بجلاء إلى أن الله تعالى يحاسب الناس يوم القيامة على أساس مودتهم وطاعتهم واقتدائهم بأهل البيت عليهم السلام كما يصحح المعلم ورقة الطالب في الامتحان بمقارنتها بالإجابة النموذجية، فأهل البيت عليهم السلام هم الانسان النموذجي وهم موازين الخلق. ذكرت الروايات الشريفة أن الله سبحانه خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام أو أكثر، وأنه سبحانه جعل الأبدان كالذر وامتحنهم في ذلك العالم، فقد ورد في رواية علي بن معمّر عن أبيه أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النّجم: ٥٦]، قال: «إن الله تبارك وتعالى لمّا ذرأ الخلق في الذرّ الأول فأقامهم صفوفاً قدّامه، بعث الله محمداً «صلّى الله عليه وآله» فآمن به قوم وأنكره قوم، فقال الله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾، يعني به محمداً «صلّى الله عليه وآله» حيث دعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ في الذرّ الأول»[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥ ص٢٣٤ ب١٠ ح٧.

فالامتحان هناك كان بالنسبة إلى الألوهيّة، وبالنسبة إلى النبّوة، وبالنسبة إلى الولاية، ولعلّه كان أيضاً بالنسبة إلى المعاد(١).

وظاهر بعض الروايات أن الدنيا مبنية على ذلك العالم، ولو بنحو المقتضي، حيث أن الله تبارك وتعالى ابتلى الخلق في بدء الخلقة في عالم الذرّ قبل ابتلائهم في هذه الدنيا(٢).

النتيجة:

فكما أن وزارة التربية والتعليم تعد كتاباً ليكون منهجاً يمتحن الطالب على ضوئه، فكذلك الزهراء عليها السلام صاغها الله كتاباً يتعلم الناس منه ويمتحنون به، فكان هذا الكتاب صامداً لم تنقض براهينه وحججه،

(١) مقتبس من كلام العلّامة الشيرازي.

(٢) ولعله كانت هناك امتحانات متعددة كما أنّ البشر في الدنيا يمتحن بامتحانات مختلفة: امتحان بالإيمان وبالصوم وبالصلاة وبالخمس والزكاة وبالحج والجهاد وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥].

ففي رواية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما اختلف اثنان، فقال: إن الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماءً عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي، وقال: كن ماءاً ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم أمرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً ويلد الكافر مؤمناً، ثم أخذ طين آدم من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فإذا هم في الذرّ يدبون، فقال لأصحاب اليمين: إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب النار: إلى النار ولا أبالي: ثم أمر ناراً فأسعرت، فقال لأصحاب الشمال: (أُدخلوها) فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: (أُدخلوها) فدخلوها، فقال: (كوني برداً وسلاماً) فكانت برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا رب أقلنا، فقال: (قد اقلتكم فادخلوا) فذهبوا فهابوها، ثم ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا أن يكونوا من هؤلاء».

المحاسن: ص٢٨٢باب بدء الخلق ح٤١٢، وبحار الأنوار: ج٥ص٢٥٢ب١٠ح٤٨.

فالسلام عليك يا ممتحنه امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة.

معنى الطهارة القرآنية ومصداقها

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزَاب: ٣٣].

سؤال: ما المقصود بالرجس؟

الجواب: والرِجْس- بالكسر فالسكون - صفة من الرجاسة، وهي القذارة، والقذارة: هيئة في الشيء توجب التجنّب والتنفّر منها))»[١].

يستخدم القرآن الرجس في الدلالة على القذارة المادية قال تعالى: ﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾ [الأنعَام: ١٤٥].

كما يستعملها في الأمور المعنوية والكفر من المصاديق المعنوية، أي: من مصاديق الرجس والقذارة الباطنية، حيث يقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التّوبَة: ١٢٥]، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعَام: ١٢٠].

فالكفر ومرض القلب، وهما من الأمور الباطنية، وصفهما القرآن بالرجس وجعلهما من مصاديق القذارة.

وعلى هذا الأساس يتضح أنّ القرآن يستعمل الرجس فى الأمور المادية والمعنوية على حدٍّ سواء.

(١) الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٦، ص٣١٢.

سؤال: ما المقصود بالطهارة؟

الجواب: المقصودُ هو الطهارة في المعنى القرآني، وهي طهارة على مستوى:

١ - المعتقدات والملكات.

٢ - طهارة على صعيد الأعمال والسلوك.

٣ - الطهارة القلبية وهي أعلى مراتبها تتمثّل بطهارة القلب من كل ما سوى الله من التعلقات(١).

قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصّافات: ٨٤]. لقد جاء في بيان المقصود من القلب السليم عدد من الروايات التفسيرية، منها قول الراوي: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٩]، قال: (السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه)(٢).

وبعبارة أكثر وضوحاً:

- الطهارة المادية تعني(٣): طهارة البدن وملحقاته حيث يُراد من صاحبه تخليصه من جميع النجاسات المادّية فضلًا عن الأوساخ والقاذورات، وقد عقد أصحاب كتب الأخلاق لذلك أبواباً وفصولاً فصّلوا فيها موضوعات تنظيف الجسد والثياب والاهتمام بالتزيينات المندوب إليها والخضاب والتطيّب والسواك وغير ذلك.

فعن الرسول الأكرم «صلّى الله عليه وآله»: أنه قال: «تنظّفوا بكلّ ما

(١) بحث حول الإمامة، الطهارة القلبية، للمحقق السيد كمال الحيدري، ص: ٢٦٤.
(٢) تفسير القمي، ج ٢، ص١٢٣.
(٣) معرفة الله، آليات المعرفة الفطرية، للمحقق السيد كمال الحيدري، ج٢، ص٤٤-٤٥.

استطعتم فإنّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة ولن يدخل الجنّة إلّا كلّ نظيف»[١].

- وأمّا بالنسبة إلى الطهارة الباطنية[٢]: فهي تعني تطهير النفس أو القلب أو الروح[٣] من الأدران المعنوية وجميع الرذائل والموبقات والخبائث الباطنية، من قبيل الكذب والرياء والعجب والحسد وسوء الظنّ والعصبية الجاهلية والنفاق والنميمة، فضلًا عن الشرك والكفر والإلحاد، وغير ذلك ممّا هو مدوّن في كتب الأخلاق والعرفان العملي.

وإذا تحققت الطهارة بهذا المستوى (القرآني والاخلاقي والعرفاني) تحققت العصمة القرآنية وهي شرط الامامة.

مصاديق آل البيت عليهم السلام

سؤال: من هم أهل البيت في الآية الشريفة؟

الجواب: بحسب الروايات وتحديد مصداقها الخارجي من قبل الرسول «صلّى الله عليه وآله» هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من بين الروايات الكثيرة يشار فى هذا المضمار إلى تلك

(١) ميزان الحكمة للشيخ محمد الري شهريّ، نشر وتحقيق دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ: ج ٤ ص٣٣٠٣ ح ٢٠٣٢٧.
(٢) معرفة الله، آليات المعرفة الفطرية، للمحقق السيد كمال الحيدري، ج٢، ص٤٧.
(٣) النفس والقلب والروح كلمات تشير إلى مسمّى واحد وحقيقة واحدة عند علماء الأخلاق، وهي تلك الحقيقة الكامنة وراء البدن، وأمّا عند العرفاء فإنّها ألفاظ تشير إلى مراتب مختلفة. أنظر: التربية الروحية للسيد كمال الحيدري، الناشر دار فراقد، الطبعة السادسة، ١٤٢٤ هـ، قم: ص١٨٣

التى أخرجها الترمذي وصححها، وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححها، وابن مردويه والبيهقي فى سننه من طرق متعددة، عن أم سلمة أنها قالت: فى بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزَاب: ٣٣] وفى البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجلّلهم رسول الله «صلّى الله عليه وآله» بكساء كان عليه، ثمَّ قال: هؤلاء أهل بيتي فأذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً[(١)].

الزهراء عليها السلام محور هذا البيت

بعد التعرف على مفردات الآية الشريفة نرجع إلى هذا البيت الطاهر وبالتحديد إلى الزهراء عليها السلام ولنرى موقعها في هذا البيت. ومن خلال الآيات والروايات يتبين الحديث القدسي الذي يشير إلى هذا الجمع: «يا أحمد لولاك ما خلقت الأفلاك، ولولا علي ما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما[(٢)] [(٣)].

---

(١) ينظر: الدرّ المنثور فى التفسير المأثور، ج ٥، ص١٩٨، الطبعة المذكورة آنفاً. ينظر: الدر المنثور فى التفسير المأثور، ج ٥، ص١٩٨-١٩٩، طبعة مصر، المطبعة الميمنية، ١٣١٤ هـ.

(٢) جواب سماحة السيد علي الميلاني: لا شك (في) أنّ رسول الله وآله «عليه وآله السلام» هم العلة الغائية من الخلقة، فلولا رسول الله لما خلق الله العالم، لكنّ الرسول الأعظم «صلّى الله عليه وآله» وعلياً أمير المؤمنين عليه السلام من شجرة واحدة كما في أحاديث الفريقين، والشجرة إن لم تثمر فلا فائدة لها، وحصول الثمرة منها يتوقف على وجود فاطمة سلام الله عليها، ولذا قال في الأحاديث: (وفاطمة لقاحها)، فلولا فاطمة لم يتحقّق الغرض من البعثة والولاية، ولما وجد الحسنان وسائر أئمة الهداية عليهم السلام.

(٣) مستدرك سفينة البحار: ج ٣ ص٣٣٤، عن مجمع النورين وكشف اللآلي: نقلاً عن الموسوعة الكبرى للزهراء عليها السلام - ج ١٩ / ص٣٥٨.

من مصاديق الطهارة الزهد في الدنيا

الله سبحانه تعبد الأولياء بعدم التعلق بالدنيا، لأنها راس كل خطيئة. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رأس كل خطيئة حب الدنيا(١).

ولهذا يحذرنا المولى سبحانه بل يشفق علينا من الاغترار بالدنيا. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

والله سبحانه علم من الازل أنّ أهل البيت عليهم السلام زهدوا فيها وعليه طهرهم ففي دعاء الندبة نقرأ هذا المقطع «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمينَ وَصَلَّى اللهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْليماً اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلى ما جَرى بِهِ قَضآئُكَ فى أَوْلِيآئِكَ الَّذينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَدينِكَ اِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزيلَ ما عِنْدَكَ مِنَ النَّعيمِ الْمُقيمِ الَّذى لا زَوالَ لَهُ وَلَا اضْمِحْلالَ بَعْدَ اَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فى دَرَجاتِ هذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِها وَزِبْرِجِها فَشَرَطُوا لَكَ ذلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفاءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَالثَّناءَ الْجَلِيَّ»(٢).

معنى الزهد الحقيقي

سؤال: هل الزهد في الدنيا يعني تركها والعزوف عنها؟

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٧٠ / ص٧.

(٢) مقطع من دعاء الندبة.

الجواب: عندما نرجع إلى النص الالهي يتضح لنا أنّ الشارع المقدس يضع لنا الأسس والثوابت من أجل التعامل مع الدنيا وفق الموازين الالهية وليس تركها: قال سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القَصَص: ٧٧].

وفي الرواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أنه قال: كنا مع أمير المؤمنين عليه السلام ... فقال: علام تذم الدنيا يا جابر؟!... الدنيا منزل صدق لمن صدقها، ومسكن عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، فيها [مسجد] أنبياء الله ومهبط وحيه، ومصلى ملائكته ومسكن أحبائه، ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا منها الجنة(١).

والخلاصة أن المقصود من الزهد فيها أن لا تقدمها على طاعة الله سبحانه.

وعندما نتصفح حياة الزهراء عليها السلام نجد الطهارة القرآنية والزهد في الدنيا جليّين في حياتها عليها السلام.

الزهراء عليها السلام على خطى أبيها «صلّى الله عليه وآله»(٢)

إشترى الرسول «صلّى الله عليه وآله» ثوباً لها عند زواجها، وقد لبسته عند زفافها وفي الطريق جاء سائل وطلب منها ثوباً، فخلعت ثوبها

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٧٠ / ص١٠٠.
(٢) سيرة الزهراء عليها السلام لآية الله العظمى السيد عبد الحسين دستغيب، منشورات دليل ما، ط٢، ١٤٢٩هـ، ص٩٩، وينظر إحقاق الحق وازهاق الباطل للعلّامة الشهيد نور الله التستري، ج١٠، ص٤٠١.

الجديد وأعطته إياه ولبست ثوبها القديم. وفي الغد جاء الرسول «صلّى الله عليه وآله» فلم يجد الثوب فسألها عما جرى فأخبرته فقال لها: ولماذا لم تعطي ثوبك القديم فأجابت: يا أبت حين جاء سائل أعطيته ثوبك الوحيد وتلفعت بالحصير فأردت أن أقلدك قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٢١] وفي رواية أخرى قالت: أردت أن أعمل بقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٢] وعندها هبط جبرئيل عليه السلام وقال للرسول «صلّى الله عليه وآله»: الله يقرئك السلام والزهراء عليها السلام ويقول: سنعطيها ما تريد.

دعاء الزهراء عليها السلام لشيعتها(١)

قالت الزهراء عليها السلام لأبيها رسول الله: لا أريد سوى خدمته ودوام رحمته في دار السلام قال الرسول: أنا أرفع يدي فارفعي أنت يديك، ودعا: اللهم اغفر لأمتي وقالت الزهراء آمين، فنزل الوحي وقال: أبشرك بأن الله غفر لمحبي الزهراء ومحبي ذريتها، قالت الزهراء: أطلب من الله سجلاً بخصوص هذا الأمر. فجأة نزلت قطعة من الحرير، فكتبت الزهراء بقلم القدرة هذه الآية الشريفة: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعَام: ٥٤] فقال الرسول: ضعي هذه في كفنك. وأوصت الزهراء عليّاً عليه السلام بأن أن يضع هذه القطعة في كفنها وقالت: في يوم

(١) سيرة الزهراء عليها السلام لآية الله السيد عبد الحسين دستغيب، منشورات دليل ما، ط٢، ١٤٢٩هـ، ص١٠٠.

القيامة وحين تمتد السنة النيران فسأخرج هذا السجل لأنقذ محبي بواسطته.

هذه هي الزهراء عليها السلام . . . ولكن عندما نسأل التأريخ عن ظلامتها تكون الإجابة بصوت منخفض حياءً من رسول الله «صلّى الله عليه وآله»؛ لأن المعتدين يعلمون مقامها عليها السلام !!!؛ لأن الرسول «صلّى الله عليه وآله» بين ذلك وبوضوح تام قولاً وفعلاً كما دلت الروايات على ذلك ومنه هذه الرواية عن ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء قوله: (. . . حفظت من رسول الله «صلّى الله عليه وآله» ثمانية أشهر بالمدينة، ليس من مرةٍ يخرج إلى صلاة الغداة إلّا يأتي إلى باب عليٍّ فوضع يده على جنبتي الباب، ثمَّ قال: الصلاة الصلاة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣])[1].

وهذه الحقيقة تتظافر على نقلها الروايات المختلفة، من أنّ النبي «صلّى الله عليه وآله» مكث مدةً (وان اختلفت الروايات في بيان المدة) يأتي باب عليٍّ بن أبى طالب عند وقت الصلاة ويخاطبهم أي: يخاطب عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بهذا الخطاب أعلاه.

موالاة الزهراء عليها السلام

جاء في زيارة الزهراء عليها السلام : يا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللهُ الَّذى خَلَقَكِ قَبْلَ اَنْ يَخْلُقَكِ فَوَجَدَكِ لِمَا امْتَحَنَكِ صابِرَةً وَزَعَمْنا أَنّا لَكِ أَوْلِيآءُ. . .!!

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، ج ٥، ص١٩٩، وفى الطبعة الحديثة طبع دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣ م: ج ٦، ص٦٠٥-٦٠٦.

سؤال: ما هو معنى الزعم؟ وهل يعني أن موالاتنا للزهراء «صلوات الله عليها» مجرد زعم؟!

الجواب: الزعم في اللغة: هو الادعاء المحتاج إلى دليل للإثبات، فالأصل فيه الكذب إلا أن يثبت الصدق بدليل.

إذا عرفنا ذلك أدركنا مدى خطورة هذه الكلمة وهذه العبارة «وزعمنا أنّا لك أولياء..»، فالحقيقة هي أننا نزعم أننا موالون للزهراء «صلوات الله عليها» ولكن إثبات أننا مخلصون في موالاتنا يبدو صعباً على نفوسٍ ملوثة بالذنوب مثل نفوسنا!

الميزان لاثبات مولاة للزهراء «صلوات الله عليها»

سؤال: ما هو الميزان لإثبات أننا موالون للزهراء «صلوات الله عليها» وأهل البيت عليهم السلام؟

الجواب: نرجع إلى رواياتهم عليهم السلام لمعرفة ذلك ومنها:

- أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج ذات ليلة من المسجد، وكانت ليلةً قمراء فأمّ الجبّانة ولحقه جماعة يقفون أثره، فوقف عليهم، ثم قال: من أنتم؟ قالوا: شيعتك يا أمير المؤمنين. فتفرّس في وجوههم ثم قال: فمالي لا أرى عليكم سيماء الشيعة؟ قالوا: وما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكاء، حدب الظهر من القيام، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، عليهم غبرة الخاشعين»(١).

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٦٥ / ص١٥٠.

- عن الإمام الحسن العسكري قال عليه السلام: قال رجل لامرأته: إذهبي إلى فاطمة عليها السلام بنت رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فسليها عني: أنا من شيعتكم أو لست من شيعتكم؟ فسألتها، فقالت عليها السلام: «قولي له: إن كنت تعمل بما أمرناك وتنتهي عما زجرناك عنه، فأنت من شيعتنا وإلا فلا».

فرجعت فأخبرته، فقال: يا ويلي ومن ينفك من الذنوب والخطايا، فأنا إذن خالد في النار، فإن من ليس من شيعتهم فهو خالد في النار!

فرجعت المرأة فقالت لفاطمة عليها السلام ما قال زوجها.. فقالت فاطمة عليها السلام قولي له: «ليس هكذا فإن شيعتنا من خيار أهل الجنة، وكل محبينا وموالي أوليائنا ومعادي أعدائنا، والمسلم بقلبه ولسانه لنا ليسوا من شيعتنا إذا خالفوا أوامرنا ونواهينا في سائر الموبقات، وهم مع ذلك في الجنة، ولكن بعد ما يطهرون من ذنوبهم بالبلايا والرزايا أو في عرصات القيامة بأنواع شدائدها، أو في الطبق الأعلى من جهنم بعذابها، إلى أن نستنقذهم بحبنا منها وننقلهم إلى حضرتنا»(١).

ومن ثم ننظر إلى سلوكنا ونقارنه بسلوك الزهراء عليها السلام... نلاحظها عليها السلام قمة في العفاف والستر فمثلاً بالنسبة إلى نسائنا هل جعلن الزهراء قدوتهن؟ وهل امتثلن لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٩](٢).

سؤال: لماذا هذا الحجاب بهذا الشكل؟

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٣٠٨.
(٢) والجلباب هو الملاءة أو العباءة تكون فوق الدرع السابغ الطويل...

الجواب: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزَاب: ٥٩] إذن الستر والحجاب الشرعي مانع من أذية الرجال للنساء... ولكن اليوم نرى الحجاب في أغلب الاحيان مثيراً لمفاتن وجمال المرأة... ونشاهد العجب العجاب من لباس وحجاب المرأة عندما تخرج إلى الأسواق والأماكن العامة والمناسبات... من ضيق الملابس... وأصباغ الوجه... ووضع العلامات والإشارات المخزية في الملابس على الأماكن الحساسة والمثيرة في جسم المرأة... من قبيل وضع البصمات والدناديش على النهدين وعلى الردفين وعلى الخصرين وعلى الصرة ووضع الخطوط والمزركشات حتى على العورة... ولكن مع شديد الاسف لم نلتفت إلى ذلك ونزعم نحن أننا من محبي الزهراء عليها السلام فأين نحن من الزهراء؟ ولعلنا نحن الحاضرين يوجد عندنا من هذا القبيل ولم نلتفت إلى أنفسنا...

الزهراء عليها السلام تتحجب عن الأعمى!!

إنّ الزهراء عليها السلام كانت ترتدي حجابها التامّ حتى من الأعمى فعن الإمام موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي عليه السلام: إستأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته، فقال رسول الله «صلّى الله عليه وآله» لها لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت عليها السلام: إن لِمَ يكن يراني فإنّي أراه وهو يشمّ الرّيح، فقال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: أشهد أنّك بضعة منّي؟!!

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزَاب: ٣٣].

إذن تبقى هذه الموالاة زعماً «وَزَعَمْنا اَنّا لَكِ اَوْلِياَّءُ» إلى أن نثبت ذلك ونسير ونهتدي ونقتدي بالزهراء عليها السلام . . .

ولاية فاطمة الزهراء عليها السلام طهارة من الذنوب

جاء في زيارة الزهراء عليها السلام : يا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللّهُ الَّذى خَلَقَكِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكِ فَوَجَدَكِ لِمَا امْتَحَنَكِ صابِرَةً وَزَعَمْنا اَنّا لَكِ أَوْلِياَّءُ وَمُصَدِّقُونَ وَصابِرُونَ لِكُلِّ ما أَتانا بِهِ أَبُوكِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ والِهِ وَأَتى بِهِ وَصِيُّهُ فَإِنّا نَسْأَلُكِ إِنْ كُنّا صَدَّقْناكِ إِلّا أَلْحَقْتِنا بِتَصْديقِنا لَهُما لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنا بِأَنّا قَدْ طَهُرْنا بِوَلايَتِكِ.

بعد أن نطق نصّ الزيارة بـ (وَزَعَمْنا أَنّا لَكِ أَوْلِيَّاءُ) فإنها صعقة كبرى نوجهها لأنفسنا بأنفسنا! فنعترف بأننا نزعم الموالاة والتشيع - تلك الدرجة العالية الرفيعة - في الحين الذي لا نزال فيه نرتكب الخطايا والذنوب التي تنزع عنا هذه الصفة الجليلة.

وذلك لأنّ الشيعي له مواصفات ذكرها أئمتنا عليهم السلام في أحاديثهم ومنها (ما وردَ) عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والامانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبر بالوالدين، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة، والغارمين، والايتام وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الالسن عن الناس، إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء.

قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال عليه السلام: يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول: أحب علياً وأتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فعالاً؟ فلو قال: إني أحب رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فرسول الله «صلّى الله عليه وآله» خير من علي عليه السلام ثم لا يتبع سيرته، ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إيّاه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة أحب العباد إلى الله عزوجل [وأكرمهم عليه] أتقاهم وأعملهم بطاعته.

يا جابر فوالله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، ولا تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع(١).

فإنّ المقطع الآخر من الزيارة «فَإِنّا نَسْأَلُكِ إِنْ كُنّا صَدَّقْناكِ إِلّا أَلْحَقْتِنا بِتَصْديقِنا لَهُما لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنا بِأَنّا قَدْ طَهُرْنا بِوَلايَتِكِ» يعطينا بارقة أمل لأنّ تولي ومحبة الزهراء عليها السلام يلحقاننا بالنبي «صلّى الله عليه وآله» ووصيه سلام الله عليه، وهذا الأمل بشرى لأنفسنا بأنّا قد طهرنا بولايتها عليها السلام!

ما أروع هذا المقام الفاطمي الشامخ (حيث) تكون الزهراء البتول «صلوات الله وسلامه عليها» هي المسؤولة عن إلحاقنا بأبيها وبعلها «عليهما الصلاة والسلام»، ويكون قيد الشرط في كل ذلك تصديقها هي عليها السلام!

سؤال: لماذا هي المسؤولة عن إلحاقنا بأبيها «صلّى الله عليه وآله» وبعلها عليه السلام؟

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٦٧ / ص٩٧.

الجواب: أن الأنبياء بعثوا بنبوة رسول الله والولاية لأمير المؤمنين (سلام الله عليه) ولكن هناك حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيه بحق الزهراء عليها السلام: وهي الصديقة الكبرى على معرفتها دارت القرون الأولى(١). فسئل عن القرون الأولى فقال: قرون كل الأنبياء والمرسلين.

وكذلك: عن عبد الأعلى عن الإمام الصادق عليه السلام: ما نبئ نبي قط إلا بمعرفة حقنا وبفضلنا عمن سوانا(٢).

وعندما نضم حديث «فاطمة حجة علينا» الصادر عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهو يبين عظمة الزهراء عليها السلام إلى هذا الحديث تكون النتيجة ما نبئ نبي الا بمعرفة الزهراء عليها السلام.

سؤال: كيف نطهر بولايتها؟

الجواب: ذكرت عدة وجوه لتفسير ذلك ومنها:

١ - لعل ولايتها عليها السلام تطهرنا من الذنوب من قبيل اقامة الحد على المذنب، فنحن نعرف أن من يتعدّى حدود الله تعالى، كشرب الخمر مثلاً (والعياذ بالله)، لا بد له من أن يتطهّر، فيكون تطهيره بإقامة الحد عليه، ولهذا نجد في التاريخ أن بعضا من الذين تعدّوا الحدود كانوا يذهبون إلى رسول الله أو أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وآلهما) ويقولون: يا رسول الله طهّرنا.

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص١٠٥.
(٢) المصدر - ج ١٨ / ص٢٩٩.

يا أمير المؤمنين طهّرنا[(١)] وهم يقصدون إقامة الحد عليهم في الدنيا

(١) ومن روايات تطهير المذنبين: أولاً: عن بشير بن المهاجر عن أبيه قال: كنت جالساً عند النبي «صلّى الله عليه وآله» فجاءته امرأة من غامد، فقالت: يا نبي الله إني قد زنيت، وأريد أن تُطهرني، فقال لها النبي «صلّى الله عليه وآله»: إرجعي، فلما كان من الغدأتته أيضاً فاعترفت عنده بالزنا، فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت وأريد أن تطهرني، فقال لها: فارجعي، فلما أن كان من الغد أتته فاعترفت عنده بالزنا، فقالت: يا نبي الله طهرني فلعلك تردني كما رددت ماعزاً بن مالكٍ، فوالله إني لحبلى، فقال لها النبي «صلّى الله عليه وآله»: إرجعي حتى تلدي، فلما ولدت جاءت بالصبي تحمله قالت: يا نبي الله هذا قد ولدت. قال: فاذهبي فأرضعيه حتى تفطميه، فلما فطمته جاءت بالصبي في يده كسرة خبز قالت: يا نبيّ الله هذا فطمته فأمر النبي «صلّى الله عليه وآله» بالصبي فدفع إلى رجل من المسلمين، وأمر بها فحفر لها حفرة فجعلت فيها إلى صدرها ثم أمر الناس أن يرجموها، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجنة خالد فسبها فسمع النبي «صلّى الله عليه وآله» سبه إياها، فقال: مهلاً يا خالد لا تسبها، فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس أي: عشار لغفر له، فأمر بها فصلى عليها فدفنت/ بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج٢١/ ص٣٦٦.
ثانياً: عن أبي بصير، عن عمران ابن ميثم، عن أبيه - أو عن صالح بن ميثم، عن أبيه - قال: أتت امرأة مجح أي: الحامل المقرب أمير المؤمنين عليه السلام فقالت: يا أمير المؤمنين طهرني! إني زنيت فطهرني طهرك الله، فإن عذاب الدنيا أيسر علي من عذاب الآخرة، الذي لا ينقطع. فقال لها: ممّ أطهرك؟
فقالت: إني زنيت.
فقال لها: أذات بعل أنت أم غير ذلك؟
فقالت: ذات بعل، قال لها: أفحاضراً كان بعلك إذ فعلت ما فعلت، أم غائب؟
قالت: بل حاضر، فقال لها: إنطلقي فضعي ما في بطنك، فلما ولت عنه المرأة فصارت حيث لا تسمع كلامه، قال: اللهم إنها شهادة.
فلم تلبث أن عادت إليه المرأة فقالت: يا أمير المؤمنين إني قد وضعت فطهرني، قال: فتجاهل عليها وقال: يا أمة الله أطهرك من ماذا؟ قالت: إني زنيت فطهرني! قال: أوَ ذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟ قالت نعم، قال: فكان زوجك حاضرا «إذ فعلت [ما فعلت]؟ أو كان غائباً»؟
قالت: بل حاضراً، قال: إنطلقي حتى ترضعيه حولين كاملين، كما أمر الله. فانصرفت

لئلا تبقى تلك المعصية مسجلة في صحائف أعمالهم يوم القيامة،

المرأة، فلما صارت حيث لا تسمع كلامه، قال عليه السلام: اللهم شهادتان.
قال: فلما مضى حولان أتت المرأة فقالت: قد أرضعته حولين فطهرني!
قال: فتجاهل عليها وقال: أطهرك من ماذا؟ قالت: إني زنيت فطهرني! قال: أو ذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟ قالت: نعم، قال: وكان بعلك غائباً «عنك إذ فعلت ما فعلت أم حاضراً»؟ قالت: بل حاضراً، قال: إنطلقي فاكفليه حتى يعقل أن يأكل ويشرب، ولا يتردى من السطح، ولا يتهور في بئر، فانصرفت وهي تبكي، فلما ولت وصارت حيث لا تسمع كلامه، قال: اللهم ثلاث شهادات. قال: فاستقبلها عمرو بن حريث المخزومي فقال: ما يبكيك يا أمة الله؟ فقد رأيتك تختلفين إلى أمير المؤمنين تسألينه أن يطهرك؟ فقالت: أتيته فقلت له ما قد علمتموه، فقال: إكفليه حتى يعقل أن يأكل ويشرب، ولا يتردى من سطح، ولا يتهور في بئر، ولقد خفت أن يأتي علي الموت، ولم يطهرني، فقال لها عمرو: إرجعي فأنا أكفله. فرجعت فأخبرت أمير المؤمنين عليه السلام بقول عمرو، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتجاهل عليها: ولم يكفل عمرو ولدك؟ قالت: يا أمير المؤمنين إني زنيت فطهرني! قال: ذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟ قالت: نعم، قال: فغائب عنك بعلك إذ فعلت ما فعلت أم حاضر؟ قالت: بل حاضر. قال: فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم إنه قد ثبت لك عليها أربع شهادات، فإنك قد قلت لنبيك فيما أخبرته به من دينك: يا محمد من عطل حداً من حدودي فقد عاندني، وطلب مضادتي، اللهم فاني غير معطل حدودك، ولا طالب مضادتك ولا معاندتك، ولا مضيع لأحكامك، بل مطيع لك، ومتبع سنة نبيك. قال: فنظر إليه عمرو بن حريث فكأنما تفقأ في وجهه الرمان فلما رأى ذلك عمرو، قال: يا أمير المؤمنين إني إنما أردت أن أكفله إذ ظننت أنك تحب ذلك، فأما إذ كرهته فاني لست أفعل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: بعد أربع شهادات لتكفلنه وأنت صاغر ذليل. ثم قام أمير المؤمنين عليه السلام فصعد المنبر، فقال: يا قنبر! ناد في الناس «الصلاة جامعة» فنادى قنبر في الناس، فاجتمعوا حتى غص المسجد بأهله، فقام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس إن إمامكم خارج بهذه المرأة إلى هذا الظهر ليقيم عليها الحد إن شاء الله فعزم عليكم أمير المؤمنين إلا خرجتم متنكرين، ومعكم أحجاركم لا يتعرف أحد منكم إلى أحد، حتى تنصرفوا إلى منازلكم إن شاء الله. فلما أصبح بكرة خرج بالمرأة وخرج الناس متنكرين، متلثمين بعمائمهم وأرديتهم والحجارة في أرديتهم وفي أكمامهم، حتى انتهى بها والناس معه إلى ظهر الكوفة فأمر فحفر لها بئر، ثم دفنها إلى حقويها، ثم ركب بغلته

فيؤاخذوا عليها ويزج بهم في النار، نستجير بالله تعالى منها. فهل أن ولاية الزهراء «صلوات الله عليها» ضرب من هذا القبيل، أعني أنها كالحد الذي يطهّر صاحبه مما اقترفه من صغائر وعظائم الذنوب؟

إذن ولايتها «سلام الله عليها» كأنها الحد الشرعي لطهارتنا من الذنوب واللوث. !!

سؤال: لعلّ أحداً يشكل على ذلك القول بأن الحد ضرب من العذاب، فكيف يشبه بولاية الزهراء صلوات الله عليها؟ وفي الأحاديث: (ولايتهم أحلى من العسل بل هي الجنة) عن موسى بن بكر قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجل في المجلس: أسأل الله الجنة. فقال أبو عبد الله عليه السلام: أنتم في الجنة فاسألوا الله أن لا يخرجكم منها فقالوا: جعلنا فداك نحن في الدنيا؟ فقال: ألستم تقرون بامامتنا؟ قالوا: نعم، فقال: هذا معنى الجنة[1] الذي من أقر به كان في الجنة فاسألوا الله أن لا يسلبكم[2].

الجواب:

أولاً: التشبيه من جهة كونه تطهيراً لا من جهة العذاب.

ثانياً: من يواليهم حقاً يتعرّض لصنوف الجور والظلم في الدنيا والروايات صريحة في هذا المقام، ومنها:

فأثبت رجليه في غرز الركاب، ثم وضع إصبعيه السبابتين في أذنيه، ثم نادى بأعلى صوته فقال: يا أيها الناس إن الله تبارك وتعالى عهد إلى نبيه «صلّى الله عليه وآله» عهداً عهده محمد «صلّى الله عليه وآله» إليّ بأنه لا يقيم الحد من لله عليه حد، فمن كان لله تبارك و تعالى عليه مثل ماله عليها فلا يقيمن عليها الحد، قال: فانصرف الناس ما خلا أمير المؤمنين عليه السلام / بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٧٦ / ص٤٥.

(١) لما كانت الولاية سبباً لدخول الجنة سميت بها مبالغة.

(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٦٥ / ص١٠٢.

- روى جابر الجعفي عن علي عليه السلام أنه قال: من أحبنا أهل البيت فليستعد عدَّةً للبلاء[١].
- . . . وعن المنهال بن عمر قال: كنت جالساً مع محمد بن عليّ الباقر عليهما السلام إذ جاءه رجل فسلم عليه فرد عليه السلام، قال الرجل: كيف أنتم؟ فقال له محمد: أو ما آن لكم أن تعلموا كيف نحن؟! إنما مثلنا في هذه الأمة مثل بني إسرائيل، كان يذبح أبناؤهم وتستحيى نساؤهم، ألا وإن هؤلاء يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، زعمت العرب أن لهم فضلاً على العجم فقالت العجم: وبمَ ذلك؟ قالوا: كان محمد منا عربياً، قالوا لهم: صدقتم، وزعمت قريش أن لها فضلاً على غيرها من العرب فقالت لهم العرب من غيرهم: وبمَ ذاك؟ قالوا: كان محمد قرشياً. قالوا لهم: صدقتم، فإن كان القوم صدقوا فلنا فضل على الناس لأنا ذرية محمد، وأهل بيته خاصةً وعترته، لا يشركنا في ذلك غيرنا، فقال له الرجل: والله إني لأحبكم أهل البيت قال: فاتخذ للبلاء جلباباً، فوالله إنه لاسرعُ إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي، وبنا يبدو البلاء ثم بكم، وبنا يبدو الرخاء ثم بكم[٢].

ورحم الله الفقيه السيد ناصر حسين الموسوي الهندي الذي قال:

إن كنت من شيعة الهادي أبي حسن حقاً فأعدد لريب الدهر تجنافا
إن البلاء نصيب كل شيعته فاصبر ولا تك عند الهم منصافا

(١) المصدر - ج ٣٩ / ص٢٩٥.
(٢) المصدر- ج ٤٦ / ص٣٥٩.

٢ - لعل ولايتها عليها السلام طريق نحو الامتناع عن اقتراف الذنوب والبعد عن المحرّمات بالنظر إلى التزامنا بأوامرها ونواهيها، لأنها حجة الله في عالم الامكان؟

٣ - ولعل ولايتها عليها السلام مادة موضوع مستقل يحطّ الذنوب حطّا كالاستغفار مثلاً؟

٤ - لعل ولايتها عليها السلام تغيّر تكوينيا من أرواحنا وتنقّيها من نوازع الشر وتغذي نوازع الخير فيتحقق التطهير؛ لأننا خلقنا من فاضل (فضل) طينتهم عليهم السلام قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: يا علي أنت مني وأنا منك، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، وشيعتك خلقوا من فضل طينتنا، فمن أحبهم فقد أحبنا ومن أبغضهم فقد أبغضنا...»[1].

٥ - ولعل ولايتها عليها السلام هي حكم شرعيٌّ خاصٌّ كطهارة المؤمن مقابل نجاسة الكافر!

٦ - ولعل ولايتها عليها السلام تطهرنا في الحشر ويوم القيامة الكبرى... والروايات دالة بوضوحٍ في هذا المقام ومنها:

- عن الإمام الحسن العسكري قال عليه السلام: قال رجل لامرأته: إذهبي إلى فاطمة عليها السلام بنت رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فسليها عني: أنا من شيعتكم أو لست من شيعتكم؟ فسألتها، فقالت عليها السلام: «قولي له: إن كنت تعمل بما أمرناك وتنتهي عما زجرناك عنه، فأنت من شيعتنا وإلا فلا».

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٦٥ / ص٧.

فرجعت فأخبرته، فقال: يا ويلي ومن ينفك من الذنوب والخطايا، فأنا إذن خالد في النار، فإن من ليس من شيعتهم فهو خالد في النار؟!

فرجعت المرأة فقالت لفاطمة عليها السلام ما قال زوجها.. فقالت فاطمة عليها السلام قولي له: «ليس هكذا فإن شيعتنا من خيار أهل الجنة، وكل محبينا وموالي أوليائنا ومعادي أعدائنا، والمسلم بقلبه ولسانه لنا ليسوا من شيعتنا إذا خالفوا أوامرنا ونواهينا في سائر الموبقات، وهم مع ذلك في الجنة، ولكن بعد ما يطهرون من ذنوبهم بالبلايا والرزايا أو في عرصات القيامة بأنواع شدائدها، أو في الطبق الأعلى من جهنم بعذابها، إلى أن نستنقذهم بحبنا منها وننقلهم إلى حضرتنا»[(١)].

الزهراء عليها السلام ترفض المهر المادي وتطلب مكانه المهر المعنوي «الشفاعة للمذنبين».

نعم للزهراء عليها السلام موقف يوم القيامة لإنقاذ المذنبين من شيعتها ومحبيها ففي الرواية: إن فاطمة عليها السلام لما سمعت بأن أباها زوّجها وجعل الدراهم مهراً لها، قالت: يا رسول الله، بنات الناس يتزوجن بالدراهم، فما الفرق بيني وبينهن؟ أسألك أن تردها وتدعو الله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أُمّتك.

فنزل جبرئيل ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: «جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبين من أُمّة أبيها».

فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت

---

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٣٠٨.

الكفن، فوضعت. قالت: إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي وشُفِّعْتُ في عصاة أُمّة أبي[(١)].

أوصت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى عليٍّ عليه السلام بأَنَّهُ: إذا دفنتني ادفن معي هذا الكاغد الذي في الحقة. فقال لها سيد الوصيين: بحق النبيّ أخبريني بما فيه. قالت: حين أراد أن يزوجني أبي منك قال لي: زوجتك من عليٍّ على صداق أربعمائة درهم. قلت: رضيت عليّاً، ولا أرضى بصداق أربعمائة درهم.

فنزل جبرئيل وقال: يا رسول الله، يقول الله عز وجل: الجنة وما فيها صداق فاطمة.

قلت: لا أرضى! قال: أيّ شيءٍ تريدين؟ قلت: أُريد أُمّتك؛ لأنك مشغول بأمّتك.

فرجع جبرئيل، ثم جاء بهذا الكتاب مكتوباً فيه: «شفاعة أمة محمد صداق فاطمة». فإذا كان يوم القيامة أقول: «إلهي، هذه قبالة شفاعة أمةً محمد»[(٢)].

(١) أخبار الدُّول وآثار الأُول: ص٨٨ على ما في الإحقاق: نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج٢٤، ص: ١٦٨.
(٢) عوالم العلوم: ج ١١/ ٢ ص١١٨٨ ح ٩ عن الجنة العاصمة: نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج٢٤، ص: ١٦٩.

الموضوع الحادي والعشرون

الزهراء عليها السلام البذرة الإلهية في قلب الوجود

من جملة الآيات القرآنية الكريمة طبق التفسير الملكوتي والمعنوي النازلة في شأن ومنزلة السيدة الزهراء «صلوات الله عليها»، هي هذه الآية: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

المعنى المُلكي للآية: إن الأشخاص الذين ينفقون في سبيل الله عملهم كمثل زراعة بذرة القمح التي تتبدل إلى سبع سنابل، وحينها تصبح كل سنبلة سبعين حبة قمحٍ، يعني: من حبةٍ واحدةٍ نحصل على سبعمائة حبة قمح.

المعنى الملكوتي وتأويل الآية الشريفة: يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الحبة فاطمة (صلّى الله عليها) والسبع السنابل من ولدها سابعهم قائمهم»(١).

(١) نص الرواية كما أوردها العلّامة الشيخ عبد عليّ بن جمعة العروسي الحويزي قدس سره في تفسيره نور الثقلين ح ١١٠٦ عن المفضل بن محمد الجعفي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: حبة أنبتت سبع سنابل قال: الحبة فاطمة عليها السلام، والسبع

حكمة ذكر الرواية أئمة سبعة

الزهراء «صلوات الله عليها» في الحقيقة هي حبة كل الأئمة عليهم السلام، لكن في هذه الرواية جاء التعريف فقط في سبعة الأئمة عليهم السلام، يُحتمل أن علة ذلك أنه يبدأ الوصول إلى نتيجة وثمرة الحبة من الإمام جعفر الصادق عليه السلام (١).

المنبت للزرع والموجد له الله سبحانه

يقول الله في القرآن الكريم: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤].

حتماً المنبت والزارع وموجد كل الحبوب هو الله المتعال، والناس فقط عمّال؛ يعني عملهم فقط وضع البذر والحب في باطن الأرض.

يعرِّف الله المتعال في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. نفسه بأنه هو الزارع، ويعرّف من هي البذرة التي بذرت في قلب الوجود، ومنها وجدت السنابل

السنابل سبعة من ولدها سابعهم قائمهم، قلت: الحسن؟ قال: إنّ الحسن إمامٌ من الله مفترض طاعته ولكن ليس من السنابل السبعة أوّلهم الحسين وآخرهم القائم فقلت: قوله: في كل سنبلة مائة حبة فقال: يولد الرجل منهم في الكوفة مئة من صلبه وليس ذلك إلا هؤلاء السبعة.

(١) يعني الأئمة السبعة وهم: الصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والقائم المهديّ عليهم السلام عجّل الله فرجهم.

الإستثنائية والعجيبة وفوق العادة، هل يوجد غير السيدة الزهراء «صلوات الله عليها»؟

الزارع، والحارث، الخالق، المعلم، المربي، الساقي لهذه الحبوب هو الله المتعال؛ لأن هذه الحبة غالية وقيمة جدّاً، هي شخصية خُلِق كل الوجود من أجلها، لو لم تكن موجودة لم يخلق موجود، هي السيدة فاطمة «صلوات الله عليها»، السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» التي منها وجد الأئمة المعصومون عليهم السلام، وجد من هذه الحبة السنابل، السنابل هم الأشخاص الذين يكون كل الأنبياء في مقابلهم في خضوع، والملائكة يجلسون في ذلك المكان متأدبين.

يقول الله: حبتي في عالم الخلقة زهراء الطهر «صلوات الله عليها»، ونتيجة وثمرة هذه الحبة وجود أئمة الهدى عليهم السلام، الأئمة الذين عملهم تربية ورشد البشر، أولئك يريدون أن يقطعوا البشر عن الالتصاق بالأرض ويأخذوهم إلى العرش حتى يصبحوا إلهيين.

- ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾.

المعنى الملكي والظاهري لهذه الجملة: أن الله لو يريد، ستكون هذه الحبوب أكثر.

وأما المعنى الباطني والملكوتي لهذا القسم من الآية الشريفة فهو هكذا: أنّ الوجود المطهر للإمام جعفر الصادق عليه السلام ربى كل الشيعة وأتباع المذهب العلوي، وملأ كل العالم بالحقائق والمعارف والفضائل التوحيدية والنبوية والولائية.

فاطمة الزهراء عليها السلام حبّة قلب عالم الوجود

سؤال: لماذا فاطمة حبّة؟

الجواب: يوجد لهذا السؤال جوابان:

الجواب الأول: أن هذه الحبّة هي علَّة وأساس لكل السنابل، ولو لم تكن هذه الحبة لم يوجد أثر لهذه السنابل والقمح، ولذلك يريد الله أن يقول: أيها الإنسان، لو لم تكن السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» لم يوجد أثر للإمام الصادق، وَالإمام الكاظم، وَالإمام الرضا، وبقية الأئمة وسفراء الهداية عليهم السلام، ولذلك فإن كل ما لدى الأئمة والأنبياء والأولياء عليهم السلام من بركة سيدة نساء العالمين الزهراء المرضية «صلوات الله عليها»، بمعنى أنّ كل هؤلاء من خلال هذه الحبة كسبوا الفيض والفضيلة، ويعتبر وجودهم مديناً لها، بهذا الدليل يقول الحديث القدسي: (لولا فاطمة لما خلقتكما)، أيها النبي! لو لم تكن فاطمة لم أخلقك أنت ولا عليّاً «صلوات الله عليهما».

الجواب الثاني: أنّ حقيقة وباطن الأولاد أنهم الآباء، فرسول الله «صلّى الله عليه وآله» قال: (أولادُنا أكبادُنا)، أبناؤنا قطعة منا. ولذلك فإن حقيقة وجود المعصومين عليهم السلام هو وجود السيدة الزهراء «صلوات الله عليها»، إن وجود المعصومين عليهم السلام بحسب الحقيقة وجودها، يعني: وجود السيدة الزهراء «صلوات الله عليها»، إن هذا الوجود في الظاهر له تكثّر وهو وجود المعصومين عليهم السلام، ولكنه في الحقيقة شيء واحد.

ومن الروايات الدالة على أنهم عليهم السلام في الأصل نور واحد ما يأتي:

- عن أنس قال: سمعت رسول الله «صلّى الله عليه وآله» يقول: كنت أنا وعلي عن يمين العرش، نسبح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما خلق آدم جعلنا في صلبه، ثم نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطاهرين وأرحام المطهرات حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب، فقسمنا قسمين: فجعل في عبد الله نصفاً، «وفي أبي طالب نصفاً»، وجعل النبوة والرسالة فيّ، وجعل الوصية والقضية في علي، ثم اختار لنا اسمين اشتقهما من أسمائه: فالله المحمود وأنا محمد، والله العلي وهذا علي، فأنا للنبوة والرسالة، وعلي للوصية... [(١)].

- عن الوراق، عن بشر بن سعيد، عن عبد الجبار بن كثير، عن محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة، عن الصادق عليه السلام قال: إن محمداً «وعلياً» صلوات الله عليهما كانا نوراً «بين يدي الله جلّ جلاله قبل خلق الخلق بألفي عام، وإن الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً» وقد انشعب منه شعاع لامع، فقالت: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله عزوجل إليهم: هذا نور من نوري أصله نبوة وفرعه إمامة، فأما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي، وأما الامامة فلعلي حجتي ووليي، ولولاهما ما خلقت خلقي... [(٢)].

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ١٥ / ص١٢.
(٢) المصدر - ج ١٥ / ص١١.

الموضوع الثاني والعشرون

سورة الكوثر
وعلاقتها بالزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام (١)

أولاً: عظمة وفائدة السورة

- محمّد بن يعقوب في الكافي: . . . عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: من قرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] عند النوم وُقِيَ فِتْنَةَ القبر»(٢).

- ورواه ابن بابويه في ثواب الأعمال: عن أبيه. . . عن أبي عبد الله عليه السلام، مثله(٣).

- الطبرسي في مجمع البيان: بالإسناد عنه «صلّى الله عليه وآله»: «من قرأ سورة (التكاثر) لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار

(١) مقتبس من شبكة عرفان نت: منتدى الكوثر: الأستاذ المهندس هادي جساس الذهبي: بإضافة وحذف بعض العبارات وتخريج المصادر وإبراز عناوين. . .
(٢) الكافي ٢: ٦٢٣ / ١٤، وعنه في الوسائل ٦: ٢٢٨ / ٧٨٠٠ و٤٥١ / ٨٤١٨، وورد أيضاً في مصباح المتهجد: ١٠٧، وفلاح السائل: ٤٨٦ / ٢١، وعنه في المستدرك ٥: ٥٠ / ذيل ح ٥٣٣٧، وعُدّة الداعي: ٣٤٢ / ١: نقلاً عن عيون الغرر في فضائل الآيات والسور.
(٣) ثواب الأعمال: ١٥٣ / ٢، وعنه في البحار ٩٢: ٣٣٦ / ٢: نقلاً عن عيون الغرر في فضائل الآيات والسور.

الدنيا، وأُعطي من الأجر كأنّما قرأ ألف آية»(١).

القطب الراوندي في الدعوات: عن النبيّ «صلّى الله عليه وآله»، قال: «جاءني جبرئيل فقال: بشّر أُمّتك بفضائل (ألهاكم) ما من أحد من أُمّتك يقرأها بنيّة صادقة عند مضجعه، إلّا كتب له سبعون ألف حسنة ومحي عنه سبعون ألف سيئة، ورفع له سبعون ألف درجة، وشفّع في أهل بيته وجيرانه ومعارفه، وكفاه الله شرّ منكر ونكير»(٢).

ومن كتاب خواصّ القرآن: رُوي عن النبيّ «صلّى الله عليه وآله»، أنّه قال: «من قرأ هذه السورة لم يُحاسبه الله بالنِّعَمِ الّتي أنعم بها عليه في الدنيا، ومن قرأها عند نزول المَطَرِ غَفر الله ذنوبه وقت فَرَاغه»(٣).

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من قرأها وقت نزول المطر، غفر الله له، ومن قرأها وقت صلاة العصر كان في أمان الله إلى غروب الشمس من اليوم الثاني بإذن الله تعالى»(٤).

ثانياً: سبب النزول

ورد في سبب نزول السورة المباركة: أنّ النبيّ «صلّى الله عليه وآله» مرّ وهو آتٍ من جنازة ولده القاسم - على العاص بن وائل، وابنه عمرو، فقال حين رأى رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: لأشنؤُهُ. فقال

(١) مجمع البيان ٥: ٥٣٢، وعنه في المستدرك ٤: ٣٦٨ / ٤٩٥٨: نقلاً عن عيون الغرر في فضائل الآيات والسور.
(٢) دعوات الراوندي: ٢١٨ / ٥٩٢، وعنه في المستدرك ٤: ٢٩٤ / ٤٧٢٤: نقلاً عن عيون الغرر في فضائل الآيات والسور.
(٣) تفسير البرهان ٥: ٧٤٣ / ١١٨٥٩: نقلاً عن عيون الغرر في فضائل الآيات والسور.
(٤) تفسير البرهان ٥: ٧٤٣ / ١١٨٦٠: نقلاً عن عيون الغرر في فضائل الآيات والسور.

العاص بن وائل: لا جَرَمَ لقد أصبح أبتر، وقد تألم الرسول «صلّى الله عليه وآله» حينما سمع هذا التشفّي، فأنزل الله سورة الكوثر على نبيه في هذه المناسبة. و(الشانىءُ هو المبغض والأبتر من لا عقب له وهذا الشانئ هو العاص بن وائل).

ثالثاً: معنى الكوثر اللغوي

الكوثر: يعني الشيء الذي من شأنه الكثرة، وهو الخير الكثير.

ومن مصاديق الكوثر:

١ - نهر في الجنة أعطاه الله الرسول «صلّى الله عليه وآله» عوضاً عن ابنه إبراهيم عليه السلام.

وقال أنس: بينا رسول الله «صلّى الله عليه وآله» ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه متبسما فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلتْ عليّ آنفاً سورة فقرأ (سورة الكوثر)، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: ألله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ، عليه خير كثير...

٢ - حوض النبي «صلّى الله عليه وآله» الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة.

٣ - ومن استعمال ظاهر اللسان العربي تفسير «الكوثر» بأنه الذرية الكثيرة، في قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾. فهي صيغة مبالغة من الكثرة (فوعل) يؤيد ذلك الآية التي تجئ فيما بعد ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ والأبتر من لا عقب له.

وبهذا ساغ تفسير الشيعة بأن الكوثر هو الذرية. وقد رزق الله النبي

الذرية الكثيرة من فاطمة، فهي الكوثر المقصود. والآخرون يقولون: إن الكوثر نهر في الجنة. وغيرهم يؤولونه بأنه النبوة). جاء في تفسير الميزان: (إنّ كثرة ذريته «صلّى الله عليه وآله» هي المرادة وحدها بالكوثر الذي أعطيه النبي «صلّى الله عليه وآله» أو المراد بها الخير الكثير وكثرة الذرية مرادة في ضمن الخير الكثير ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ خالياً عن الفائدة. وقد استفاضت الروايات أن السورة إنما نزلت فيمن عابه «صلّى الله عليه وآله» بالبتر بعد ما مات ابناه القاسم وعبد الله، وبذلك يندفع ما قيل: أن مراد الشانئ بقوله: (أبتر) المنقطع عن قومه أو المنقطع عن الخير، فردّ الله عليه بأنه هو المنقطع من كل خير.

رابعاً: الاعجاز في السورة

إنّ كلام الله سبحانه تعالى لنبيه في هذه السورة كان قبل ظهور الخير الكثير، فهو إخبار بالمستقبل القريب والبعيد، إخبار إعجازي يشكل دليلا آخر على صدق دعوة الرسول الأعظم «صلّى الله عليه وآله». وتتضمن السورة في الواقع ثلاثةً من أنباء الغيب والحديث عن المستقبل، فهي:

أولاً: تتحدث عن إعطاء الخير الكثير للنبي «صلّى الله عليه وآله» (أعطيناك الكوثر) وهذا الفعل وإن جاء بصيغة الماضي، قد يعني المستقبل الحتميّ حتمي الوقوع. وهذا الخير الكثير يشمل كل الانتصارات والنجاحات التي أحرزتها الدعوة الإسلامية فيما بعد. وهي ما كانت متوقعةً عند نزول السورة في مكة.

ثانياً: السورة تخبر النبي «صلّى الله عليه وآله» بأنه سوف لا يبقى بدون عقب، بل إن ذريته ستنتشر في الآفاق.

ثالثاً: تخبر السورة بأن عدوه هو الأبتر، وهذه النبوءة تحققت أيضاً، فلا أثر لعدوه اليوم، فبنو أميّة وبنو العباس الذين عادوا النبي «صلّى الله عليه وآله» وأبناءه كانوا ذوي نسل لا يحصى عدده، ولم يبق اليوم منهم شيء يُذكر.

حكاية زيارة المستنصر لسر من رأى(١)

ومن الشواهد لذلك ننقل لكم أيّها الأحبة هذا الخبر التاريخي من سيرة بني العباس... أن المستنصر العباسي لما وصل (سر من رأى) سأل عن قبور آبائه، فدلوه على موضع جمعت فيه القاذورات وصار مزبلةً يغطيها ذرق الطيور والخفافيش، فلما تشرف بزيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام رأى القناديل الثمينة معلقة، والسجاد الغالي مبسوطاً، والشموع الكافورية مشتعلة، والمجامر والبخور والطيب منتشراً، وشذا العطور يملأ الأجواء، والروضة الشريفة مزدحمةً بالزوار، رجالاً ونساءً، شيباً وشباناً، يطوفون حول القبر المقدس ويطلبون الحاجات.

فقال أحد الحاضرين للمستنصر: كانت الدنيا بأيديكم تحكمون البلاد وتتسلطون على رقاب الناس، ما خدمت الدنيا أحداً كما خدمتكم، وما سلطت أحداً كما سلطتكم وألقت بمقاليدها إليكم، وهذه

(١) الخصائص الفاطميّة: الشيخ محمد باقر الكجوري: ج ١: ٤٤٧.

قبوركم خربة ومزابل ترمى فيها قاذورات الناس والبهائم، بينما كان العلويون والفاطميون مقهورين ومغلوبين، انزوت الدنيا عنهم، فلم تمكن منهم أحداً، فلا سلطان ولا حكم ولا اقتدار دنيوي عاشوا فقراء وماتوا غرباء، وهذه قبورهم عامرة يقصدها الناس من أقاصي البلاد ويطوفون حولها ويزورونها ويتبركون بها وينذرون لها ويستشفعون بتربتها ويشعلون الشموع والقناديل عندها كل ليل، فما أعجب هذا الأمر وما أغربه؟!

فقال المستنصر: هذا أمر سماوي وتأييد إلهي لا يحصل باجتهادنا، ولو أمرنا الناس به ما قبلوا، ولو بضرب الرقاب وسفك الدماء.

خامسا: مصاديق الكوثر:

الحوض، النهر، الذرية، الزهراء عليها السلام.

وقفة تأمل مع الحوض والكوثر

أولاً: حوض الكوثر

والحوض لغةً: مجتمع الماء، وجمعه أحواض وحياض وحيضان.

هو حوض أعطاه الله سبحانه وتعالى للرسول الأكرم «صلّى الله عليه وآله» ووجوده من الأمور المتواترة ولاخلاف فيها. قال الشيخ الصدوق رحمه الله: اعتقادنا في الحوض أنه حق، وأن عرضه ما بين أيله وصنعاء وهو حوض النبي «صلّى الله عليه وآله»، وأن فيه من الأباريق عدد نجوم السماء، وأن الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب عليه السلام يسقي منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً(١).

مواصفات الحوض كما بينته الروايات(٢):

١ - قواعده تحت عرش الله يجري من تحت العرش، وينصب فيه شعبتان من الجنة: إحداهما من تسنيم، والأخرى من معين.

٢ - عرضه كطوله فشهر عرضاً وشهر طولاً. عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى أو ما بين أيله وصنعاء، عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب.

٣ - ماؤه أشد بياضاً من اللبن والورق، وأشدُ بياضاً من الثلج.

٤ - وريحه أطيب من المسك.

٥ - ماؤه أحلى من العسل، وألين من الزبد، وأزكى من العنبر، وأصفى من الدمع.

٦ - كيزانه كنجوم السماء، فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة.

٧ - حصاه الدر والزبرجد والمرجان، ترابه المسك الأذفر، حشيشه الزعفران.

٨ - لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث.

٩ - عمقه سبعون ألف فرسخٍ، شاطئاه الدر والياقوت والزبرجد.

---

(١) الاعتقادات: باب الاعتقاد في الحوض.

(٢) ينظر: بحار الأنوار -العلّامة المجلسيّ - ج ٨ / ص٢٢.

ثانياً: مواصفات نهر الكوثر(١)

بيّنتْ الأحاديث الشريفة مجموعةً من صفات هذا النهر وهي:

١ - نهر في السماء مجراه من تحت العرش، مخرجه من ساق العرش، نهر في الجنة.

٢ - حصباؤه الدر والزبرجد والمرجان ترابه المسك الأذفر.

٣ - عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب.

٤ - لا يشرب أحد منه فيظمأ، ولا يتوضأ أحد منه فيشعث.

٥ - لا يشربه إنسان، خفر ذمة الرسول «صلّى الله عليه وآله» وقتل أهل بيته عليهم السلام.

٦ - يذود علي عليه السلام عنه يوم القيامة من ليس من شيعته.

٧ - حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، حافتاه من ذهب.

٨ - مجراه الدّرّ والياقوت وتربته أطيب من المسك، حشيشه الزعفران.

٩ - لونه أشد بياضاً من اللبن، ومن الثلج.

١٠ - ماؤه أحلى من العسل.

١١ - ملمسه ألين من الزبد.

١٢ - فيه طيور خضر لها أعناق كأعناق البخت.

١٣ - عليه ألف ألف قصر، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، حشيشها الزعفران ورضراضها الدر والياقوت وأرضها المسك الأبيض.

---

(١) المصدر - ج ٨ / ص١٨.

العلاقة بين الحوض والنهر

سؤال: ما علاقة الحوض بالنهر؟

الجواب:

الروايات الواردة في هذا المجال تُشير تارةً إلى النهر وأخرى إلى الحوض. . . عند تتبع الروايات الشريفة يتضح منها أنّ النهر والحوض واحدٌ باعتبار أنّ النهر يمثل المجرى المتصل بالمنبع من تحت العرش، ثم يصب في الحوض من خلال شعبتين تصبان فيه صبّاً إحداهما من تسنيم والأخرى من معين، فيكون الحوض قبل دخول الجنة في ساحات الحساب وعَرَصات القيامة، والنهر يكون في داخل الجنة، ولذلك تجد أن صفاتهما متشابهة إلى حدٍّ بعيد، فالحوض عادةً يأخذ الكثير من صفات المصب والمنبع. ونجد هذا واضحاً في بيان الرسول الأكرم «صلّى الله عليه وآله» للكوثر كما في هذه الرواية الشريفة: عن أنس قال بينا رسول الله «صلّى الله عليه وآله» ذات يوم بين أظهرنا إذْ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال: أُنزلتْ عليّ آنفاً سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١-٣] ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، حيث ذكر «صلّى الله عليه وآله» أنّه نهر ثم عقّب بأنّه حوض، وعلى هذا فلا تناقض في الروايات الشريفة فالرسول الأكرم «صلّى الله عليه وآله» قد أُعطي الحوض مع منبعه كاملاً، إضافة إلى طاقم كامل معه من سقاة وذادة وهم أهل بيته عليهم السلام، مع المنازل والقصور والحور والطيور.

علاقة النبي «صلّى الله عليه وآله» بالحوض الكوثري

أولاً: منازل الرسول «صلّى الله عليه وآله» وأهل البيت عليهم السلام على الحوض.

ثانياً: أنّه كلٌ له عمل معين هناك.

فالحوض أشبه بدار استقبال، فيها فريق عمل متكامل، تؤهل المؤمنين لدخول الجنة وهذا ما أشارت إليه الروايات ومنها:

- عن الإمام علي عليه السلام قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: أراني جبرئيل منازلي ومنازل أهل بيتي على الكوثر.

ثالثاً: بعض المسلمين يذودون عن الحوض.

صرحتْ الكثير من الأحاديث بأن الذادة عن حوض النبي «صلّى الله عليه وآله» هم أهل البيت عليهم السلام:

١ - قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: أنا واردكم على الحوض وأنت يا علي الساقي والحسن الذايد والحسين الآمر وعلي بن الحسين الفارض ومحمد بن علي الناشر وجعفر بن محمد السايق وموسى بن جعفر محصي المحبين والمبغضين وقامع المنافقين وعلي بن موسى معين المؤمنين ومحمد بن علي منزل أهل الجنة في جناتهم وعلي بن محمد خطيب شيعته ومزوجهم الحور العين والحسن ابن علي سراج أهل الجنة يستضيئون به والهادي شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن إلا لمن يشاء ويرضى[1].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ص٩٤ - ٩٥، والطرائف ص١٧٤ برقم: ٢٧١ نقلاً عن الأربعين للشيخ الماحوزي.

٢ - عن علي عليه السلام قال: أنا مع رسول الله «صلّى الله عليه وآله» ومعي عترتي وسبطايَ على الحوض، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل عملنا، فإنّ لكل أهل بيت نجيباً، ولنا شفاعة ولأهل مودتنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض، فإنا نذود عنه أعداءنا ونسقي منه أحباءنا وأولياءنا...[1].

٣ - عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي «صلّى الله عليه وآله»: يا علي معك يوم القيامة عصاً من عصي الجنة، تذود بها المنافقين عن الحوض[2].

٤ - عن علي بن أبي طلحة قال: حججنا فمررنا على الحسن بن علي عليه السلام بالمدينة، ومعنا معاوية بن حديج، فقيل للحسن عليه السلام: إن هذا معاوية بن حديج الساب لعلي عليه السلام، فقال: عليّ به، فأُتي به فقال: أنت الساب لعلي عليه السلام؟! فقال: ما فعلت! فقال: والله إن لقيته، وما أحسبك تلقاه يوم القيامة، لتجده قائماً على حوض رسول الله «صلّى الله عليه وآله» يذود عنه رايات المنافقين، بيده عصاً من عوسج! حدثنيها الصادق المصدوق، وقد خاب من افترى[3].

رابعاً: الساقي على الحوض

وردَ الكثير من الأحاديث التي تشير إلى أنّ السقاة على حوض الكوثر هم أهل البيت عليهم السلام:

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسيّ - ج ٨ / ص١٩.
(٢) المصدر - ج ٤٠ / ص٧٩.
(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي- ج٩ - ح ١٤٧٤٤.

١ - عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: أعطيتُ في عليٍّ خمساً هن أحب إليّ من الدنيا وما فيها: . . . وأما الثالثة: فواقفٌ على عقر حوضي يسقي من عرف من أمتي(١).

٢ - جاء في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: السلام على ميزان الأعمال ومقلب الأحوال وسيف ذي الجلال، وساقي سلسبيل الزلال(٢).

علة الذود عن الحوض

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤]. تخبر الآية الكريمة عن انقلابٍ وردَّة تحدث بعد رحيل الرسول الأكرم «صلّى الله عليه وآله»، وقد جاء الكثير من الأحاديث الشريفة ليبيّن هذه المسألة على القطع واليقين، بأنّ الكثير من أصحاب وأمّة الرسول الأكرم «صلّى الله عليه وآله» ستنقلب على الأعقاب ومنها حديث الإنقلاب أو الحوض بصيغه المتعددة:

١ - عن أسماء عن النبي «صلّى الله عليه وآله»: قال: أنا على حوضي أنتظر من يرد علي، فيؤخذ بناس من دوني فأقول: أمتي! فيقول: لا تدري مشوا على القهقرى(٣).

٢ - عن ابن المسيب أن النبي «صلّى الله عليه وآله» قال: يرد على

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٣٩ / ص٢٢٠.
(٢) المصدر - ج ٩٧ / ص٣٣٠.
(٣) صحيح البخاري ٨: ٨٦، كتاب الفتن نقلاً عن الأربعين للماحوزي.

الحوض رجال من أصحابي فيحلؤون[١] عنه! فأقول: يا رب أصحابي؟! فيقول: فإنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى[٢].

٣ - عن أنس بن مالك عن النبي «صلّى الله عليه وآله» قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم: قال: فإنه نهر وعدنيه ربى عزَّ وجلَّ عليه خير كثير، هو حوض ترد أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج[٣] العبد منهم فأقول: ربِّ إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك.

٤ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: ليجيئن قوم من أصحابي من أهل العلية والمكانة مني ليمروا على الصراط، فإذا رأيتهم ورأوني، وعرفتهم وعرفوني، اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي أصحابي، فيقال: ما تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم حيث فارقتهم، فأقول: بعداً وسحقاً[٤].

التعارض بين أحاديث الحوض وتفسير الآية السياقي

قد يبدو لأول وهلة أن هناك تعارضاً بين معنى السورة بلحاظ ذيلها ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] حيث تشير إلى أن الكوثر هو

(١) يحلؤون عن الحوض: أي يصدون عنه ويمنعون من وروده.
(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٢٨ / ص٢٩.
(٣) أصل الخلج: الجذب والنزع، ومنه الحديث ليردن عليّ الحوض أقوام ثم ليختلجن دوني أي: يجتذبون ويقتطعون.
(٤) بحار الأنوار - العلّامة المجلسيّ - ج ٨ / ص١٦.

الذرية التي هي في قبال الأبتر وهو المنقطع النسب، وبين التفسير الروائي الذي يبيِّن أنّ الكوثر هو حوض أُعطيه الرسول الأكرم «صلّى الله عليه وآله».

سؤال: كيف نجمع بين تفسير الكوثر بالذرية الكثيرة وبين كوثر الحوض؟

الجواب:

حل الإشكال يكمن في دمج هذين التفسيرين إذْ أنّ الحوض الذي أُعطيه الرسول «صلّى الله عليه وآله» هو حوض معد لاستقبال المؤمنين وسقيهم بل وضيافتهم وتهيئتهم لدخول الجنة، وفي نفس الوقت فهو محطة تفتيش يُرصد فيها المنافقون بعلامات تبدو عليهم فيتم ذودهم وطردهم إلى ذات الشمال أي: إلى النار، وهذا الكادر الرباني المتكامل الذي يقوم بهذه المهمّات هم أهل بيت النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله»، إذاً فلا تنافي بين الروايات التي استفاضت في تفسير الكوثر بالحوض وبين تفسير الآية السياقي الذي يذهب إلى تفسير الكوثر بذرية الرسول الأكرم «صلّى الله عليه وآله» فيكون الكوثر حوضاً وعليه الذرية المباركة وكما مر علينا في روايات السقاة والذادة آنفاً.

الكشف عن الساق يوم القيامة
وعلاقته بالحوض الكوثري

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [القَلَم: ٤٢].

أولاً: من اقوال المفسرين

- ذكر الرازي في تفسيره نقلاً عن الزمخشري في كشافه: الكشف عن الساق مثل في شدة الأمر، فمعنى قوله: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القَلَم: ٤٢] يوم يشتد الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثمّ، ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثمّ ولا غل وإنما هو مثل في البخل.
- في مجمع البيان عن القتيبي: أصل هذا أنّ الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجد فيه يشمر عن ساقه، فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة... تقول العرب: قامتْ الحرب على ساق، وكشفت عن ساق يريدون شدتها قال الشاعر:

قد شمرت عن ساقها فشدوا   وجدت الحرب بكم فجدوا

- ويمكن القول: إنّه كناية عن تجلي اصول الحقائق، وانما استخدم القرآن الكشف عن الساق لأن ساق الشيء أصله، وعلى هذا قيل: ساق الشجرة. ويوم القيامة هو يوم الكشف عن أصل الحقائق، فهنالك يكشف للناس الحق الأصل وأعمالهم.

ثانياً: إثارة جديدة في معنى الساق(١)

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

وملخص الفكرة يمكن عرضه كالآتي: إنّ كلمة (ساق) هي في الأصل ساقي من السقاية وقد حذفت ياؤها، لأنّ الاسم المنقوص إذا جاء نكرة تُحذف ياؤه، ويعوض عنها بتنوين العوض، أو التعويض نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرّعد: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٥]، وهي قاعدة نحوية معروفة، ولما كانت الأحاديث الشريفة تبيّن أنّ ساقي الكوثر هو الإمام علي عليه السلام، بل الأئمة كلهم بين ساق وذائد، اتضح سبب الرهق والذلة من هول الصدمة التي تصيب المنحرفين عن خط الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، حين يُكشف عن هذه الحقيقة ويُدركون ذلك واقعاً، حيث يُدعون إلى السجود كما دُعيَ الملائكة وإبليس للسجود لآدم قال تعالى:

(١) يقول صاحب الإثارة المهندس عباس الذهبي: بعد دراسة وتأملٍ عميقين في الآية الكريمة ومتابعةٍ للروايات الشريفة المرتبطة بتفسير هذه الآية المباركة، تبلورتْ لديَّ فكرة جديدة، أرى طريقها سالكاً وجوانبها ظليلة، تبلغ الهدف بيُسر وخير وسيلة. وقد انبثقت هذه الفكرة عند ملاحظتي لرقم الآية الكريمة وهو **٤٢** إذْ هو بقدر عدد حروف الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، الذين يمثلون السقاة والذادة على حوض الكوثر كما مر علينا آنفاً. إضافةً إلى أنّ هذا التعبير الشريف: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ مؤلّف من **١٢** حرفاً بعدد السقاة الإثني عشر عليهم السلام، وقيمته بالحساب التكراري = **١١٠** وهذا بدوره = قيمة علي عليه السلام بحساب الجمّل! كما أنّ ورود كلمة علي عليه السلام في الآية كاملة =**١٢** وفي هذا إشارة الى عدد السقاة والذادة على حوض الكوثر كون الإمام علي عليه السلام أولهم وقائدهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٣٤]، ودعوة السجود الأخروية هذه سواءٌ أكانت لله تعالى أم للرسول وآله عليهم السلام في ذلك اليوم فهي بأمر الله وبالنتيجة فهي طاعة لله تعالى، ولما كانت الأعمال في ذلك اليوم هي نتاج وانعكاس لأعمال الدنيا وتجلٍّ لها، حيث تُبلى السرائر وتُكشف الضمائر، فسيتمكن المؤمنون من إجابة الدعوة كما أجابوها في الحياة الدنيا، ولن يتمكن غيرهم من إجابة هذا الطلب الإرصادي نتيجة الكبر الذي كانوا عليه في الدنيا، حيث تُدمج أصلابهم فلا تنثني وتكون كالصياصي، فيختلج القرن منهم أي يُجذبون ويُقتطعون ويُؤخذ بهم إلى ذات الشمال، إلى النار.

إنّ الدعوّة إلى السجود في الدنيا لها مفهوم واسع يمكن أنْ نجده في الصلاة المفروضة والنافلة ونجدها في سجود الشكر والتلاوة، ولكن تخصيص السجود هنا وارتباطه بحوض الكوثر فيه إشارة بالغة إلى أمر دخول باب حطة سجدّاً لبني إسرائيل قال تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ٥٨]، فمن المعلوم أنّ أهل البيت عليهم السلام هم باب حطة هذه الأمة كما جاء ذلك في الروايات الشريفة، لذا تجسدّتْ هذه الدعوة صريحاً في دخول باب حطة هذه الأمة سجدّاً، فمن دخله في الدنيا ساجداً غُفرتْ خطاياه وتمكّن من إجابة داعي السجود الأخروي ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القَلَم: ٤٢]، ومنْ لم يدخله في الحياة الدنيا دُمج صلبه وأصبح كقرون البقر فلا يتمكن من السجود حينئذٍ فيؤخذ به إلى النار. أجارنا الله وإياكم من سوء المنقلب والعاقبة. وسيتضح هذا المشهد أكثر لو تأملنا

في الآية الشريفة: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [المُلك: ٢٧] فقد جاء في تفسيرها: فإذا كان يوم القيامة ونظر أعداء أمير المؤمنين عليه السلام ما أعطاه الله من المنزلة الشريفة العظيمة وبيده لواء الحمد وهو على الحوض يسقي ويمنع، تسوّدُّ وجوه أعدائه فيقال لهم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾، أي: هذا الذي كنتم به تدّعون منزلته وموضعه واسمه وقوله. وقد نقل الحاكم أبو القاسم الحسكاني بأسانيده الصحيحة عن شريك عن الأعمش أنّه قال: لما رأوا ما لعليٍّ بن أبي طالب عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا.

بعد أن تكاملتْ أركان هذه الفكرة وأسفرتْ عن وجه مليح، بدأتُ بالبحث عن مؤيداتٍ روائية إضافية تدعمها، وتضفي عليها المعقولية والمقبولية، وإليك بعضاً من هذه الروايات الشريفة التي تُنظِّر وتُؤصِّل لهذه الفكرة:

١ - جاء في مسند أبي يعلى(١): حدثنا إسماعيل بن موسى... قال: حج معاوية بن أبي سفيان وحج معه معاوية بن حديج وكان من أسب الناس لعلي قال: فمر في المدينة وحسن بن علي ونفر من أصحابه جالس فقيل له: هذا معاوية ابن حديج الساب لعلي قال: علي الرجل قال: فأتاه رسول فقال: أجبه قال: من؟ قال: الحسن بن علي يدعوك فأتاه فسلم عليه فقال له الحسن: أنت معاوية بن حديج؟ قال: نعم قال: فرد ذلك عليه.

قال: فأنت الساب لعلي؟ قال: فكأنه استحيى فقال له الحسن: أما

(١) مسند أبي يعلى: الامام الحسن بن علي عليه السلام: ح٦٧٧١.

والله لإن وردت عليه الحوض - وما أراك ترده - لتجدنه مشمِّر الإزار على ساق يذود عنه رايات المنافقين ذود غريبة الإبل قول الصادق المصدوق ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١].

٢ - عن ابن عباس قال: قال رسول الله: من أحبّ علياً وأطاعه في دار الدنيا ورد عليَّ حوضي غداً، وكان معي في درجتي في الجنة. ومن أبغض علياً في دار الدنيا وعصاه، لم أره ولم يرني يوم القيامة، واختلج دوني وأخذ به ذات الشمال إلى النار.

تُبين هذه الرواية الشريفة أنّ مَن اتبع علياً عليه السلام في الحياة الدنيا ورد الحوض ومن لم يتبعه ذيد عن الحوض، وتتضح الصورة أكثر إذا رُبطت بهذه الرواية الشريفة في تفسير آية الساقي، حيث روى علي بن ابراهيم القمي ما نصه: يكشف عن الأمور التي خفيتْ وما غصبوا آل محمد حقهم. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القَلَم: ٤٢] قال: يكشف لأمير المؤمنين عليه السلام فتصير أعناقهم مثل صياصي البقر (يعني قرونها) فلا يستطيعون أن يسجدوا وهي عقوبة؛ لأنهم لم يطيعوا الله في الدنيا في أمره وهو قوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القَلَم: ٤٣] قال: إلى ولايته في الدنيا وهم يستطيعون». ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القَلَم: ٤٣] أي: ذليلة أبصارهم لا يرفعون نظرهم عن الأرض ذلَّةً ومهانةً ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القَلَم: ٤٣] أي: تغشاهم ذلّة الندامة والحسرة. ويمكن هنا أن نربط صفات الذلة الواردة في الآية والتي تصيبهم بهذه الرواية التي تبين أنّ شفاههم ذابلة: فعن أنس بن مالك عن النبي «صلّى الله عليه وآله» قال: ليرفعن أناسٌ من أصحابي وأنا على الحوض، فإذا عاينوني عرفتهم وأنا على الحوض قد ذبلت شفاههم فاختلجوا دوني.

٣ - ورد عن النبي «صلّى الله عليه وآله» أنه قال لعلي عليه السلام: والذي

نبأ محمداً وأكرمه إنك الذائد عن حوضي تذود عنه رجالاً كما يُذاد البعير الصادي عن الماء، بيدك عصاً من عوسج كأني أنظر إلى مقامك من حوضي.

هذه الرواية مثل باقي الروايات في أنّ المنافقين يُطردون ويُذادون عن الحوض، لكنها تميّزت بذكر صفة الأصيد، والأصيد في اللغة: (الرجل الذي به كبر)، و(رافعُ رأَسِهِ كِبْراً وهو مَجَاز وإِنما قيل للمَلِكِ: أَصْيَدُ لكَوْنه يَرفَعُ رأْسَه كِبْراً). يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النِّساء: ٦١]، جاء في تفسيرها: هم أعداء آل محمد «صلّى الله عليه وآله» كلهم جرتْ فيهم هذه الآية، وقال الله عزَّ وجلَّ أيضاً: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥]، وقد جاء في تفسيرها: (وإذا قيل لهم ارجعوا إلى ولاية عليٍّ يستغفر لكم النبي من ذنوبكم ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ قال الله تعالى: ﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ عن ولاية عليٍّ ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عليه. وأساس المسألة هنا هو الكبر الذي أدّى بهم إلى الصدّ. وهذا الكبر هو الذي منع إبليس عليه اللعنة من أنْ يسجد لآدم عليه السلام، يقول تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، فالكبر مانع من السجود، وهنا تكرّر الأمر مع المنافقين، أتباع إبليس، حيث شُبِّهوا بالبعير الأصيد، فهم من كبرهم لم يسجدوا في دار الدنيا وهم أصحّاء معافون، أي لم يطيعوا أمر الرسول صلّى الله عليه وآله ولم يرقبوا قوله في أهل بيته عليهم السلام، وتجلّى الأمر وبان عليهم في موقف الحوض حينما دُعوا إلى السجود فلم يستطيعوا.

ومن الفلاسفة الالهيين من يؤيّد هذه الاطروحة او التفسير حيث

يقول الملا صدرا الشيرازي قدست نفسه(١): الكشف عن الساق كناية عن الظهور كما في قول العرب: كشف الحرب عن ساقها ويدور في خلدي أن يكون ساق مخفف ساقي أي: يكشف عن ساقي الكوثر كما ورد: أنّه لا يعلم حقيقة عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام الا الله ومحمد «صلّى الله عليه وآله» ويُدعون إلى السجود أي يُدعى كل من الإمام والمأمومين إلى السجود لله الحادي (الواحد) المعبود. وهذا المعنى جعله الله (للسجود) بمنه وجوده.

فصل لِّربّك وانحر

من المعلوم أنّ كل نعمة من نعم الله تعالى تستدعي منا أنْ نحمد الله ونشكره، وهذا جزء من أداء حق المعطي وحفظ النعم، فبالشكر تدوم النعم قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ومن هنا جاءت الآية الكريمة ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] تعبيراً عن الامتنان والشكر الأمثل، وقد ذكر المفسرون أقوالاً عدّة في معنى النحر ومنها ما يأتي:

١ - روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: لما نزلتْ هذه السورةُ على النبيّ «صلّى الله عليه وآله» ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] قال النبي «صلّى الله عليه وآله» لجبريل: ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي؟ قال: إنها ليست بنحيرة ولكن يأمرك إذا تحرّمتَ للصلاة أن ترفع يديك إذا كبّرتَ، وإذا ركعتَ، وإذا رفعتَ رأسك من الركوع. . . .

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة صدر الدين محمد الشيرازي، ج٥، ص٣١١ - ٣١٢.

٢ - النحر في التفسير المشهور هو نحر الذبيحة؛ لأنّ الذبيحة واجبة في عيد الأضحى للحجّاج، ومستحبّة لكل شخص يصلّي صلاة العيد، فيكون المعنى: قدّم قرباناً وذبيحة إعلاناً بأنّك لا تبالي بنفسك، فتستسلم أمام الله بالصلاة.

٣ - ذكر السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره في معنى النحر أنَّ: النحر بمنى، أو نحر الأضحية في الأضحى، أو رفع اليدين إلى النحر في تكبير الصلاة، أو استقبال القبلة بالنحر، والاعتدال في القيام، وجميع ذلك يناسب المقام، لأنّه نحو من الشكر لتلك النعم.

٤ - ذكر السيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره) في جوابه عن معنى النحر ما نصه: أقول: والذي أفهمه أمران:

الأمر الأول: وهو الأمر الظاهري: فالمطلوب هو الصلاة والنحر. وذلك لا يختص بالعيد، بل هو ممكن في سبيل الله في سائر أيام السنة. كما أنّه لا يختص بالبدن. وإنْ اختص بالنحر (والنحر لا يكون إلا للجمال) ولكن يمكن التجريد عن الخصوصية لكل ذبحٍ وجريان دم، أو لكل صدقة على المحتاجين. والصدقات له سبحانه، وهو يقبضها... وإن فهمنا من قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَـرْ﴾ [الكَوثَر: ٢]: رفع اليد في الصلاة أو رفع الجسم بعد الركوع، فهذا وان كان موافقاً مع الصلاة، إلا أنّ فيه أخذ الآية مستقلةً عن السورة، وهو باطل جزماً، إذ لا يكون لذكرها وجه معتّد به، لأنّ شكر النعمة لا يكون بذلك (أي بحركة اليد أو رفع الجسم)، أو أنّه أقل من أن يكون بمنزلة الشكر.

الأمر الثاني: وهو الأمر الباطني: المطلوب هو نحر البدن أو نحوها أو يُراد به نحر الباطل في النفس أو في الغير.

والله سبحانه يُرشدنا إلى الشكر الأمثل من الشكر على إعطاء الكوثر، بطبيعة الحال، لا إلى صورة ضئيلة منه.

علاقة النحر بالذبح العظيم وشهادة الإمام الحسين عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١١)﴾ [الصافات: ١٠٧-١١١]، تحكي هذه الآيات المباركة قصة الأمر الإلهيّ لإبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل عليه، وقد شرع إبراهيم عليه السلام بالتنفيذ مع ما يكتنف هذا الأمر من بلاءٍ وُصف بالمبين. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصَّافات: ١٠٦]... وقد فدى الله تعالى إسماعيل عليه السلام بذبحٍ عظيم، وجاء في معنى فداه: أعطى فداءً فأنقذه، وفداه بنفسه (وفداه تفديةً) قال له: جُعلتَ فداك.

سؤال: ما وجه التميّز في هذا الفداء كي يصفه الله عزَّ وجلَّ بالعظيم؟

الجواب:

رُوي عن الإمام الرضا عليه السلام أَنَّه قال: لما أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام بأنْ يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده بيده، فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: يا إبراهيم منْ أحبُّ خلقي إليك؟ فقال:

يا ربّ ما خلقتَ خلقاً هو أحب إليّ من حبيبك محمد «صلّى الله عليه وآله»(١). فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: يا إبراهيم أفهو أحب إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحب إليّ من نفسي قال: فولده أحب إليك أو ولدك، قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي، قال: يارب بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي، قال: يا إبراهيم فإنّ طائفة تزعم أنّها من أمة محمد «صلّى الله عليه وآله» ستقتل الحسين عليه السلام ابنه من بعده ظلما وعدواناً كما يُذبح الكبش فيستوجبون بذلك سخطي. فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: يا إبراهيم قد فديّتُ جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك، بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله، وأوجبتُ لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصَّافات: ١٠٧].

فإذا تبيّن لك ذلك عرفتَ وجه العظمة والتضحية في هذا الفداء والقربان، إذْ مثّله الإمام الحسين عليه السلام أجلى تمثيل فكان المصداق الحق للآية الكريمة: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْأٓخِرِينَ﴾ [الصَّافات: ٧٨] فأحيى بذلك ذكر إبراهيم وإسماعيل بالذكر الجميل والحسن ولا غرو فهو من بقيّة تلك الذرِّيّة التي جاء ذكرها على لسان إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

(١) **سؤال**: من أين عرف محمد الخاتم وعظمته «صلّى الله عليه وآله»؟ **الجواب**: وردت شواهد روائية عدّة مفادها ما نبىءَ نبي إلّا بالإقرار بفضل ونبوة الخاتم محمد «صلّى الله عليه وآله» ومنها: . . . عن بكير قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذر يوم أخذ الميثاق على الذر بالإقرار له بالربوبية، ولمحمّد بالنبوة. . ./ بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٥ / ص٢٥٠.

﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، كما بيّنت الروايات الشريفة ذلك مفصّلاً، حيث تعرّض الإمام الحسين عليه السلام لصنوف الابتلاءات والمحن إزاء دعوته إلى الإصلاح في أمّة جده رسول الله «صلّى الله عليه وآله»، ورفع راية الدين القيّم، ملّة أبيه إبراهيم عليه السلام. فكأنّ الدين ينادي من أنصاري إلى الله؟ ويأتي الجواب من الحسين عليه السلام: نحن أنصار الله، ومن قبله جاء النداء من أبيه علي عليه السلام في مسجد الكوفة المبارك، ومن الحسن عليه السلام في المدينة المنورة، ويمكن القول: بأنّ الأئمة الإثني عشر عليهم السلام هم من لبّى النداء وهم أنصار الله فـ (ما مِنّا إلّا مقتول أو مسموم). فكان هذا الذبح العظيم هو الفداء العظيم لهذا الدين العظيم كي يستمد بقاءه واستمراريته حتى ورود الحوض، ومن هنا يمكن أن نفهم معنى الحديث الشريف: (حسين مني وأنا من حسين) بل و(الأئمة منّي وأنا منهم)، فالإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء. والآيات الشريفة يدل بعضها على بعض، فيقودنا معنى الآية الأخيرة ورقمها ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الصَّافات: ٧٨] في مشهد تقديم القربان إلى سورة الكوثر المباركة والتي ترتيبها بنفس الرقم (أي ١٠٨) وبذا يمكن أن نستشف أنّ أمر النحر الموجه إلى الرسول «صلّى الله عليه وآله» هو أسوة بالأمر الذي صدر إلى إبراهيم عليه السلام بأنْ يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام وهو شبيه بالأمر الذي ألزم عبد المطلب به نفسه، حيث كان الفداء الحقيقيّ على يد الرسول الخاتم «صلّى الله عليه وآله» في ابنه الحسين عليه السلام، فبعد أنْ طلب إبراهيم عليه السلام الولد الصالح قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١﴾ [الصافات: ١٠٠-١٠١] وهو إسماعيل عليه السلام ثم ابتلاه الله عزَّ وجلَّ بذبحه،

وكذلك الحال مع عبد المطلب، فبعد أنْ عاهد الله تعالى أنْ إذا رزقه بعشرة أولاد فسيذبح أحدهم فلما رزق، أسهم بينهم، فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله «صلّى الله عليه وآله» وهو أحبّهم إلى قلبه، وكذا الحال مع الرسول «صلّى الله عليه وآله» فبعد أنْ تألّم من تشفّي الشانئ له بعد دفن ولده القاسم، منّ الله عليه بأنْ أعطاه الكوثر وهم الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام، فهم كوثر الحياة الدنيا المستمر حتى ورود الحوض، ثم ابتلاه بأنْ أعلمه بأنّهم بين مقتولٍ ومسمومٍ على أيدي أعدائهم، فالأمرُ بالنّحر هنا تحصيل حاصل بأن هذه الذرية الخاتمة ستُنحر، كونها تمثل أحد طرفي الدين القيم إذْ هم الثقل الأصغر، ولسان حال أمة الإسلام يقول: (أمّا الأكبر: ففرّقناه ومزّقناه وبرئنا منه، وأما الأصغر: فقاتلناه وقتلناه)، فتفسير الآية على ظاهرها في قصة ذبح إسماعيل عليه السلام وفداء الله له بكبش عظيم لا ينافي كون هذا الذبح العظيم قد تجسّد في تضحية الإمام الحسين عليه السلام وفدائه بنفسه وأهله لتثبيت هذا الدين الحنيف وحفظه من تحريف الطغاة وكيد الظالمين. فالإمام الحسين عليه السلام هو قربان حفظ الدين في صراطه المستقيم، وكأني بالعقيلة زينب عليها السلام تشير إلى هذه المعاني الجليلة بعد استشهاد أخيها الحسين عليه السلام لمّا وضعتْ يديها تحته وهو مسجى على أرض الطف، ورمقتْ السماء بطرفها، وقالت كلمتها الخالدة: (اللّهمّ تقبّل منّا هذا القربان). ألا ساعد الله قلبك ياسيدي يارسول الله على هذا البلاء المبين.

وسيتضح الأمر أكثر فيما لو تأملنا في قول رسول الله «صلّى الله عليه وآله» لعليٍّ عليه السلام: من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك. فكان عليٌّ عليه السلام

كثيراً ما يقول: ما يمنع أشقاها، أو ما ينتظر أشقاها، أنْ يخضب هذه من دم هذا؟ ويقول: والله لتخضبن هذه من دم هذا، ويشير إلى لحيته ورأسه، خضاب دم، لا خضاب عطر ولا عبير، حيث شبّه الإمام علي عليه السلام نفسه بناقة صالح عليه السلام من حيث أنّها آية الله وأنّ عقرها على يد أشقى الأولين. وكذا قول الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف يوم ذُبح طفله عبد الله الرضيع بين يديه: (اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح)، فقد شبّه نفسه أيضاً بناقة صالح عليه السلام، وقد علمتَ أنّ النحر هو ذبح الناقة وهو يحتاج إلى إيثار كبير، لما للإبل من مكانة وأهمية كبيرة عند العرب، وبذا يتبين لنا مصداق الأمر بالنحر(١) الموجه إلى الرسول الأكرم «صلّى الله عليه وآله».

ومن نافل القول هنا أنْ نذكر قول رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: (أنا ابن الذبيحين)، فقد سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن معنى هذا الحديث فقال: (يعني: إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وعبدالله بن عبدالمطلب، أمّا إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشّر الله به إبراهيم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]... وأما الآخر فإنّ عبد المطلب كان تعلّق بحلقة باب الكعبة ودعا الله عزَّ وجلَّ أنْ يرزقه عشرة بنين ونذر لله عزَّ وجلَّ، أنْ يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته، فلما بلغوا عشرة أولاد قال: قد وفى الله لي فلأفيّن لله عزَّ وجلَّ. فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبد

---

(١) بمعنى أن يقدِّم النبي «صلّى الله عليه وآله» أولاده وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام قرابينَ لحفظ الرسالة.

الله أبي رسول الله «صلّى الله عليه وآله» وكان أحبَّ ولده إليه، ثم أجالها ثانيةً، فخرج سهم عبد الله ثم أجالها ثالثةً فخرج سهم عبد الله فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه، فاجتمعتْ قريش ومنعته من ذلك واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن فقالتْ له ابنته عاتكة: يا أبتاه أُعذر فيما بينك وبين الله عزَّ وجلَّ في قتل ابنك: قال: فكيف أعذر يا بنية فإنك مباركة قالتْ: إعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل وأعطِ ربك حتى يرضى.

فبعث عبد المطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب السهام، فخرج سهم عبد الله فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة فضرب فخرج السهم على الإبل فكبّرت قريش تكبيرةً ارتّجت لها جبال «تهامة فقال عبد المطلب: لا حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات» فضرب ثلاثاً، وفي كل ذلك يخرج السهم على الإبل فلما كان في الثالث اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجليه. والعلّة التي من أجلها رفع الله عزَّ وجلَّ الذبح عن إسماعيل عليه السلام هي العلّة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله وهي كون النبي «صلّى الله عليه وآله» والأئمة عليهم السلام في صلبهما فببركة النبي والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين رفع الله الذبح عنهما فلم تجرِ السنّة في الناس بقتل أولادهم ولولا ذلك لوجب على الناس كل أضحى التقرب إلى الله تعالى ذكره بقتل أولادهم وكل ما يتقرب الناس به إلى الله عزَّ وجلَّ من أُضحية فهو فداء لإسماعيل إلى يوم القيامة.

تأريخ واقعة الطف وعلاقتها بسورة الكوثر

بعد أنْ عرفنا أنّ النحر في سورة الكوثر له علاقة بنحر الحسين عليه السلام يمكن القول بأنّ عدد حروف السورة المباركة وهو **٦١** فيه إشارة إلى سنة حدوث هذه الفاجعة وأنّ عدد كلماتها وهو**١٠** فيه إشارة إلى يوم عاشوراء الأليم وهو العاشر من محرم. وهذه من عجائب الأمور، إذْ توحي هذه الإشارات العددية إلى أنّ هذه الواقعة قد أُرخ لها قرآنياً وفي سورةٍ اشترك في معناها الماء والذرية المباركة، في مشهدٍ عظيمٍ حيث الشهيد الذي لم يُسقَ الماء ونحر عطشانَ وهذا أعظم معنى للشكرٍ على نعمة الكوثر، إذ قُدِّم أبو الائمة التسعة قرباناً في قبال عطاء الذرية ونُحِرَ عطشان في قبال حوض الكوثر الذي إذا شرب منه أحد شربةً لم يظمأ بعدها أبداً. ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

وتفكرْ في العلاقة بين الرقم (١٠) ومسألة النحر والقربان في سورة الكوثر من خلال هذه الرواية الشريفة، عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله» قال: منْ قرأ هذه السورة (يعني الكوثر) سقاه الله تعالى من نهر الكوثر، ومن كل نهر في الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كلٍّ من قرّب قرباناً من الناس يوم النحر[١].

ولا يغيب عنا أنّ نحر الأضاحي يكون في العاشر من ذي الحجة الشهر الحرام وهنا كان في العاشر من محرم الحرام.

---

(١) مجمع البيان ٥: ٥٤٨، وعنه في المستدرك ٤: ٣٦٩ / ٤٩٦٤.

إشارات عددية

هنالك مجموعة من النكات العدديّة التي تبين ارتباط سورة الكوثر بأئمة أهل البيت عليهم السلام وواقعة كربلاء الحسين عليه السلام ومنها:

١ - عدد حروف السورة المباركة من غير البسملة = **٤٢** = عدد حروف الأئمة الإثني عشر الذين يمثلون الكوثر.

٢ - عدد كلمات السورة من غير البسملة = **١٠** وفيه إشارة إلى يوم حدوث النحر والفداء بالذبح العظيم وهو يوم عاشوراء من شهر محرم الحرام.

٣ - عدد حروف السورة كاملة مع البسملة = **٦١** وفيه إشارة إلى سنة حدوث النحر والفداء بالذبح العظيم.

الموضوع الثالث والعشرون

عظمة الزهراء عليها السلام في سورة القدر

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ١-٥].

من أجل معرفة عظمة الزهراء عليها السلام من خلال سورة القدر يتطلب (ذلك) منّا أن نتعرف على أهمية السورة من خلال الروايات، ولهذا وقفنا عند بعض الروايات في محاور ثلاثةٍ:

أولاً: ثواب قراءتها

- ... عن النبي «صلّى الله عليه وآله»: من قرأها أُعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيى ليلة القدر(١).
- ... عن أبي عبد الله عليه السلام حاكياً عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله» عن ربّه جل جلاله انه قال: إقرأ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ فانها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة(٢).

---

(١) تفسير نور الثقلين: للعلّامة الخبير والمحدث النحرير الشيخ عبد علي بن جمعة ألعروسي الحويزي قدّس سرّه: تفسير سورة القدر: ح٤.

(٢) المصدر: ح٢١.

- . . . عن سيف بن عميرة عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام : من قرآناً ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١] فجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله عزوجل، ومن قرأها سراً كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله، ومن قرأها عشر مرّاتٍ محا الله عنه ألف ذنبٍ من ذنوبه(١).
- . . . عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ في فريضةٍ من فرايض الله نادى منادٍ: يا عبد الله غفر الله لك ما مضى فاستأنف العمل(٢).
- عن أمير المؤمنين علي قال عليه السلام قال: «لكلّ شيء ثمرة، وثمرة القرآن (إنّا أنزلناه) ولكلّ شيء كنز، وكنز القرآن (إنّا أنزلناه).

ولكلّ شيء عون، وعون الضعفاء (إنّا أنزلناه).

ولكلّ شيء يسر، ويسر المعسرين (إنّا أنزلناه).

ولكلّ شيء عصمة، وعصمة المؤمنين (إنّا أنزلناه).

ولكلّ شيء هدى، وهدى الصالحين (إنّا أنزلناه).

ولكلّ شيء سيّد، وسيّد العلم (إنّا أنزلناه).

ولكلّ شيء زينة، وزينة القرآن (إنّا أنزلناه).

ولكلّ شيء فسطاط، وفسطاط المتعبّدين (إنّا أنزلناه).

ولكلّ شيء بشرى، وبشرى البرايا (إنّا أنزلناه).

ولكلّ شيء حجَّةٌ، والحجّة بعد النبيّ «صلّى الله عليه وآله» وسلم

---

(١) المصدر: ح١.
(٢) المصدر: ح٣.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ فآمنوا بها، قيل: وما الإيمان بها؟ قال: إنّها تكون في كلّ سنة، وكلّ ما ينزل فيها حقّ»[١].

- عن الإمام الصادق أنّه قال عليه السلام: «أبى الله تعالى أن يأتي على قارئها ساعةٌ، لم يذكره باسمه ويصلّى عليه، ولن تطرف عين قارئها إلّا نظر الله إليه، ويترحم عليه، أبى الله أن يكون أحد بعد الأنبياء والأوصياء، أكرم عليه من رعاة ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾، ورعايتها: التلاوة لها. أبى الله أن يكون عرشه وكرسيه، أثقل في الميزان من أجر قارئها، أبى الله تعالى أن يكون ما أحاط به الكرسي، أكثر من ثوابه. أبى الله أن يكون لأحد من العباد، عنده سبحانه منزلة، أفضل من منزلته، أبى الله أن يسخط على قارئها ويسخطه، قيل: فما معنى يسخطه؟ قال: لا يسخطه بمنعه حاجة.

أبى الله أن يكتب ثواب قارئها غيره، أو يقبض روحه سواه.

أبى الله أن يذكره جميع الملائكة إلّا بتعظيمه حتى يستغفروا لقارئها.

أبى الله أن ينام قارئها حتى يحفه بألف ملك يحفظونه حتى يصبح، وبألف ملك حتى يمسي.

أبى الله أن يكون شيء من النوافل أوحى الله إليه أفضل من قراءتها.

أبى الله أن يرفع أعمال أهل القرآن، إلّا ولقارئها مثل أجرهم»[٢].

- ... عن الإمامين الباقرين عليهما السلام: «إنّ لسورة (القدر) لساناً

---

(١) عيون الغرر في فضائل الآيات والسور: لمؤلفه مشتاق مظفر: ح٦٥٠.
(٢) المصدر: ح٦٥٣.

وشفتين، ولقد نفخ الله فيها من روحه، كما نفخ في آدم عليه السلام، وإنّها لفي البيت المعمور، يطوف بها كلّ يوم ألف ملك يعظّمونها حتى يمسوا، وإنّها لفي قوائم العرش، ويطوف بها عند كلّ قائمةٍ مائة ألف ملك، يعلّمونها إلى يوم القيامة، وإنّها لفي خزائن الرحمة»[١].

ثانياً: الاستشفاء بها

- عن أبي عبد الله عليه السلام وأوصى أصحابه وأولياءه من كانت به علّة فليأخذ قلة جديدة[٢] وليجعل فيها الماء، وليسق الماء بنفسه، وليقرأ على الماء سورة ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ على الترتيل ثلاثين مرة ثم يشرب من ذلك الماء وليتوضّ وليمسح به. وكلما أنقص زاد فيه، فانه لا يظهر ذلك ثلاثة أيام إلا ويعافيه الله من ذلك الداء[٣].
- . . . بالإسناد إلى حكيمة عمّة أبي محمد الحسن عليه السلام أنّها قالت: أمرني أبو محمد عليه السلام بالمبيت عنده ليلة ولد القائم عليه السلام، فكنت مع نرجس أمّ القائم عليه السلام فلم أزل أرقبها إلى وقت طلوع الفجر وهي نائمة بين يديّ لا تقلب جنباً عن جنب إلى جنب، حتى إذا كان آخر الليل وقت الفجر وثبت فزعة فضممتها إلى صدري وسميت عليها فصاح إليّ أبو محمد عليه السلام وقال: إقرأي عليها: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ في ليلة القدر، فأقبلت اقرأ عليها وقلت لها: ما

---

(١) المصدر: ح٦٦٥.
(٢) القلة: الحب العظيم. وقيل: الكوز الصغير.
(٣) المصدر: ح٦٥٥.

حالك؟ قالت: ظهر بي الأمر الذي أخبرك به مولاي، فأقبلت أقرأ عليها كما أمرنى فأجابنى الجنين من بطنها يقرأ مثل ما أقرأ وسلم عليَّ. . . [(١)].

- . . . عن إسماعيل بن سهل قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام: إني قد لزمني دين فادح[(٢)] فكتب إليّ أكثر من الاستغفار ورطب لسانك بقراءة ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾[(٣)].

- . . . عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: جاء رجل من بني أُميّة، إلى أبي جعفر عليه السلام - وكان مؤمناً من آل فرعون - يوالي آل محمّد عليهم السلام، فقال: يابن رسول الله إنّ جاريتي قد دخلت في شهرها، وليس لي ولد، فادع الله أن يرزقني ابناً، فقال: «اللّهمّ ارزقه ابناً ذكراً سويّاً، ثمّ قال: إذا دخلت في شهرها فاكتب لها ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ وعوّذها بهذه العوذة وما في بطنها، بمسك وزعفران، واغسلها واسقها ماءها، وانضح فرجها بماء ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ وعوّذ ما في بطنها بهذه العوذة: اعيذ» الدعاء[(٤)].

- قال الإمام الصادق عليه السلام: وإن قُرأت على ما فيه علّة نفعه بإذن الله تعالى»[(٥)].

---

(١) تفسير نور الثقلين: للعلّامة الخبير والمحدّث النحرير الشيخ عبد عليّ بن جمعة ألعروسيّ الحويزيّ قدّس سرّه: تفسير سورة القدر: ح١٩.

(٢) فدحه الدين: أثقله.

(٣) تفسير نور الثقلين: للعلّامة الخبير والمحدث النحرير الشيخ عبد عليّ بن جمعة ألعروسيّ الحويزي قدس سره: تفسير سورة القدر: ح٢٥.

(٤) عيون الغرر في فضائل الآيات والسور: لمؤلفه مشتاق مظفر: ح٦٦٧.

(٥) المصدر: ح٦٧٠.

- قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: . . . إن كُتِبت في إناء جديد، ونظر فيه صاحب اللَّقْوَة شفاه الله تعالى»(١).

ثالثاً: دفع المكاره وقضاء الحوائج

- عن الإمام الصادق عليه السلام: «من قرأها حبّب إلى الناس، فلو طلب من رجل أن يخرج من ماله بعد قراءتها، حين يقابله لفعل، ومن خاف سلطاناً فقرأها حين ينظر إلى وجهه غلب له، ومن قرأها حين يريد الخصومة، أُعطي الظفر، ومن يشفع بها إلى الله، شفّعه وأعطاه سؤله»(٢).
- وعنه: قال عليه السلام: «شغل الشيطان عن قارئها، حين يدخل بيته، ويخرج منه»(٣).
- . . . عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «مَن قرأ سورة ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ إحدى عشرة مرّة عند منامه وكّل الله به أحد عشر مَلكاً يحفظونه من كلّ شيطان رجيم حتّى يصبح»(٤).
- . . . عن الإمام الرضا عليه السلام قال: ما من عبد زار قبر مؤمن فقرأ عنده ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ سبع مرات الا غفر الله له ولصاحب القبر(٥).

---

(١) المصدر: ح٦٩٠.
(٢) المصدر: ح٦٤٦.
(٣) المصدر: ح٦٤٦.
(٤) المصدر: ح٦٦٣.
(٥) تفسير نور الثقلين: للعلّامة الخبير والمحدث النحرير الشيخ عبد على بن جمعة ألعروسي الحويزي قدس سره: تفسير سورة القدر: ح١٢.

- . . . قال الإمام الصادق عليه السلام: «من قرأها بعد عِشاء الآخرة خمس عشرة مرّةً، كان في أمان الله إلى تلك الليلة الُاخرى. . . ومن قرأها في كلّ ليلةٍ سبع مرات أمِن في تلك الليلة إلى طلوع الفجر. . . »(١).
- قال الإمام الصادق عليه السلام: . . . ومن قرأها على ما يُدّخر ذهباً أو فِضّةً أو أثاثاً بارك الله فيه من جميع ما يضُرّه. . . »(٢).

التأمل بمتن السورة(٣)

بعد هذه الوقفة مع الروايات لاستشراف أهمية سورة القدر نلج وبعون الله إلى متن السورة:

يقول أحدُ الأعلام أعزّهم الله: إنّ من جملة التعابير التي استخدمها الله المنان حول السيدة فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها» ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾، هذا التعبير القرآني عجيب جداً، وله نكات قيمة بحيث يتضمن بحراً من المعارف. . . ومن أجل الوقوف على عظمة الزهراء عليها السلام وعلاقتها بهذه السورة نتأملها في تلك العناوين:

شأن نزول سورة القدر

المرحوم محمد تقيّ المجلسيّ «عليه الرحمة» في كتاب «روضة

(١) عيون الغرر في فضائل الآيات والسور: لمؤلفه مشتاق مظفر: ح٦٧٠.
(٢) المصدر.
(٣) مقتبس من شبكة عرفان نت: بإضافة وحذف بعض العبارات وتخريج المصادر وإبراز عناوين. . . ويبدو أنَّ البحث للعلّامة الشيخ حسين كنجي وتحت عنوان: (سيماء فاطمة صلوات الله عليها في القرآن) وهو منشور في مجلة رسالة القلم.

المتقين»، وكذلك ملا محسن الكاشاني في «تفسير الصافي» ذكرا حول شأن نزول هذه السورة الآتي: «رأى النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله» في إحدى الليالي رؤيا أفزعته، ما أن يرحل حتى يصعد بنو أمية واحداً بعد واحدٍ على منبره؛ ويحكموا الناس، ويغيِّروا مسيرة الإسلام ويحرفوا الناس ويمسخوهم (معنوياً) فاستيقظ من نومه وهو محزون مغموم»

لم يكن حزن وغم الرسول «صلّى الله عليه وآله» أمراً شخصياً، بل بسبب أنه لماذا هؤلاء الناس لا يذهبون تجاه الحق؟ بل يسيرون إلى الضلال، حتى تحَمَّل كل هذه الأذيات والصعوبات والمتاعب طوال ثلاثٍ وعشرين سنةً هدراً؛ ولذلك نزل جبرائيل عليه بسورة القدر.

علاقة سبب النزول بالزهراء عليها السلام

تمهيد: بالنسبة للقرآن يوجد تفسيران:

أحدهما ظاهري ومُلكيّ.

والآخر باطني وملكوتيّ.

كذلك كل شيءٍ له ظاهر وباطن، فالملك مرتبطٌ بظاهر الأشياء، ولكنّ الملكوت له ارتباط بباطن الأشياء. لأجل ذلك نضرب مثالاً: بنو آدم كلهم متساوون في الظاهر، لكن بالنسبة للباطن يوجد بينهم تفاوت؛ لأن ملكوتهم مختلف، الإنسان بحسب كونه من أهل أيّ شيء، سيكون ملكوته بذلك الشكل، ولذلك كثيرٌ من الناس بالنسبة للباطن حيوانات. ولهذا نضرب عدّة أمثلة:

المثال الأول: ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج

في الرواية قال أبو بصير للإمام الصادق عليه السلام ما فضلنا على من خالفنا فوالله إني لأرى الرجل منهم أرضى بالاً وأنعم عيشاً وأحسن حالاً وأطمع في الجنة.

قال: فسكت عني حتى كان بالأبطح من مكة ورأينا الناس يضجون إلى الله.

قال: «ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج والذي بعث بالنبوة محمداً وعجل بروحه إلى الجنة ما يتقبل الله إلا منك ومن أصحابك خاصة».

قال: ثم مسح بيده على وجهي فنظرت فإذا أكثر الناس خنازير وحمير وقردة إلا رجلاً بعد رجل(١).

المثال الثاني: ملكوت المال الحرام

المال الحلال والحرام بالنسبة للظاهر متساويان أيضاً، لكن بالنسبة للجهة الملكوتية يوجد تفاوت بينهما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النِّساء: ١٠].

المثال الثالث: التسبيح الملكوتي للموجودات

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسرَاء: ٤٤]، كل موجود في الوجود يسبّح الله؛ ولكنكم لا تفهمون ذلك التسبيح.

---

(١) بحار الأنوار ج ٢٧ / ٢٩ - ٣٠.

وعلة عدم فهم تسبيح الأشياء في العالم هو أننا ظاهريون ومَلكيون، وغافلون عن الملكوت والباطن وحقائق الأمور. المعاصي تغلق عين الباطن، وتمنع ارتباط الإنسان بملكوت الأشياء، ولذلك أولئك الذين هم مهذبون ويعملون على تزكية أنفسهم، لديهم أنس بملكوت وحقائق عالم الوجود.

إذن القرآن الكريم لديه مُلك وملكوت، مُلك القرآن الكريم هو ظاهر الآيات، وملكوته باطنها، ومن هذه الجهة فإنّ ظاهر هذه السورة مرتبط بليلة القدر، ولكنّ باطنها مرتبط بالزهراء عليها السلام. وهذا ما نتعرف عليه من خلال التفسير الملكوتي لسورة القدر ومن خلال عدة إثارات.

ليلة القدر ملكوتها فاطمة الزهراء عليها السلام

أولاً: التفسير الملكوتي لسورة القدر

بعد هذا التمهيد يتبيّن أن التفسير الملكوتي لهذه السورة أنّ المراد من ليلة القدر السيدة الصديقة الطاهرة «صلوات الله عليها»، يعني: أيها الرسول «صلّى الله عليه وآله» نحن أعطيناك فاطمة «صلوات الله عليها»، كل هذا القرآن الكريم هو في فضائل وجمال زهرائك «صلوات الله عليها». نحن أعطيناك ليلة القدر، يعني: أنّ كل القرآن هو فضائل زهراء الطهر «صلوات الله عليها»؛ ولذلك أعطيناك كل الحقائق والمعارف الموجودة في القرآن الكريم، وهذا وضعناه في ظرف وخزينة الوجود الشريف لفاطمة «صلوات الله عليها»، ومن هذه الجهة، فإن السيدة

الزهراء «صلوات الله عليها» حاملة كل الأنوار والحقائق والمعارف. . . يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: الليلة فاطمة والقدر الله فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سُمِّيَتْ فاطمة؛ لأن الخلق فطموا عن معرفتها[(١)].

في تعبير الإمام جعفر الصادق عليه السلام فاطمة «صلوات الله عليها» مضافة إلى الله تعالى، يعني: أنّ فاطمة «صلوات الله عليها» منسوبة لله تعالى، يعني: فاطمة «صلوات الله عليها» إلهية، ولابد أن يُعَرِّفها الله فقط.

ثانياً: شبه فاطمة بليلة القدر

يوجد من بين الروايات أنواع من الشبه بين السيدة فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها» وبين ليلة القدر ويمكننا أن نحصل عليها في تلك الروايات، وسنشيرُ لعشرة وجوه:

عدم معرفة ليلة القدر ومقام فاطمة

ليلة القدر مجهولة المنزلة والقيمة بالنسبة للناس، ولا يوجد شخص يعرف ما هي القيمة الحقيقية لهذه الليلة؛ كذلك القرآن يقول: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعَام: ٩١]، لم يعرفوا الله حق معرفته.

الصدّيقة الشهيدة «صلوات الله عليها» مجهولة المنزلة أيضاً؛ بمعنىٰ أنها موجودة ملكوتية وسماوية مجهولة وغير معلومة القدر والمقام، ليس فقط في هذه الدنيا، بل حتى في عالم الآخرة لا تُعرَفُ بصورة كاملة،

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسيّ - ج ٤٣ / ص٦٥.

فالله سبحانه وتعالى والرسول «صلّى الله عليه وآله» وأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وحدهم عارفون بمقامها العالي.

يقول النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله»: (لو كان الحُسْنُ شخصاً لكان فاطمة بل هي أعظم، إن فاطمة ابنتي خيرُ أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً)(١).

لو أنّ كل جمال أهل العالم يجتمع في مكان واحد، وتُنْفَخُ فيه الروح حتى يصبح إنساناً له شخصية، ستصبح هذه الشخصية فاطمة «صلوات الله عليها»، بل عظمة فاطمة «صلوات الله عليها» أعظم من ذلك! كما أن فاطمة «صلوات الله عليها» من جهة العنصر والشرافة والكرامة هي أفضلُ أهل الأرض.

أفضل من الأنبياء الإلهيين عليهم السلام

ليلة القدر هي أفضل ليلة في السنة وشهر رمضان أفضل شهر في السنة. السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» أفضل وأعلى مقاماً من كل الأنبياء والأوصياء والملائكة المقربين عليهم السلام، إلا أن النبيّ الأكرم «صلّى الله عليه وآله» أفضل من كل المخلوقات، والإمام عليٌّ (صلوات الله عليه) في رتبة واحدة مع السيدة فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها».

(١) إحقاق الحق: ج ٤ ص٥٠٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ص٦٠، فرائد السمطين مخطوط، على ما في الإحقاق، إحقاق الحق: ج ١٥ ص١٣٣، بتفاوت / نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها: تأليف السيد إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني: منشورات دليل ما: الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ، ج ٢١، ص: ٢٤٥.

قيمة محبة فاطمة «صلوات الله عليها»

فضيلة العبادة في ليلة القدر أفضل من عبادة ألف شهر. محبة السيدة الصدّيقة «صلوات الله عليها» أفضل من أي نوعٍ من العبادات التي تؤدى في ألف شهر، بل لو كان يوجد عابد ليس في قلبه محبة السيدة فاطمة «صلوات الله عليها»، لن يكون لصلاته أثر أبداً، والصيام، والحجّ، والرياضة، والمجاهدات كذلك.

كما أنّ الأمم السابقة لها وظيفة بالنسبة لساحة قدس هذه السيدة «صلوات الله عليها» من المحبة والمعرفة أيضاً.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (وهي الصّدّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى)[1].

فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها» الصدِّيقة الكبرى، والأمم السابقة لديهم وظيفة بالنسبة لها أن يكون لديهم معرفتها؛ لأن الأمور تدور حول مدار دائرتها.

بعبارة أخرى هي: أنّ ليلة القدر هي منشأ الفيوضات والكمالات، والتوسل بالصدّيقة الشهيدة «صلوات الله عليها» وسيلة للوصول إلى الخيرات والبركات وابتعاد البلاءات وأنواع المصائب.

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص١٠٥.

فاطمة مرقاة السير إلى الله

تمهيد:

الطريق الذي يوصل الإنسان إلى الله قد يكون بطريقين:

ألف: السير الآفاقي، وهو عبارة عن التوجه للعلامات التي في عالم الخلقة، حيث بالتدقيق والتدبّر في هذه الأمور يحصل الإنسان على معرفة الله، ويقال لهذه الطريقة السير الخارجي. والعلامات التي توجد في عالم الوجود كثيرة جداً، وكل شخصٍ بحسب ظروفه ومقدرته يحصل عليها ويطوي طريق معرفة الله في النباتات والموجودات الأرضية والبحرية، والسماوية والكواكب و. . . ، توجد أمور متعدّدة بالتدقيق والتفكر في خلقتها وحركتها التكوينية، توصل إلى خالقها.

باء: السير الأنفسي، الذي هو عبارة عن الحركة الباطنية، وبداية هذا السير من باطن الإنسان وفي النهاية يصل الإنسان إلى الله. الإنسان في هذه الطريقة ينظر إلى باطنه، ومن هذا الطريق يعرف عظمة الله: (من عرف نفسه فقد عرف ربّه)(١)، تفكر الإنسان في نفسه يوصل إلى الله، ينظر إلى روحه، ويرى نفسه مجردةً، على أنها ليست قابلة للرؤيا، ومن هذه الجهة يفهم بأن الله هكذا أيضاً. ومن جهة أخرى يحسُّ الإنسان بوجود روحه في وجوده، ويعرف أنّ الله هكذا أيضاً وليس له مكان مختصٌّ به. الروح هي الحاكمة والبدن مسلَّم في مقابلها، هكذا الله في عالم الخلقة: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذّاريَات: ٢١].

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٢ / ص٣٢.

سنين القلب يطلب كأس المَلك غافل
أن لديه ويتمناه من الآخرين
صاحب القلب، الله معه في كل الأحوال
لكن لا يراه ويناديه من بعيد

ومن هذه الجهة يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه»[(١)].

القرآن الكريم يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

فهذه الآية تشير لكلا النوعين من السيرين، يقول: نريهم علاماتنا - سريعاً - في الآفاق وفي أنفسهم حتى يظهر واضحاً أن الله هو الحق، ولذلك عن طريق هذين السيرين يمكن في هذه الليلة الوصول إلى الكمالات.

شباهة فاطمة عليها السلام بليلة القدر من أجل القرب الالهي

خصوصيّة ليلة القدر المهمة هي أنّها تقرّب الإنسان إلى الله. السيدة فاطمة«صلوات الله عليها» لها شباهة بليلة القدر أيضاً، ولذلك عبّر عنها بليلة القدر؛ لأنها مرقاة الصعود والسير إلى الله، بالخصوص أنّه بواسطتها يستطاع الوصول بسرعة إلى الله، ولذلك فإن أي شخص يريد

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: غرر الحكم: لعبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، من علماء القرن السادس الهجري. - ح٤٦٣١.

الوصول إلى الله عن طريق هذين المسارين لا بد أن يكون مجهزاً بولايتها، وأن يجعل قلبه ظرف محبة ذاك الوجود المقدس«صلوات الله عليها»، وكذلك يكون في بصدد تحصيل الأنس القلبيّ معها، وبهذه الصورة يحصل على التوفيق، وبواسطة هذا الطريق يطمئن إلى أن مسير التكامل والرشد يطويه بسرعة؛ لأن هذه السيدة «صلوات الله عليها» هي منشأ كل الخيرات والكمالات، وبواسطتها ترتفع كل البلاءات؛ كما في بيان الأئمة المعصومين عليهم السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ذكرنا أهل البيت شفاء من الوعك والأسقام ووسواس الريب، وحبنا رضى الرب تبارك وتعالى)[١].

محبة فاطمة معراج الأنبياء

ليلة القدر معراج كل الأنبياء والأولياء الإلهيين عليهم السلام، عُرِضَتْ ولاية ومحبة السيدة الزهراء «صلوات الله عليها» على كل الأنبياء ووظيفتهم قبولها. الملاك لتعيين قدر ومنزلة الأنبياء عليهم السلام وَميزانه قبول ولاية السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» كما جاء في الروايات (ما تكاملت النبوة لنبيٍّ حتّى أقرّ بفضلها ومحبتها)[٢].

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٢ / ص١٤٥.
(٢) مدينة المعاجز، على ما في مجمع النورين / نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها: تأليف السيد إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني: منشورات دليل ما: الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ، ج ١٩، ص: ٣٥٣.

السير التكاملي مشروط بمعرفة الزهراء عليها السلام

مثلاً، النبيّ إبراهيم عليه السلام في مسير النبوة وطي مراحلها، في البداية كان نبياً وبعد ذلك رسولاً وفي آخر الأمر نال مقام الإمامة. هذا السير والتكامل لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام بواسطة الإقرار بمحبة وفضائل السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» في العالم. كذلك بقية الأنبياء عليهم السلام بواسطة قبول السيدة «صلوات الله عليها» كان ميزان وصولهم إلى مقامٍ ومنزلةٍ عند الله.

فاطمة حاضنة الإمامة

ليلة القدر هي ظرف نزول القرآن الكريم؛ لأن في هذه الليلة نزل كل القرآن الكريم، والوجود المبارك لفاطمة «صلوات الله عليها» ظرف الإمامة والمصحف أيضا، بمعنىٰ أن أئمة الهدى عليهم السلام تربوا في حضن وعطف السيدة «صلوات الله عليها». أولئك العظماء الذين هم عِدْلُ القرآن الكريم، والنبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله» طوال عمره الشريف أوصى بهذين، ففي الحديث عنه «صلّى الله عليه وآله»: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ ألا هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملحٌ أجاجٌ فاجتنبوا[1]؛ ولذلك إن فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها» ينظر إليها على أنّها ظرف الإمامة وظرف المصحف أيضاً.

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٢ / ص١٠٠.

محل نزول الآيات الإلهية

تنزل آيات القرآن الكريم ومقدّرات العالم وحقائق الوجود في ليلة القدر. وإحدى معاني ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القَدر: ١] أنّها نزلت في شأن السيدة الزهراء «صلوات الله عليها»، وهذا يعني أنّ الآيات القرآنية الكريمة نازلةٌ على قلبها المطهر ومقدرات العالم، وتنزل على الأئمة المعصومين عليهم السلام وبعد ذلك تصل إلى بقية الخلق.

نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام المطلقة: (إِرادَةُ الرَّبِّ في مَقاديرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ اِلَيْكُمْ وَتَصْدُرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَالصّادِرُ عَمّا فُصِّلَ مِنْ أَحْكامِ الْعِبادِ)(١).

فصل الحق عن الباطل

من شباهة السيدة الزهراء «صلوات الله عليها» بليلة القدر أنّ ليلة القدر ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدّخان: ٤]، في ليلة القدر كل أمرٍ يُفصلُ وفق أساس الحكمة والتدبير الإلهيين. فاطمة الطهر «صلوات الله عليها» فاصلة بين الحق والباطل أيضاً، وتفصل بين المؤمن والكافر. يقول أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): دخلت إلى المنزل ذات يوم ورأيت النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله» جالساً والحسن والحسين عليهما السلام على طرفيه، وفاطمة الزهراء «صلوات الله عليها» في

(١) مفاتيح الجنان دار التعارف للمطبوعات ١٤٢٤ هـ، ط٢: مطبعة سبحان: بني الزهراء عليها السلام.

مقابل رسول الله «صلّى الله عليه وآله»، النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله» قال: (يا حسن ويا حسين! أنتما كفتا الميزان وفاطمة لسانه، ولا تعدل الكفّتان إلا باللسان، ولا يقوم اللسان إلّا على الكفّتينِ)[١].

ولذلك إنّ السيدة الزهراء «صلوات الله عليها» ميزان الحق ومعياره، ولهذا قال النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله»: (إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)[٢].

ولذلك إن ملاك ومعيار الحق رضا الزهراء «صلوات الله عليها»، وميلاك الباطل غضبها.

القبر المخفي

ليلة القدر مخفية طوال السنة ولا يعرف أي أحدٍ أيّة ليلةٍ هي ليلة القدر. وقبر سيدة نساء العالمين «صلوات الله عليها» مخفي أيضاً، كما أن ليلة القدر ولي الله يعلم بها وحدهُ ومخفية على بقية الناس. هذه النكتة رمز وسر، مخفيّ فيها مظلومية وحقانية الشيعة.

يقول الراوي: سألت الإمام جعفر الصادق عليه السلام: لأيّ علةٍ دفنت فاطمة عليها السلام باللّيل ولم تدفن بالنهار؟

(١) كشف الغمة: ج ١ ص٥٠٦، عوالم العلوم: ج ١١/ ٢ ص١١٨٧، ح ٥ عن كشف الغمة، الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي الشافعي: ص١٢٩ / نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها: تأليف السيد إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني: منشورات دليل ما: الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ، ج٢٤: ص١٦٧.

(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٢١ / ص٢٧٩.

قال عليه السلام : «لأنها أوصت أن لا يُصلّي عليها الرّجُلان الأعرابيان»[١].

فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها» هكذا كتبت في وصيتها : . . . (يا علي أنا فاطمة بنت محمد «صلّى الله عليه وآله» زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة).

وبعد ذلك واصلت الكلام وقالت : (أنت أولى بي من غيري حنّطني وغسّلني وكفّني باللّيل وصلّ عليّ وادفني باللّيل ولا تعلم أحداً . .)[٢].

عمل شفاف ونوراني

عمل السيدة الزهراء «صلوات الله عليها» مثل ليلة القدر من المحكمات الواضحات الثابتات. وبالاستدلال بسورة القدر تُحرز وتُتحصّل حقانية الشيعة وإمامة أئمة الهدى عليهم السلام .

بيان حقانية الشيعة في ليلة القدر

يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام : (يا معشر الشّيعة خاصموا بسورة إنا أنزلناه في ليلة القدر تفلجوا، فوالله إنّها لحجةُ الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله «صلّى الله عليه وآله»)[٣].

(١) المصدر - ج ٤٣ / ص٢٠٦.
(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص٢١٤.
(٣) المصدر- ج ٢٥ / ص٧٢.

تعلمنا الاستدلال بهذه السورة من رواية أخرى عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): كان أبو بكر وعمر عند النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله»، وكان في حالة خشوع وبكاء، وتلاوة سورة القدر.

الاثنان سألا: ما أشد رقتك لهذه السورة؟

قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: لِمَا رأت عيني ووعا قلبي، ولِمَا يرى هذا من بعدي، (يعني الإمام عليّاً) (صلوات الله عليه).

فيقولان: وما الذي رأيت وما الذي يرى؟

قال فيكتب لهما في التراب ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القَدر: ٤].

قال: ثم يقول: هل بقي شيء بعد قوله عز وجل: ﴿كُلِّ أَمْرٍ﴾؟

فيقولان: لا.

فيقول: هل تعلمان من المنزل إليه بذلك؟

فيقولان: أنت يا رسول الله.

فيقول: نعم.

فيقول: هل تكون ليلة القدر من بعدي؟

فيقولان: نعم.

قال: فيقول: فهل ينزل ذلك الأمر فيها؟

فيقولان: نعم.

قال: فيقول: إلى منْ؟

فيقولان: لا ندري.

يقول الإمام علي (صلوات الله عليه): فيأخذ برأسي ويقول: إن لم تدريا فادريا، هو هذا من بعدي.

قال: فإنهما كانا ليعرفان تلك الليلة بعد رسول الله «صلّى الله عليه وآله» من شدة ما يداخلهما من الرعب[١].

موقف الزهراء عليها السلام مع الأول والثاني شفاف ومحكم

ولذلك بالاستفادة من هذه السورة يمكن الاستدلال وإثبات الولاية وإمامة الأئمة الطاهرين عليهم السلام. بهذا الدليل تعتبر هذه السورة من المحكمات الواضحات وشباهة السيدة الزهراء «صلوات الله عليها» بهذه السورة من هذه الجهة؛ لأن عمل السيدة «صلوات الله عليها» واضح وشفاف ومن المحكمات، يعني: ليس مثل عمل بقية الأئمة عليهم السلام مع المخالفين؛ لأن الأئمة الطاهرين عليهم السلام في غالب الموارد من أجل مراعاة المصلحة الإسلامية وحفظ الدين يعملون بالتقية، ويتماشون مع الغاصبين، وفي بعض الأحيان ينادونهم بلقب «أمير المؤمنين». وأمّا السيدة الصدّيقة «صلوات الله عليها» بصورة علنيّة، (فتُبدي) نظرها بعيداً عن أيّ نوعٍ من التقيّة. ومن جملة ما لم تقبله:

- خلافة أبي بكر، وهذا الأمر واضح من بيانات السيدة الزهراء «صلوات الله عليها».
- تنفُّرُها من الإثنين وأعلنت لهما عدم الرضا والغضب.

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٢٥ / ص٧١.

ففي الرواية. . . عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام، قال: بينما أبو بكر وعمر عند فاطمة عليها السلام يعودانها، فقالت لهما: أسألكما بالله الذي لا إله إلا هو سمعتما رسول الله «صلّى الله عليه وآله» يقول: «من آذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى اللّه»؟ فقالا: اللهم نعم. قالت: فأشهد أنكما آذيتماني(١).

معرفة ليلة القدر

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القَدر: ٢]، أيّها النبي «صلّى الله عليه وآله»: ما أدراك ما هي فاطمة «صلوات الله عليها»؟ نحن نعرّفك السيدة الزهراء «صلوات الله عليها»! ولو لم نعطك العلم والعصمة والامتياز وعلو المقام ولم نعرّفك على فاطمة «صلوات الله عليها»، ليس معلوماً أن تستطيع أن تعرف الزهراء المرضية «صلوات الله عليها»، نحن المعرِّفون للسيدة الصدّيقة «صلوات الله عليها»!

ولذلك سيأتي بنو أمية ويحكمون ألف شهر (أكثر من ثلاثٍ وثمانين سنة) لا يصيبك الغم والهم لذلك! لأنّنا سنعطيك عوضاً عن ذلك فاطمة «صلوات الله عليها»، فاطمة «صلوات الله عليها» التي سوف يولد منها أحد عشر إماماً وحجة لله عليهم السلام، وآخرهم الإمام صاحب الزمان (عجل الله فرجه) حيث أنه سوف يزيل كل اسمٍ وعلامةٍ لبني أمية وبني العباس

---

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها: تأليف السيد إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني: منشورات دليل ما: الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ، ج ١٤، ص: ٢١٦.

والظالمين، (للباطل جولةٌ وللحق دولة)، بمعنىٰ أن الباطل له جولان، وأمّا الحق فله استقرار واستمرار.

إذن ليلة القدر التي عرَّفها الله هي فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها».

معرفة ليلة القدر مرتبطة بمعرفة السيدة فاطمة

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: فمن عرف فاطمة «صلوات الله عليها» حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر(١).

هذه الجملة لها معنيان:

المعنى الأول: أنّه لو أن شخصاً يريد أن يعرف ويفهم ليلة القدر أية ليلة في السنة، لا بد أن يعرف الزهراء «صلوات الله عليها»، يعني: أنه يسير ويسلك في فصل المعرفة والعرفان.

يقول المرحوم السيد بن طاووس رضوان الله عليه: أنا أعلم متى ليلة القدر!

سُئِلَ: من أين تعرف؟

قال: طوال السنة توجد ليلة واحدة تكون فيها السماء والأرض مملوَّةً بالملائكة الإلهيّين، ولذلك أعرف أنّ هذه ليلة القدر.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤]، كل الملائكة تأتي بصحائف الأعمال وتقديرات العالم وتعرضها في المحضر الشريف للإمام صاحب

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص٦٥.

الزمان (عجّل الله فرجه) حتى يمضي تلك الصحائف، وعلة أن السيد بن طاووس (عجّل الله فرجه) ملتفت إلى ذهاب وإياب الملائكة، معرفته القلبيّة بالسيدة الزهراء «صلوات الله عليها»، حيث من أثر هذه المعرفة وصل إلى مقام الفناء في الولاية.

المعنى الثاني: هو كما أنّ الناس لا تستطيع أن تدرك ليلة القدر وأن تعرفها، فإنّ فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها» ستبقى مجهولةً أيضاً، ولا يوجد شخص قادر على أن يعرفها حق معرفتها.

المعنى الباطني لليلة القدر

ذكر الله العادل في القرآن الكريم السيدة فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها» بكلمات عظيمة، على سبيل المثال في هذه الآية الشريفة ذكرها بـ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدّخان: ٣]. هذه الآية أيضاً لها معنىً ظاهري ومعنىً باطني.

المعنى الظاهري: ليلة القدر.

المعنى الباطني: طبق الروايات - القرآن يصل إلى سبعين معنىً باطنياً - هكذا: نحن أنزلنا القرآن الكريم في شأن وفضيلة ومدح وثناء فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها».

المعنى الباطني الآخر: نحن أنزلنا القرآن الكريم في ظرف ووجود وقلب السيدة الزهراء «صلوات الله عليها»، يعني: أنّ مركز العبارات، واللطائف، والإشارات، والكنايات، والحقائق والمعارف القرآنية هو قلب زهراء الطهر «صلوات الله عليها». وإذا أراد شخص أن يحصل على

حقائق القرآن الكريم ويدركها، فلا بدّ أن يكون في فصل ومسير ولاية وعصمة الزهراء المرضية «صلوات الله عليها»؛ لأن السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» لا تفترق ولا تنفصل عن القرآن الكريم، بل هي القرآن الناطق.

القرآن عبَّر عن السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» بـ ﴿لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدّخَان: ٣]. يعني: أنّ كل البركات التي تصل من جانب الله المنان إلى ما سوى الله، كل العطايا المادية والمعنوية، وكل الحقائق والمعارف والنعم ببركة الوجود الممتاز لفاطمة الزهراء «صلوات الله عليها»، ولو لم تكن فاطمة «صلوات الله عليها» لم يوجد في العالم شيء.

لم أخلق الوجود ليصلني شيء　　بل حتى أجود على العباد

الموضوع الرابع والعشرون
فاطمة عليها السلام مثَل نور الله

جعل الله المتعال في آية النور للسيدة فاطمة «صلوات الله عليها» مقاماً عالياً: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

الله المتعالي نور السماوات والأرض، ضرب الله في هذه الآية أعظم مَثَلٍ لنفسه؛ لأن الله المتعالي ليس قابلاً للرؤية، ونحن ليس لدينا قدرةٌ على أن ندرك صفاته وأسماءه، ولذلك ضرب مثالاً وتجلَّى ببيانٍ لنفسه وبذلك عرّف نفسه.

هذه الآية الشريفة تقول: مثل نوره هو الوجود المقدس للأربعة عشر معصوماً عليهم السلام، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾ [النّحل: ٦٠]، والدّعوة الحُسنى. يعني: أفضل بيان لأجل معرفة الله ومعرفة صفات وأسماء وأفعال الحق المتعالي هم الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام؛ ولذلك فإنّه إذا أراد الأنبياء عليهم السلام أن يعرفوا الله لابد أن يتوسلوا بالأربعة عشر نوراً المقدسين (صلوات الله عليهم)؛ ولذلك لا بدّ من التدبر في هذه الآية وفهم كيف فُسِّر المثلُ الإلهيُّ بالأئمة عليهم السلام.

وَطبق القاعدة لابد أن تبدأ الآية الكريمة برسول الله صلى الله عليه وآله ، وبعد ذلك الإمام علي (صلوات الله عليه)، وفي ذلك الوقت بالسيّدة فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها»، لكن الله بدأ مثاله باسم الصدّيقة الطاهرة «صلوات الله عليها»، وقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النُّور: ٣٥]. الإمام الصادق عليه السلام يقول: (. . . مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فاطمة)، في حديث الكساء أيضاً بدأ الله باسم السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» وقال: (هُم فاطمةُ وأَبُوها وبَعلُها وبَنُوها).

فاطمة مظهر رحمة الله

سؤال: ما هي النكتة لبدء آية النور وحديث الكساء بفاطمة عليها السلام بدل رسول الله «صلّى الله عليه وآله»؟

الجواب: حتماً أنّ هذا الأمر له نكتة وسرٌّ أن بدأ الله باسم السيدة الزهراء المرضية «صلوات الله عليها»، ويحتمل لهذه العلة أن فاطمة «صلوات الله عليها» بنت، والبنت تساوي مائة رحمةٍ.

فاطمة «صلوات الله عليها» مظهر رحمانية ورحيمية الله المتعالي، ولأنها رحمة فهي حافظة وحارسة الأئمة الأطهار عليهم السلام ، وكما أن الله بدأ خلق العالم بالرحمة، هنا بدأ بالرحمة أيضاً، (في الآية وحديث الكساء الماضيين).

سؤال: كيف أن فاطمة «صلوات الله عليها» رحمة؟

الجوابُ: أَنّه: بالتأمَّل في الآية الشريفة يتّضح لنا تلك الرحمة:

- السيدة الزهراء «صلوات الله عليها» هي حافظة ومشكاة.

الكوّةُ هي المكان الذي يتّخذ في جدار البيت لأجل حفظ المصباح؛ ولذلك هي مأمن ومحلّ لأجل حفظ وحراسة وأمْن المصباح.

- النبيّ الأكرم «صلّى الله عليه وآله» مصباح، وبتعبير القرآن الكريم: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، يعني: مصباحاً يشع ضياءً ونوراً.
- الإمام عليّ (صلوات الله عليه) هو الزجاجة، الزجاجة هي التي تتلقى النور من المصباح وتنشره وتبثه إلى الخارج بتلألؤٍ وجمال خاصّ.

الآية الشريفة تشير إلى نكتتين:

أولاً: أن الله يقول: إنّ زهراء الطهر «صلوات الله عليها» مشكاة، يعني: أنّهُ مثلما أن كوة ومكان المصباح هو حافظ للمصباح ومانع من كسره وإصابته بشيءٍ وزواله، ولا يدع النور ينطفىء، فإنّ السيدة الزهراء «صلوات الله عليها» هي أيضاً حارسةٌ وحافظةٌ للنبيّ الأكرم «صلّى الله عليه وآله»، وأمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، ومراقبةٌ لئلا يطفأ هذان النوران، كما أنّ الأعداء بصدد إطفاء مصباح النبوة والولاية، ولكن المشكاة الإلهيّة مانعةٌ من وصول أعمال هؤلاء إلى هدفهم، ولم تعط الإجازة للخطط الشيطانية أن تعمل. السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» بواسطة موقفها وبإشكالاتها في خطبتها(١) وبتأدية وصيتها وفي النهاية

(١) عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام، قالت: لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً وانصرف عاملها منها، لاثت خمارها، ثم أقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ أذيالها، ما تخرم مشية رسول الله «صلّى الله عليه وآله» حتى دخلت على أبي بكرٍ وقد حفل حوله المهاجرون والأنصار.

بشهادتها المظلومة، وبإخفاء قبر الغريبة لا يصل المنافقون إلى أهدافهم المشؤومة.

فنيطت دونها ملاءة، فأنّت أنّةً أجهش لها القوم بالبكاء. ثم أمهلت حتى هدأت فورتهم وسكنت روعتهم، افتتحت الكلام فقالت: أبتدئ بالحمد لمن هو أولى بالحمد والمجد والطّول؛ الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم، والثناء على ما قدم من عموم نعم ابتدأها... وأشهد أن لا إله إلا الله... وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله؛ اختاره قبل أن يبعثه، وسمّاه قبل أن يستنجبه... ثم قبضه الله إليه قبض رأفة ورحمة واختيار، ورغبة لمحمد عن تعب هذه الدار...؛ فعليه الصلاة والسلام ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المسجد فقالت للمهاجرين والأنصار: وأنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم؛ زعيم حقّ له فيكم، وعهد قدّمه إليكم... ففرض الله عليكم الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزييداً في الرزق، والصيام إثباتاً للإخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والحق تسكيناً للقلوب وتمكيناً للدين، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا لماً للفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام... ثم قالت: أنا فاطمة وأبي محمد صلّى الله عليه وآله؛ أقولها عوداً على بدء، وما أقولها إذ أقول سرفاً ولا شططاً؛ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. فإن تعزّوه تجدوه أبي دون نسائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم؛ تبلغ النذارة صادعا بالرسالة، ناكباً عن سنن المشركين، ضارباً لأثباجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.

يجذّ الأصنام وينكث الهام، وحتى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتّى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وهدأت فورة الكفر، وخرست شقاشق الشيطان، وفهتم بكلمة الإخلاص، ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

فأنقذكم منها نبيه «صلّى الله عليه وآله»؛ تعبدون الأصنام، وتستقسمون بالأزلام، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام؛ تشربون الطرق، وتقتاتون القِدّ والورق، أذلّةً خاشعين؛ تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم. فأنقذكم به بعد اللتيا واللتي وبعد ما مني ببهم الرجال وذؤبان العرب؛ ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المَائدة: ٦٤]، وكلّما نجم قرن الضلالة أو فغرت فاغرة للمشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدّه؛ مكدوداً في ذات

الله، قريباً من رسول الله «صلّى الله عليه وآله»، سيداً في أولياء الله وأنتم في رفاهية من العيش آمنون، وادعون فرحون؛ تتربّصون بنا الدوائر وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال على الأعقاب، حتى أقام الله بمحمد «صلّى الله عليه وآله» عمود الدين.

ولمّا اختار له الله عز وجل دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهرت حسيكة النفاق وسمل جلباب الدين وأخلق ثوبه ونحل عظمه وأودت رمّته، وظهر نابغ، ونبغ خامل، ونطق كاظم، وهدر فنيق الباطل.

يخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، صارخاً بكم. فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلكم وأوردتموها غير شربكم بداراً.

زعمتم خوف الفتنة؟ ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْـنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]. هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لمّا يندمل. فهيهات منكم وأين بكم وأنّى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم؛ زواجره لائحة، وأوامره لامحة، ودلائله واضحة، وأعلامه بيّنة، وقد خالفتموه رغبةً عنه. فـ ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

ثم لم تريثوا شعثها إلا ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها؛ تسرّون حسوا بارتغاء، أو نصبر منكم على مثل حزّ المدى، وزعمتم ألّا إرث لنا. ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أيها المسلمون! أَأُبتزّ إرث أبي؟! يابن أبي قحافة؟ أبى الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً!

جرأة منكم على قطيعة الرحم ونكث العهد؛ فعلى عمد تركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ [النمل: ١٦]، وفيما قصّ من خبر يحيى وزكريا إذ يقول: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾ [مريم: ٥، ٦]... زعمتم أن لا حظّ لي ولا إرث من أبي؟ أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من ملة واحدة؟ أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم ممن جاء به؟ فدونكموها مرحولة مزمومة، تلقاكم يوم حشركم، فنعم الحكم الله ونعم الخصيم محمد «صلّى الله عليه وآله» والموعد القيامة، وعما قليل تؤفكون وعند الساعة ما تخسرون، ولكل نبأ مستقرّ، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

معشر النقيبة وحصنة الإسلام! ما هذه الغميزة في حقي والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله «صلّى الله عليه وآله» أمر بحفظ المرء في ولده؟ فسرعان ما أحدثتم وعجلان

....

ذا إهالة! أتقولون: مات محمد «صلّى الله عليه وآله»؟ فخطب جليل استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وفقد راتقه، فأظلمت الأرض لغيبته، واكتأب خيرة الله لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة بموت محمدٍ «صلّى الله عليه وآله».

فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله هتافاً هتافاً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤]. . .

أيهاً بني قيلة! أأُهضم تراث أبي وأنتم بمرآىً منّي ومسمع؟ تلبسكم الدعوة ويشملكم الجبن؟ وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والخيرة، وأنتم أنجبته التي امتحن، ونحلته التي انتحل، وخيرته التي انتخب لنا أهل البيت.

فنابذتم فينا العرب، وناهضتم الأمم، وكافحتم البهم؛ لا نبرح وتبرحون، ونأمركم فتأتمرون، حتى دارت بناوبكم رحى الإسلام، ودرّ حلب البلاد، وخضعت بغوة الشرك، وهدأت روعة الهرج، وبلغت نار الحرب، واستوسق نظام الدين. فأنّى جرتم بعد البيان ونكصتم بعد الإقدام عن قوم نكثوا أيمانهم وهمّوا - الآية - ألا أرى والله إن أخلدتم إلى الخفض وركنتم إلى الدعة. . .

ألا ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]. . . ألا وقد قلت الذي قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، ولكنها فيضة النفس ونفأة الغيظ وبثة الصدر ومعذرة الحجة، فدونكم فاحتقبوها دبرة الظهر. . .، باقية العار، موسومةً بشنار الأبد موصولةً بنار الله الموقدة - الآية -. فبعين الله ما تفعلون! ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧]، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون. وسيعلمُ الكفار لمن عقبى الدار؛ ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبَة: ١٠٥]. . .، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ [الإسرَاء: ١٣]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الزلزَلة: ٨]. . .، وكل الأمر قد قصر.

ثم ولّت، فتبعها رافع بن رفاعة الزرقي، فقال لها: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن تكلّم في هذا الأمر وذكر للناس قبل أن يجري هذا العقد، ما عدلنا به أحداً.

فقالت: إليك عني، فما جعل الله لأحد بعد غدير خم من حجةٍ ولا عذر.

قال: فلم ير باك وباكية كان أكثر من ذلك اليوم؛ ارتجّت المدينة وهاج الناس وارتفعت الأصوات / الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ١٣، ص: ١٧٤.

ولو أن السيدة «صلوات الله عليها» لم تبذل كل هذه التضحيات، حتما لم يبقَ اسم للنبي الأكرم ولا لعليٍّ (صلوات الله عليه)، ولذلك يريد الله أن يقول: مقام الزهراء «صلوات الله عليها» هو المشكاة الذي هو سبب بقاء مصباح النبي الأكرم والإمام علي (صلوات الله عليه).

الأعداء فهموا بصورة جيدة أنه لأجل محو المصباح، ابتداءً لابد أن يرفع من المشكاة ومن مكانه، ومادام في المشكاة وفي مكانه لن يستطيعوا الوصول إلى أهدافهم. أولئك يعلمون بأنه مادامت الزهراء «صلوات الله عليها» حية، لن تترك التعريف بالإمام عليٍّ (صلوات الله عليه) للأمة، ولن تدع الإمامة والولاية أن تسجن في البيت وأن تزول، ولذلك فإنَّ الخليفة الثاني في رسالته إلى معاوية - عليه اللعنة - كتب: (عندما عرفت بأن الزهراء «صلوات الله عليها» خلف الباب ضربته برجلي بقوة، حتى سمعت تكسر عظام أضلاع فاطمة «صلوات الله عليها»)[1].

---

(١) لعل الرواية منقولة بالمعنى لأن نصها كما أوردها المجلسي رحمه الله: ذكر المجلسي رحمه الله تعالى عهدا كان كتبه الخليفة الثاني إلى معاوية يحكي فيه له ما جرى لهم مع الزهراء، وقد جاء فيه قوله: فأتيت داره مستيشراً (ما في مطبوع البحار يقرأ: مستأشراً، والمستأشر، هو الذي يدعو إلى تحزيز الأسنان، كما في القاموس ١ / ٣٦٤) لإخراجه منها، فقالت الأمة فضة - وقد قلت لها قولي لعلي: يخرج إلى بيعة أبي بكر فقد اجتمع عليه المسلمون فقالت - إن أمير المؤمنين عليه السلام مشغول. فقلت: خلي عنك هذا وقولي له يخرج وإلا دخلنا عليه وأخرجناه كرهاً. فخرجت فاطمة فوقفت من وراء الباب، فقالت: أيها الضالون المكذبون، ماذا تقولون؟ وأي شيءٍ تريدون؟ فقلت: يا فاطمة! فقالت فاطمة: ما تشاء يا عمر؟! فقلت: ما بال ابن عمك قد أوردك للجواب وجلس من وراء الحجاب؟ فقالت لي: طغيانك - يا شقي - أخرجني وألزمك الحجة، وكلّ ضالٍّ غوى. فقلت: دعي عنك الأباطيل وأساطير النساء وقولي لعلي يخرج. فقالت: لا حب ولا كرامة، أبحزب الشيطان تخوفني يا عمر؟! وكان حزب الشيطان ضعيفاً. فقلت: إن لم يخرج جئت بالحطب الجزل وأضرمتها ناراً على

الزهراء «صلوات الله عليها» مشكاة، هي حافظة وحارسة النبيّ الأكرم والنبوة، حارسة الشريعة والقرآن وحافظة الإمامة والولاية، وعلمها هذا هو الرحمة الإلهية. في الحقيقة يريد الله المتعالي أن يقول: يا رسول الله «صلّى الله عليه وآله» أنا أعطيتك فاطمة «صلوات الله عليها» (والبنت رحمةٌ)، وهذه الرحمة حافظتك وحارستك وحارسة دينك وشريعتك وولاية الأئمة عليهم السلام وثمرة الدين.

أهل هذا البيت، وأحرق من فيه، أو يقاد عليٌّ إلى البيعة، وأخذت سوط قنفذ فضربت وقلت لخالد بن الوليد: أنت ورجالنا هلموا في جمع الحطب، فقلت: إني مضرمها. فقالت: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو أمير المؤمنين. فضربت فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه، فرمته فتصعب علي، فضربت كفيها بالسوط فآلمها، فسمعت لها زفيراً وبكاءً، فكدت أن ألين، وأنقلب عن الباب، فذكرت أحقاد علي وولوعه في دماء صناديد العرب.

إلى أن قال: فركلت الباب، وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترسه، وسمعتها وقد صرخت صرخةً حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها، وقالت: يا أبتاه! يا رسول الله! هكذا كان يفعل بحبيبتك وابنتك، آه يا فضة! إليك فخذيني فقد والله قتل ما في أحشائي من حمل. وسمعتها تمخض وهي مستندة إلى الجدار، فدفعت الباب ودخلت، فأقبلت إلي بوجه أغشى بصري، فصفعت صفعةً على خديها من ظاهر الخمار فانقطع قرطها وتناثرت إلى الأرض، وخرج علي، فلما أحسست به أسرعت إلى خارج الدار وقلت لخالد وقنفذ ومن معهما: نجوت من أمر عظيم.

وفي رواية أخرى: قد جنيت جنايةً عظيمةً لا آمن على نفسي. وهذا علي قد برز من البيت، وما لي ولكم جميعاً به طاقة. فخرج علي وقد ضربت يديها إلى ناصيتها لتكشف عنها وتستغيث بالله العظيم ما نزل بها، فأسبل علي عليها ملاءتها وقال لها: يا بنت رسول الله! إن الله بعث أباك رحمة للعالمين، إلى أن قال: فكوني يا سيدة النساء رحمة على هذا الخلق المنكوس ولا تكوني عذاباً، واشتد بها المخاض. ودخلت البيت فأسقطت سقطا سماه علي محسناً. وجمعت جمعاً كثيراً، لا مكاثرة لعلي، ولكن ليشتد بهم قلبي وجئت - وهو محاصر - فاستخرجته من داره. إلى أن قال: وأبو بكر يقول: ويلك يا عمر، ما الذي صنعت بفاطمة. / مأساة الزهراء عليها السلام ج ٢ - السيد جعفر مرتضى ص١٦٩.

فاطمة باعثة الحياة في الشيعة

هنا يتضح معنى ومفهوم الحديث القدسي حيث يقول: (لولا فاطمة لما خلقتكما)، يعني: أيها النبي «صلّى الله عليه وآله» لو لم تكن الزهراء «صلوات الله عليها» لم أخلقك، لم أخلق الإمام عليّاً (صلوات الله عليه)، لسوف تصاب بالصدمة وسوف يطفأ نورك، أنت تحتاج إلى حافظة، لابد أن يوجد عاصم حتى يراقبك ويحفظك؛ ولذلك خلقت الزهراء المرضية «صلوات الله عليها»، ولو لم تكن هي لسوف - بعد رحيل الرسول «صلّى الله عليه وآله» - يقتل الإمام علي (صلوات الله عليه) مباشرة، ويقضى على الإسلام، ولكن السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» هي الرحمة المانعة من ذلك.

رحمتها تشمل والدها وزوجها وفي الحقيقة تشمل كل الشيعة بل جميع المسلمين؛ لأنه لو أُخِذَ منا النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله» والإمام عليٌّ (صلوات الله عليه) ما عسانا نفعل؟ وكيف سوف نسلك طريق الحق والهداية؟ هل غير أن الجميع سيمضون حياتهم في الضلال والغواية؟ ولذلك لنا الحق أن نقول: إن فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها» هي باعثة الحياة في الشيعة، الشيعة الذين وجدوا بيد النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله» وهو سماهم الشيعة، وأجرى على الألسنة هذا الاسم.

كما أن الرسول «صلّى الله عليه وآله» خاطب الإمام عليّاً (صلوات الله عليه) وقال: (وشيعتك على منابر من نور مُبيضّةً وجوهُهُمْ حولي في الجنة وهم جيراني)(١).

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٩٩ / ص١٠٦.

من جهة أخرى سعى المنافقون كثيراً بعد النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله» كي يمحوا كل أثرٍ وعلامة للشيعة، لكن جهاد السيدة الزهراء «صلوات الله عليها» منع أعمالهم وسعيهم من وصوله إلى نتيجة، ومن هذه الجهة إنّ السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» باعثة الحياة للشيعة.

ثانياً: أنّ النكتة التي تشير إليها الآية الشريفة أن الزهراء «صلوات الله عليها» جامعة كلمات النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله» والإمام عليٍّ (صلوات الله عليه)؛ لأنا قلنا بأن السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» مشكاة، وأن هذه المشكاة شاملة ومحيطة بالمصباح الذي هو الرسول الأكرم «صلّى الله عليه وآله» والزجاجة الإمام علي (صلوات الله عليه)، وهذا يعني أن باطن وجود الزهراء «صلوات الله عليها» يشمل كل كمالات النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله» وأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بكل فضائلهما. السيدة فاطمة «صلوات الله عليها» جامعة بحر النبوة والإمامة، وفي النتيجة إن حقيقة النبوة والإمامة مجتمعة في الوجود الشريف للسيدة الزهراء «صلوات الله عليها».

معرفة الرسالة والولاية منبثقة من معرفة الزهراء عليها السلام

ولذلك يكون معنى الآية هكذا: لو أردت أن تعرف الرسالة والولاية، لا بُد أن تبحث وتحقق في وجود زهراء الطهر «صلوات الله عليها»، بمعنى أنَّ سيدة نساء العالمين«صلوات الله عليها» لديها كل كمالات وحقائق النبوة والإمامة، حتماً ليس بمعنى أن السيدة الزهراء «صلوات الله عليها» أفضل من النبي الأكرم «صلّى الله عليه وآله»، بل

بهذا المعنى: أن السيدة الزهراء «صلوات الله عليها» حاملة للرسالة لا أفضل، وكل شيءٍ أعطاه الله للرسول «صلّى الله عليه وآله» فقد أعطاه لبضعته «صلّى الله عليه وآله»، إلا مورداً واحداً فقط وهو مقام النبوة والرسالة.

من الروايات المفسرة لآية النور

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حين سئل عن آية النور، فأجاب: (هو مثلٌ ضربه الله لنا، فالنبي والأئمة (صلوات الله عليهم) من دلالات الله وآياته الّتي يهتدى بها إلى التوحيد ومصالح الدّين وشرائع الإسلام والسّنن والفرائض، ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم)(١).

يقول المفسر العظيم العلامة الطباطبائي: إن هذه الروايات تشير إلى بعض المصاديق وهذا أعلى مصداق، أي رسول الله والطاهرون من أهل بيته الكرام «صلّى الله عليه وآله»(٢).

الأثر الاستثنائي لآية النور

من خصوصيات هذه الآية الشريفة أن تلاوتها في الليالي، طبق شرائط خاصة توفق الإنسان للتشرف بمحضر الإمام صاحب الزمان عجل

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤ / ص١٧.
(٢) الميزان في تفسير القرآن: العلّامة المتأله السيد محمد حسين الطباطبائي: بحث روائي الآية ٣٥ من سورة النور.

الله فرجه. وهناك مجموعة من الفضلاء ذهبوا إلى أصفهان لكي يحضروا عند المرحوم آية الله مير جهاني قدست نفسه وطلبوا منه أن يتفضل عليهم بهدية.

قال: في الليالي قبل النوم كرِّروا الصلوات ثلاث مراتٍ، وبعد ذلك اقرأوا آية النور أربع عشرة مرة، وكرِّروا الصلوات ثلاث مرات وناموا، إن شاء الله ستلتقون بالإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه إمّا في النوم أو في اليقظة.

الموضوع الخامس والعشرون

تساوي السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مع بعض الأنبياء العظام وما يدل على أفضليتها على نحو الإجمال(١)

في تساويها «بل تفوّقها» مع آدم عليه السلام

الاصطفاء

وقد ثبت ما يدلّ على أفضليتها على نحو الإجمال في تساويها مع آدم عليه السلام حيث كان آدم أبو البشر، صفي الله، خلق من التراب، وسجدت له الملائكة، واصطفاه الله وجعله رأس السلسلة للنوع الإنساني، وقال الله عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آل عِمرَان: ٣٣] وذكر في الزيارات بصفة «صفوة الله» وخلعت عليه خلعة الاصطفاء على جبل الصفا.

فإن السيدة الصديقة الكبرى كانت صافيةً مصطفاةً منذ اليوم الأول، بل رشح الاصطفاء عليها عليها السلام من منبع العصمة والطهارة والحياء، وقد نادتها ملائكة الملأ الأعلى في أوقات الصلوات: (إن الله اصطفاك) يا فاطمة، وبشروها بصفاء النفس وطهارة الذيل، وهي أم الأئمة والذرية المصطفوية.

---

(١) الخصائص الفاطميّة: العلّامة محمد باقر الكجوري: ج١: ٥٣٤.

فاطمة الزهراء عليها السلام والأسماء الإلهيّة

ولإن كان آدم عليه السلام علم في بدء الخلق الأسماء ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: ٣١] ففاطمة الزهراء عليها السلام أُمُّ الأسماء، والعالمة بالحقائق والمسميات، من أول الأنبياء إلى آخرهم، وهي بذاتها اسم من الأسماء الحسنى توسل به آدم عليه السلام فنجا.

أصل الطينة

وَلإِنْ كان آدم مخلوقاً من التراب، فطينة فاطمة الزهراء ونطفتها الزكية من فواكه الجنة، وشتان بين من خلق من تراب ومن خلق من النور المحمدي «صلّى الله عليه وآله»، وشتان بين الإنتساب إلى التراب والانتساب إلى صاحب مقام «لولاك»، هذا وعلي أمير المؤمنين عليه السلام بعلها رب الأرض وأبو التراب.

شرف الأبوة

ولإن كان لآدم عليه السلام شرف الأبوة على أبنائه وهو أبو الآدميين، فلفاطمة عليها السلام شرف الأمومة على الأئمة المعصومين والذرية الفاطمية الطيبين، وهي أُمُّ الأئمة الخيرة البررة، والذرية الطيبة الطاهرة، هذا وقد أكرمها الله كرامة خاصة بتكثير نسلها إلى يوم القيامة.

مكانها في الجنة

ولإن أكل آدم عليه السلام من حنطة الجنة فأخرج منها وأهبط إلى الأرض، فلقد نالت فاطمة الزهراء الجنان الثماني بأقراص آثرت بها

وبذلتها في سبيل الله، ونزلت فيها الآيات المباركات من سورة «هل أتى» وغيرها، بل بنيت لها جنة خاصة ترتفع على تمام القصور العالية والأبنية الرفيعة والقباب والبقاع في الجنان.

نطقها بالشهادتين عند الولادة

ولإن قام آدم أبو البشر عليه السلام بعد تمام الخلقة ونفخة الروح فعطس وحمد الله، ففاطمة الزهراء عليها السلام أقرت بالشهادتين بعد ولادتها وذكرت أبناءها المعصومين عليهم السلام واحداً واحداً بأسمائهم.

الوسيلة إلى الله سبحانه

ولإن تمنى آدم عليه السلام - بناءً على إحدى الروايات - مقام الخمسة الطيبة، وتمنت حواء المنزلة الرفيعة لتلك المخدّرة، فحرما بذلك من نعم الجنة الدائمة، وكان عاقبة أمنيتها الحرمان والهجر والانتقال من دار السرور إلى دار الغرور، والفرار من دار القرار إلى دار البوار، فلقد توسلا بفاطمة عليها السلام وتشبثا بأذيالها فعادا إلى منزلتهما الأولى السامية، واستجيبت دعوتهما وقبلت توبتهما.

الذرية الطيبة المباركة من نسلها

ولإن أخذ الله هابيل من آدم عليه السلام وعوضه عنه بشيثٍ، هبة الله، الأب الثاني للأنبياء والمرسلين والأولياء الكاملين، وكان شيث أفضل من هابيل وكان نبياً، وبه يفتخر آدم يوم القيامة، أراد الله أن يكون امتداد ذرية آدم عليه السلام منه، فإن الله أخذ إبراهيم من مارية القبطية وفدا به الحسين عليه السلام - وهو أفضل من إبراهيم - فجعله الأب الثاني للأئمة

البررة، وأخرج منه النسل الكثير لآل الرسالة، وبه يفتخر النبي «صلّى الله عليه وآله» يوم القيامة، وهو من مواهب الله على هذه الأمة، وبناء على الرواية المعتبرة فإن الله أبقى سيد المظلومين ليخرج منه الذريّة الطيبة ويطيب خاطر فاطمة الزكية عليها السلام علاوةً على ما كان من قبول شهادته ليكون منجي العصاة ومنقذهم.

بكاؤها من خشية الله سبحانه

ولإن بكى آدم عليه السلام أكثر من مائة عامٍ على ما صدر منه من ترك الأولى، أو على الإبتعاد من الجنة، أو على فراقٍ حواء، حتى ارتوت من دموع عينيه الطيور، وحارت في أمره الوحوش، ورقت له; فإن الصديقة الطاهرة أيضاً بكت من خوف الله، وفراق خاتم الأنبياء، وضلال هذه الأمة، وظليمة بعلها، حتى عدت في الأنبياء العظام البكائين.

وكانت تبكي من خوف الله وفراق سيد الأبرار قبل وبعد وفاة أبيها «صلّى الله عليه وآله»، حتى فزع وجزع سكان المدينة، بل سكان السماوات والأرض، وحديث البكائين الخمسة معتبر ومشهور في كتب المناقب والمصائب.

دعاؤها وسؤالها رضا الله سبحانه

ولإن كان آدم عليه السلام يدعو الله ليعود إلى المكانة الأولى والمنزلة المسلوبة، ويسأل ربه الجنة، فقد سألت فاطمة عليها السلام ربها رضاه فنزل في شأن سيّدة نساء العالمين (عليها صلوات الله) قولُه تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضّحى: ٥].

في تساويها «بل تفوقها» مع نوح عليه السلام

بكاؤها

أما نوح عليه السلام : فلإن بكى عليه السلام على هلاك قومه وسوء عاقبتهم حتى سُمي نوحاً، فقد بكت فاطمة الزهراء عليها السلام أيضاً على ضلالة هذه الأمة المرحومة وغوايتها وسوء عاقبتها، حتى صار لها عالم الإمكان «بيت الأحزان».

رحمة لا متناهية وفضيلة لا حدود لها مع قصر عمرها

ولإن سمي نوح «شيخ الأنبياء» لطول عمره، ونال بذاك تقديراً خاصا إلى يوم القيامة وبقي لقبه على الألسن وفي الأفواه، فإن فاطمة الزهراء عليها السلام عاشت في الدنيا مدة قليلة، ونالت عند الله وعند الرسول رحمةً لا متناهيةً وفضيلةً لا حدود لها، حتى فاقت ذاك الشيخ الكبير - وهو من أولي العزم - مع صغر سنها.

نجاة سفينة نوح بالتوسل بالزهراء عليها السلام

ولإن صنع «نوح» لنفسه ولمن آمن معه سفينة النجاة لينجو من الطوفان، فإنّ نجاة سفينته كانت بالتمسك بولاية فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها، ويشهد لذلك حديث المسمار والأحاديث الأخرى المروية في كتب الشيعة والسنة في توسل نوح عليه السلام بهم.

دعوات فاطمة الزهراء عليها السلام قارنت الإجابة مرات عديدة

ولإن استجيبت دعوة نوح عليه السلام كما بُشِّر بذلك في القرآن المجيد، فإن دعوات فاطمة الزهراء عليها السلام قارنت الإجابة مراتٍ عديدةً، كما تحقق ما قالته في حق ابن حنتمة.

ذكرت العصمة الكبرى في أغلب الآيات تلويحاً

ولإن ذكر نوح في القرآن مراراً تصريحاً، فلقد ذكرت العصمة الكبرى في أغلب الآيات تلويحا، بل إن ثلث القرآن نزل في الخمسة الطيِّبة والعترة المعصومة.

صبرها على الأذى الذي لقته من هذه الأمة

ولإن دعا نوح على قومه بالهلاك فأُلقي بالجميع في طوفان البلاء، ففاطمة الزهراء عليها السلام صبرت على الأذى الذي لقته من هذه الأمة، وما فاهت ثغرها بدعوةٍ عليهم.

شفاعتها الكبرى يوم القيامة

ولإن دعا نوح عليه السلام لينجي ابنه - وهو غير صالح - فلم يجب لـ (إنه ليس من أهلك) فلا أدري ماذا ستفعل الشفيعة الكبرى يوم الجزاء مع بعض السادة؟! وكيف ستفصل نسبتهم إليها؟! وكيف تغطي فضائحهم وهم خلف لم يرعوا حرمة السلف.

في تساويها «بل تفوقها» مع ابراهيم عليه السلام

شرف اصطفاء الأنبياء بشرف اصطفاء الزهراء عليها السلام

وأمّا إبراهيم الخليل عليه السلام : فلإن شرف إبراهيم عليه السلام بشرف الاصطفاء لآله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عِمرَان: ٣٣] فخلاصة آل إبراهيم ولبهم فاطمة الزهراء عليها السلام ،وقوله تعالى (إن الله اصطفاك) نزل ظاهراً في مريم عليها السلام ، ونزل ظاهراً وباطناً في حق فاطمة عليها السلام .

السلام من الله سبحانه على آل يس

ولإن سلم الله على إبراهيم في القرآن، فلقد سلم على آل يس، ويس هو النبي «صلّى الله عليه وآله»، وأقرب آل الله فاطمة عليها السلام .

أوتيت فاطمة عليها السلام حسناتٍ

ولئن أوتي إبراهيم عليه السلام حسنةً واحدةً في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النّحل: ١٢٢]، فلقد أوتيت فاطمة عليها السلام حسنات في قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البَقَرَة: ٢٠١] وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعَام: ١٦٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشّورى: ٢٣] فهذه الآيات نازلة ومؤولة فيها عليها السلام .

أحد عشر إماماً معصوماً من ذرية فاطمة عليها السلام

ولإن انحدر ملوك الروم من ذرية إسحاق النبي ومن نسل إبراهيم

الخليل عليه السلام ، فقد صار أحد عشر إماماً معصوماً من ذرية فاطمة عليها السلام من الأوصياء المرضيين.

نزول آية التطهير بحق فاطمة الطاهرة

ولإن نزل في إبراهيم قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٥] فلقد نزل في فاطمة الطاهرة آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٣٣].

نار الدنيا – فضلاً عن نار الآخرة – لا تؤثر في فاطمة الزهراء عليها السلام .

ولإن كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام ، فإن نار الدنيا - فضلاً عن نار الآخرة - لا تؤثر في فاطمة الزهراء عليها السلام .

فاطمة الزهراء عليها السلام قدمت ولديها للشهادة

ولإن قدم إبراهيم ابنه للذبح بمحض إرادته ففداه الله، فإن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تعلم بشهادة ابنيها منذ الحمل والرضاع، وكانت تقدر على دفع ذلك، ولكنها قدمتهما فداءً.

فاطمة الزهراء عليها السلام أقرب التابعين وأشرف المؤمنات برسول رب العالمين

ولإن نزل في حق إبراهيم قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٦٨]، فإن فاطمة الزهراء عليها السلام أقرب التابعين وأشرف المؤمنات برسول رب العالمين بنص قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقد تابعته

غاية المتابعة حتى صارت لب النبوة وخلاصتها، ووصلت إلى مقام «فاطمة مني وأنا من فاطمة».

فقد ذكرت فاطمة الزهراء عليها السلام ربها بالذكر

ولإن ذكر إبراهيم ربه بالشكر، فقد ذكرت فاطمة الزهراء عليها السلام ربها بالذكر ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا﴾ [آل عِمرَان: ١٩١].

في بيت فاطمة عليها السلام فرجة كانت ترى منها كل شئ إلى العرش الأعظم

ولئن أري إبراهيم ملكوت السماوات في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعَام: ٧٥] فإن في بيت فاطمة عليها السلام فرجة كانت ترى منها كل شيءٍ إلى العرش الأعظم، وتخبر من ذلك.

هجرتها امتثالاً للأمر الإلهي

ولإن هاجر إبراهيم عليه السلام إلى مكّة المكرمة، فلقد هاجرت المخدرة الطاهرة من مكة المكرمة إلى المدينة الطيبة، وكلاهما هاجرا امتثالاً للأمر الإلهي.

في تساويها «بل تفوقها» مع موسى عليه السلام

كراماتها عليها السلام باهرة

وأمّا موسى عليه السلام : فلإن كان لموسى عليه السلام معجزات زاهرة، فلقد كان لتلك المخدرة كرامات باهرة.

المائدة السماوية لفاطمة عليها السلام

ولإن نزل على موسى عليه السلام المن والسلوى، فلقد نزل على فاطمة - إجابة لدعوتها - مائدة من السماء وفواكه من الجنة.

فاطمة عليها السلام ونزول القرآن

ولإن أنزلت التوراة على موسى في مدةٍ مديدة، فلقد أنزل على فاطمة عليها السلام ثلاثة أضعاف القرآن في فترة وجيزة.

فاطمة عليها السلام وشجرة طوبى

ولإن أعطي موسى عصاً من شجرة اللوز المر، فلقد أعطيت فاطمة عليها السلام شجرة طوبى.

اصطفاء فاطمة الزهراء عليها السلام على نساء العالمين

ولإن اختار الله موسى على رجال عالمه بمفاد قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣] فلقد اصطفى فاطمة الزهراء عليها السلام على نساء العالمين بمفاد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ [آل عِمرَان: ٤٢].

فاطمة عليها السلام تناجي الله سبحانه بمحرابها

ولإن ذهب موسى عليه السلام إلى طور سيناء ليناجي قاضي الحاجات ويبتهل إلى العلي الأعلى، فلقد كانت فاطمة عليها السلام تذهب إلى محرابها تتعبد فيه وتناجي ربها، وتقوم حتى تتورم قدماها كما في الخبر «وتورمت قدماها من كثرة العبادة».

محيا الصديقة الطاهرة يزهر صباحاً وظهراً وعصراً بأنوارٍ خاصة

ولإن تجلى الحق لموسى عليه السلام في طور سيناء فاستبان في جبينه نوراً ساطعاً لامعاً، فلقد كان محيا الصديقة الطاهرة يزهر صباحاً وظهراً وعصراً بأنوارٍ خاصةٍ وألوانٍ مختلفة.

لفاطمة الزهراء عليها السلام أيام الحمل والولادة والرضاع كرامات وخوارق للعادات

ولإن ظهرت لموسى عليه السلام في أيام الحمل وبعد الولادة وأيام الرضاع معجزات وخوارق للعادات، من خفاء الحمل، والدخول في التنور، والعوم في البحر، ودخول بيت فرعون، فإن لفاطمة الزهراء عليها السلام أيضاً في أيام الحمل والولادة والرضاع كرامات وخوارق للعادات اتفق عليها الطرفان؛ وقد أشرنا سابقاً إلى بعضها.

حلل الجنان تخلع على فاطمة عليها السلام

ولإن أحضر فرعون الأقباط والسحرة وغيرهم، ودعا موسى ليغلبوه، فنصره الله بالعصا وجعلهم هم المغلوبين؛ فإن نساء اليهود

دعون فاطمة الزهراء عليها السلام مراراً إلى مجالسهن العامة وأفراحهن وأعراسهن ليستعرضن حليهن وزينتهن أمامها ويجرحن بذلك قلبها!! فأشفق عليها العلي الأعلى وخلع عليها من خلع الجنان حللا خلبت ألبابهن وخطفت أبصارهن، فآمن أكثرهن ودخلن في الإسلام.

فاطمة أوتيت أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن وتسع آياتٍ إلهيةً هم الأئمة المعصومون عليهم السلام

ولإن أُوتي موسى العصا واليد البيضاء وتسع آيات إضافةً إلى مقام الرسالة، فإن فاطمة أوتيت أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن وتسع آيات إلهيةٍ هم الأئمة المعصومون من صلب ولدها الحسين عليه السلام، إضافة إلى ارتباطها وانتسابها إلى شجرة النبوة المحمدية.

الأنبياء من أولي العزم وغيرهم لطالما التجأوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة وتوسلوا بهما فنجوا من المهالك

ولإن فلق موسى عليه السلام البحر وأغرق ضلال أمته، فإن الأنبياء من أولي العزم وغيرهم لطالما التجأوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة وتوسلوا بهما فنجوا من المهالك، كما ورد في كتب الإمامية أخبار كثيرة عن الحالات الموسوية والإلتجاء إلى هذه الأسرة الزكية.

في تساويها «بل تفوقها» مع عيسى عليه السلام

خلقت فاطمة الزهراء عليها السلام من نور الرب

وأمّا عيسى عليه السلام : فلإن خلق عيسى عليه السلام من نفخة روح الأمين، فلقد خلقت فاطمة الزهراء عليها السلام من نور الرب وفاكهة الجنة وعرق جبرئيل وزغبه.

تكلمت فاطمة عليها السلام في بطن أمها خديجة

ولإن تكلّم عيسى عليه السلام في بطن أمه وقال بعد ولادته ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] فإن فاطمة الزهراء عليها السلام تكلمت أيضاً في بطن أُمها خديجة، وتكلمت بعد الولادة ووحدت الله سبحانه.

ذكر فاطمة الزهراء عليها السلام في أسفار الإنجيل

ولإن خاطب الله عيسى عليه السلام في القرآن الكريم، فقد ذكر فاطمة عليها السلام في أسفار الإنجيل وبشرها بكثرة النسل وأخبر عن شهادة ولديها.

لأم فاطمة عليها السلام الشرف والفضل وعلو القدر وسمو المقام

ولإن كان لمريم - أم عيسى عليه السلام - من الشرف والعظمة والشأن ما لم يكن لأي واحدة من أمهات الأنبياء العظام، فإن لأم فاطمة عليها السلام - خديجة سيدة النسوان - من الشرف والفضل وعلو القدر وسمو المقام ما لم يكن لأية واحدةٍ من النساء، وحق لمثل هذه المرأة المعصومة بما

لها من عصمة ذاتية وجلالة قدر أن تكون أمها كريمة الأحساب ومفخرةً تفتخر بها على أمهات سيد الكائنات.

الأمّة المرحومة كلها «فاطمية»

ولإن كان بعض النصارى يقدسون مريم ويعتقدون بنبوتها ويتسمون بها «المريميون»، فإن هذه الأمة المرحومة كلها «فاطمية».

فاطمة عليها السلام من ذريتها المصلح العالمي

ولإن كانوا لا يعتقدون بنبوتها فإنهم يعتقدون أنها أفضل من الأنبياء السابقين، وأن عيسى عليه السلام سينزل في آخر الزمان ويتبع آخر أبنائها القائم المهدي (عج).

إنّ علياً وفاطمة والحسنين عليهم السلام مؤيدون بروح القدس

ولإن نزل في عيسى عليه السلام ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البَقَرَة: ٨٧] فلقد قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله» مراراً: إن علياً وفاطمة والحسنين عليهم السلام مؤيدون بروح القدس.

إن جبرئيل والملائكة الكرام نزلوا على الصديقة الطاهرة وبشروها بالعنايات الرحمانية

ولإن كان جبرئيل وملائكة الرحمة ينزلون على عيسى عليه السلام يعلمونه الكتاب ويبشرونه، فإن جبرئيل والملائكة الكرام نزلوا على الصديقة الطاهرة وبشروها بالعنايات الرحمانية والإفاضات السبحانية.

فاطمة الزهراء عليها السلام عاشت في هذه الدنيا زمناً قليلاً وامتازت من بين حسان نساء العالمين بسرعة الرحيل

ولإن عد عيسى عليه السلام في زمرة الأنبياء الذين عاشوا في الدنيا قليلاً، حيث لم يعمر أكثر من ثلاثٍ وثلاثين سنة، ثم خلع عن نفسه رداء التراب وهجر عالم الأملاك، وتسنم ذروة الأفلاك؛ فإن فاطمة الزهراء عليها السلام عاشت في هذه الدنيا زمناً قليلاً وامتازت من بين حسان نساء العالمين بسرعة الرحيل، حيث عاشت ثمانية عشر عاماً، ورحلت عن دار الزوال متوجهةً إلى حظيرة القدس وأعلى عليين، واختارت جوار أبيها سيد المرسلين وجوار رب العالمين، وارتاحت من المحن والفتن والشدائد صلوات الله عليها.

الموضوع السادس والعشرون

في حالات السيدة حوّاء وسارة وآسية ومقارنتهن بفاطمة عليها السلام (١)

أولاً: حواء أم البشر

حواء أُمُّ البشر وأول امرأة من النساء الطاهرات في العالم، وقد عجن الله طينتها الطيبة بيده كما عجن طينة آدم عليه السلام ، وكانت لزوجها أمةً ونعم القرين، والحكمة من خلقها أن تكون أنساً وسكناً لآدم عليه السلام ، ترد عنه الوحشة، وكان بقاء الذرية ودوام النسل منوطا بها، حيث انتشر منها النوع البشري، فبعث الأنبياء العظام، وشرعت الشرائع، وأشيع المعروف، وانتشرت الأحكام، وكثرت المعرفة الحقة، وأظهرت العبودية الخالصة.

ألبسها الله خلعة الوجود بنحو خاصٍّ، وأخذ الله طينتها من فاضل طينة آدم مما يلي الركبة، فصارت النساء يتبعن أمر الرجال. . .

إنّ لآدم وحواء حق الأبوة والأمومة علينا، ولو أنّ أبناءهم أرادوا إحصاء حقوقهما ومفاخرهما ومآثرهما ما استطاعوا القيام بذلك إلى يوم القيامة، ولا سيّما أنّ آدم عليه السلام كان أوّل من اطلع على أنوار الفيض

(١) الخصائص الفاطميّة: العلّامة محمد باقر الكجوري: ج١: ٥٨٣.

المحمديّ في أول الإيجاد، ثم سطع النور في الناصية العلية الجلية لحواء، فأنارت به جنة الخلد، «فعليها من التسليمات أزكاها، ومن التكريمات أسناها.

والأفضل أن نبدأ الكلام بذكر جملة من حالاتها المختصة بها عليها السلام:

منها: أنّ طينتها كانت من طينة آدم الطاهرة ولم تكن من طينةٍ أخرى.

ومنها: أنّها لم تر صلب أبٍ ولا رحم أمٍّ، فبقيت بعيدةً مطهّرةً من أصلاب الآباء وأرحام الأمّهات الطوامث.

ومنها: أنّها خوطبت بالخطاب الذي خوطب به آدم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البَقَرَة: ٣٥].

ومنها: أنّها أذن لها بدخول دار الكرامة وموطن الراحة.

ومنها: أنّها رعاها خالقُ البرايا في جميع المقامات في الجنات العاليات، وشملها بالعنايات اللامتناهية، وغذاها غذاء الروح والبدن بالنعم الظاهرة والباطنة وجعل الجنة بعرضها منزلها، وأنعم بها عليها نعمةً غير ممنونة.

ومنها: في رواية الثعلبي والكسائي: أنّه كانت حواء في حسن سبعين حوريةً، فصارت حواء بين الحور العين كالقمر بين الكواكب.

ومنها: أن الله جعل الملائكة والحور العين والولدان خداما لها في الجنان.

ومنها: أنّهم كانوا يطوفون بها غُرفَ الجنة وقصورها وأعالي جنة

عدن والفردوس، ويزفّونها بالتهاني على نياق الجنة مرَّةً، وعلى مراكب من المسك والكافور والزعفران بالحلي والحلل على رفارف السندس والإستبرق مرّةً أُخرى، فيعرضون عليها النعم الإلهية العظيمة.

ومنها: أنّها كانت تجلس أحياناً على سرير مرصع بالجواهر النفيسة، وله سبعمائة قائمة من الدر الأبيض، وعليه أربع قباب: قبة الرحمة، وقبة الكرم، وقبة الرضوان، وقبة الغفران[1].

فبعد أن استغرق آدم وحواء عليهما السلام في نعم العلي الأعلى وعناياته الروحانية والجسمانية، إلتفتا إلى نفسيهما لحظةً، وتحفلا - آناً - عن مبدأ المبادى بمقتضى الطبيعة البشرية، فظنا أن ما عندهما من فضل ومزايا وعطايا ونعم إلهية لا متناهية نالاها بالاستحقاق الذاتي والأستعداد الفطري، فتحادثا فيما خصّهما الله به من الحسن وشروق أنوار الجمال الموهوبة من حضرة ذي الجلال، فقالا: لم يخلق الله في عالم الملك والملكوت خلقا أفضل ولا أشرف منا، ولم ير سكان الملأ الأعلى مخلوقاً أجمل ولا أحسن منا، فنبههم الله بمشاهدة الأنوار المقدسة الخمسة الطيبة. ومن الأخبار الدالة على ذلك ما يأتي:

الخبر الأول: عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه الكرام،

(١) ولعلّه ثمة سؤال يدور في الخلد أنّه: إذا كانت تلك المقامات لحواء عليها السلام فكيف يتناسب ذلك مع إنزالها من محلها ومقامها العالي إلى الدنيا الدنيّة والذي يفهم منه أنه عقوبةٌ لها ولآدم؟ الجواب: قال العلّامة الشيخ محمد باقر الكجوري (قدست نفسه) هبوطها مع زوجها آدم عليه السلام، وذلك من فضل الله عليها وليس عقوبةً لها، بل كان وسيلةً للوصول إلى النتيجة وإجراء القدرة وإمضاء المشية في جعل الخليفة، وإنّما يدفع البلاء قبل الإبتلاء، لأن أهل البلاء لا يخلون من الإبتلاء. وهيهات هيهات الصفاء لعاشقٍ وجنّة عدن بالمكاره حفت.

عن النبيّ «صلّى الله عليه وآله»: «لما خلق الله تعالى آدم وحواء تبخترا في الجنة، فقال آدم عليه السلام لحواء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منا، فأوحى الله - عزَّ وجلَّ - إلى جبرئيل أن ائتني بعبدتي التي في الجنة الفردوس الأعلى، فلما دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من درانيك الجنة، على رأسها تاج من نور، وفي أذنيها قرطان من نور قد أشرقت الجنان من حسن وجهها، قال آدم عليه السلام: حبيبي جبرئيل، من هذه الجارية التي قد أشرقت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمدٍ «صلّى الله عليه وآله» نبي من ولدك يكون في آخر الزمان قال: من هذا التاج الذي على رأسها؟ قال: بعلها علي بن أبي طالب.

قال: من القرطان اللذان في أذنيها؟ قال: ولداها الحسن والحسين.

قال آدم عليه السلام: حبيبي جبرئيل! أخلقوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله عزَّ وجلَّ قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة»(١).

الخبر الثاني: . . . روي أن آدم نظر إلى حواء ونظرت إليه فدهشا من جمالهما، فقالا: سبحانك يا الله، أخلقت خلقا أفضل منا؟ فأوحى الله إلى جبرئيل أن خذ آدم وحواء إلى الفردوس الأعلى وافتح باب قصر من قصوره لهما، فأراهما جبرئيل قصرا من ياقوت أحمر، فيه عرش من الذهب، قوائمه من الدر الأبيض، وعليه جارية لم ير آدم وحواء مثلها، قد أضاء نور حسنها وبهائها ذلك القصر، بل أضاء نورها الفردوس، وعلى رأسها تاج مرصع بجواهر.

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٢٥ / ص٥.

فقال آدم: من هذه الجارية؟ فقال جبرئيل: هذه فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله «صلّى الله عليه وآله».

قال: ومن زوجها؟ فجاء النداء: افتح القصر الآخر من الياقوت، ففتحه فكان فيه قبة من كافور، وعرش من الذهب، عليه فتى يفوق حسن وجهه حسن يوسف الصديق.

قال: هذا زوجها: علي بن أبي طالب عليه السلام.

فسأل آدم عليه السلام: أله ولد؟ فأوحي إلى جبرئيل: إفتح له قصر اللؤلؤ، ففتحه فإذا فيه قبّة من زبرجد وعرش من عنبر أشهب، وعليه غلامان هما الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام. فندم آدم على كلامه(١).

الخبر الثالث: عن أبي الصلت الهروي، عن علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله**!** أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت؛ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي أنها الحنطة، ومنهم من يروي أنها العنب، ومنهم من يروي أنها شجرة الحسد؟ فقال: كل ذلك حق.

قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت**!** إن شجرة الجنة تحمل أنواعاً؛ فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب، وليست كشجرة الدنيا، وإن آدم عليه السلام لما أكرمه الله - تعالى ذكره - بإسجاد ملائكته له وبإدخاله الجنة، قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل مني؟ فعلم الله - عزَّ وجلَّ - ما وقع في نفسه فناداه: إرفع رأسك

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفايس: للشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي.

يا آدم فانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً «لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ فقال عز وجل: يا آدم! هؤلاء ذريتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء ولا الأرض، فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأخرجك عن جواري، فنظر إليهم بعين الحسد وتمنى منزلتهم، فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهي عنها، وتسلّط على حواء لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد، حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله عن جنته وأهبطهما عن جواره إلى الأرض(١).

تأويل ومعنى الشجرة التي نُهي عنها آدم عليه السلام

سؤال: ما تأويل وحقيقة تلك الشجرة التي حرّمت على آدم وحواء عليهما السلام؟

الجواب: أنّها شجرة مختصة بمحمدٍ وآله وهي المعبر عنها بالروايات بأَنّها علم آل محمد «صلّى الله عليه وآله»، وهي لمحمد وآل محمّد وقيل: أصل الشجرة النبوة وفرعها الولاية، وهذا ما دلت عليه الاخبار ومنها:

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٢٦ / ص٢٧٣.

- في كتاب تأويل الآيات الباهرة في العترة الطاهرة: إنها شجرة علم آل محمد «صلّى الله عليه وآله»، وهي «لمحمد وآل محمد خاصة دون غيرهم، ولا يتناول منها بأمر الله إلا هم، ومنها ما كان يتناوله النبي «صلّى الله عليه وآله» وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بعد إطعامهم اليتيم والمسكين والأسير، حتى لم يمسوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب(١).

- وقيل: أصل الشجرة النبوة وفرعها الولاية. وروي في المستدرك عن كتاب الفردوس وكتاب السمعاني بإسنادهما عن ابن عباس قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: «أنا الشجرة، وفاطمة حملها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، والمحبون لأهل البيت ورقها من الجنة حقاً حقاً»(٢).

والخلاصة: أنّ المنصف البصير إذا غاص في بحار هذه الأخبار، علم عدم جواز التفكيك بين فاطمة الزهراء عليها السلام وبين الرسول «صلّى الله عليه وآله» وأمير المؤمنين، وعلم اتحادهم في كل العوالم، وعلم أن كل ما قاله الرسول «صلّى الله عليه وآله» في حقها قاله في حق الأمير عليه السلام . . . ، وأن أهل المعنى إذا لاحظوها بأيِّ منظار، فهي لا تخرج عن تلك الشجرة التي كانت في الجنة، وأن حواء تابعت آدم عليه السلام وبعد أن نظرت إلى فاطمة بعين الحسد كوشفت بالمقامات العلية لفاطمة الزكية فأكلت من تلك الشجرة المنهي عنها، أو أنها رأت

(١) تفسير الإمام العسكري: **٢٢١**، تفسير البرهان ١ / ١٧٨ ح ١ ذيل الآية الكريمة **٣٥** سورة البقرة، **٥٩٢** / نقلاً عن الخصائص الفاطميّة.
(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسيّ - ج ٢٤ / ص١٤٣.

مقام فاطمة العالي عند رؤية تلك الشجرة فتناولت منها لعلّها تنال ذلك المقام، أو الأفضل منه، والله العالم بحقائق السرائر وأفعال العباد..

ثانياً: سارة رضي الله عنها

فهي من بنات الأنبياء وابنة خالة إبراهيم خليل الرحمن - عليه صلوات الله الملك المنان - وهي من النساء الممدوحات في القرآن، وكان لها جمال في حد الكمال بعد حواء عليها السلام، قال الإمام عليه السلام: كان لسارة جمال كأنها حوريّة الجنان، بل كانت حوراء في صورة إنسية.

ولم يكن لها في زمانها من النساء قرين في حسن السيرة وجمال المنظر، وكانت آيةً من الآيات الإلهية في الحسن والجمال، وكان خليل الرحمن يحبها حباً جماً، وكان إبراهيم عليه السلام يراها إذا خرجت حتى تعود، وترتفع الحجب عن عينه فيرعاها بنظره ذهاباً وإياباً، وكان إذا خرج من البيت أقفل عليها الباب(١).

(١) وجاء في رواية معتبرة: إن إبراهيم حينما خرج إلى مصر عمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشدّ عليها الأغلاق غيرةً منه عليها، ومضى حتى خرج من سلطان نمرود وسار إلى سلطان رجل من القبط يقال له «عرارة»، فمرّ بعاشر فاعترضه العاشر ليعشر ما معه، فلما انتهى إلى العاشر ومعه التابوت، قال العاشر لإبراهيم عليه السلام: إفتح هذا التابوت حتى نعشر ما فيه، فقال له إبراهيم عليه السلام: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة حتى نعطي عشره ولا نفتحه، قال: فأبى العاشر إلا فتحه، قال: وغضب إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال، قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟! قال إبراهيم: هي حرمتي وابنة خالتي، فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبأتها في هذا التابوت؟! فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد، فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك، قال: فبعث رسولاً إلى

فسارة لها نسبة قرابة مع إبراهيم عليه السلام، ويكفي في جلالها أن إبراهيم عليه السلام كان مأموراً باسترضائها وتطييب خاطرها، وهو دليل على حسن حالها ومكارم أخلاقها ومحاسن أفعالها، بل يتبين من بعض الأخبار الصحيحة أنّها مجابة الدعوة، إستجاب لها خالق البريات، وهذا دليل على شأنها العظيم ومقامها الرفيع.

ومن خصائصها الرائعة:

- أنها بشرت بالذرية بعد أن دخلت في عمر وسن اليأس بل الشيخوخة قال تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾

الملك فأعلمه، فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت، فأتوا ليذهبوا به فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إني لست أفارق التابوت حتى يفارق روحي جسدي... فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى أُدخل على الملك، فقال لهُ الملك: إفتح التابوت، فقال له إبراهيم عليه السلام: أيّها الملك إن فيه حرمتي وبنت خالتي، وأنا مفتد فتحه بجميع ما معي، قال: فغضب الملك إبراهيم على فتحه، فلما رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مدّ يده إليها، فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه عنها وعنه غيرةً منه وقال: اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه.. فيبست يده، فاعتذر إليه الملك واستغفر وطلب منه أن يدعو ربه ليطلق يده، ففعل إبراهيم، وعاد الملك إلى فعله ثلاث مرات، وإبراهيم عليه السلام يدعو فتيبس يده ويستغفر فتطلق، فلما رأى منه الملك ما رأى عظمه وهابه ووهبه جارية قبطية لخدمة سارة، وقال له: أُحبُّ أن تأذن لي أن أُخدمها قبطية عندي جميلةً عاقلةً تكون لها خادماً، وهي هاجر أم إسماعيل... والحديث طويل.

والغيرة من الخصال الممدوحة في الرجال، ومعنى الغيرة: الحمية وكراهة شراكة الغير في الحق الثابت للإنسان، ومن لا غيرة له فهو منكوس القلب، وفي الحديث «لا أحد أغير من الله تعالى» وروي أيضاً: «إن الله يغار والمؤمن يغار» وروي أيضاً: «المؤمن غيور» وفي الحديث المذكور آنفا: قال إبراهيم عليه السلام للملك: «إنّ إلهي غيور يكره الحرام، وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام».

[هُود: ٧١]، فبعد مضي خمس وسبعين سنة من عمرها الشريف ووهن قواها واندكاك أعضائها، بعث الله إليها الملائكة الكرام يبشرونها بمولود من مثل إسحاق، وجعل من ذريته أنبياء.

وكانت ولادتها غير متوقعة - عادةً - لذا قالت ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾ [هُود: ٧٢]؟! ولكنها الدعوة المستجابة تماماً، كما وهب يحيى عليه السلام بتلك الموهبة الكبرى.

- حبها للضيوف والضيافة: ذكرها الله عزَّ وجلَّ وذكر ضيافتها ومحبتها للضيوف واتباعها لإبراهيم أبي الأضياف، فقال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [الذّاريَات: ٢٤]. وخاطبها جبرئيل والملائكة الكرام، واعتنى بها قاضي الحاجات عناية خاصة. منها على سبيل المثال:

تحويل الرمل إلى طعام!

إنّ إبراهيم عليه السلام كان له يوماً ضيف، ولم يكن عنده ما يمون ضيفه(١)... خرج ومعه إزار إلى موضع وصلى ركعتين، فلما فرغ ولم

(١) عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنّه قال: «إذا سافر أحدكم فقدم من سفره فليأت أهله بما تيسر ولو بحجر، فإن إبراهيم عليه السلام كان إذا ضاق أتى قومه، وإنه ضاق ضيقة فأتى قومه فوافق منهم أزمةً فرجع كما ذهب، فلما قرب من منزله نزل عن حماره فملأ خرجه رملاً إرادة أن يسكّن به من روح سارة، فلما دخل منزله حط الخرج عن الحمار وافتتح الصلاة، فجاءت سارة ففتحت الخرج فوجدته مملوءاً دقيقاً، فأعجنت منه وأخبزت، ثم قالت لإبراهيم عليه السلام: انفتل من صلاتك وكل! فقال لها: أنّى لك هذا؟ قالت: من الدقيق الذي في الخُرج، فرفع رأسه إلى السماء وقال: أشهد أنك الخليل» / البحار ٧٣ / ٢٨٢ ح ١ باب ٥٢ في آداب الرجوع عن السفر عن تفسير العياشي: ذيل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥].

يجد الإزار علم أن الله هيأ أسبابه، فلما دخل داره رأى سارة تطبخ شيئاً فقال لها: أنى لك هذا؟ قالت: هذا الذي بعثته على يد الرجل، وكان الله سبحانه أمر جبرئيل أن يأخذ الرمل الذي كان في الموضع الذي صلى فيه إبراهيم ويجعله في إزاره والحجارة الملقاة هناك أيضاً، ففعل جبرئيل ذلك وقد جعل الله الرمل جاورساً مقشراً - وفي رواية ذرة - والحجارة المدورة شلجماً والمستطيل جزرا»(١).

تميزت بصبرها: كانت سارة صابرة؛ لأنها صبرت على ضيافة إبراهيم الخليل مع ما كانوا عليه من الفقر والفاقة، وروي أنه كان قد لا يتغذى ثلاثة أيام حتى يجد ضيفاً فيأكل معه(٢)، ولذا كني بـ «أبو الضيفان» و«أبو الأضياف»(٣).

على أيّ حال، فإنّ أجلى وأعلى الصفات الكريمة في سارة إنما هي

(١) البحار ٦٣ / ٢١٩ ح ٤ باب ٦ الجزر.
(٢) انظر بحار الأنوار ١٢ / ٤.
(٣) احاديث في الضيافة: ولذا قال عليه السلام: «من أكرم ضيفه فهو مع إبراهيم في الجنّة». وروي أن الضيف إذا دخل فتح لصاحب الدار ألف باب من أبواب الرحمة، وغفر الله له ذنوبه، وكتب له بكل لقمة يأكلها ضيفه ثواب حجةٍ وعمرة مقبولة، وبنى له مدينة في الجنة. ومن أكرم ضيفه فكأنما أكرم سبعين نبياً، وكتب له ثواب ألف شهيد/ قرب الإسناد ٥٠. وقال النبي «صلّى الله عليه وآله»: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»/ البحار ٧٢/ ٤٦٠ ح ١٤ باب ٩٣. وفي الخبر: «لذة الكرام في الإطعام ولذة اللئام في الطعام». وقال علي عليه السلام: «إني أُحبّ من دنياكم ثلاثة: إكرام الضيف، والصوم في الصيف، والضرب بالسيف». فالإكرام فرع من فروع السخاء، وقد قال الله تعالى: «يابن آدم كن سخياً، فإن السخاء من حسن اليقين، والسخاء من الإيمان، والإيمان في الجنة. يابن آدم! إيّاك والبخل، فإن البخل من الكفر، والكفر في النار». وفي كتاب عوالم العلوم: رُئي أمير المؤمنين عليه السلام حزيناً، فقيل له: ممَّ حزنك؟ قال: لسبعٍ أتت لم يضف إلينا ضيف. / البحار ٤١ / ٢٨ ح ١ باب ١٠٢.

الحسن والجمال وشدة العفاف وصبرها على خدمة ضيوف إبراهيم الخليل عليه السلام ورضاه عنها وامتثالها أمر الله سبحانه واقترانها بزوجٍ عظيم يأتي في الفضل بعد رسول الله (وآلهِ) في سلسلة الأنبياء والمرسلين(١).

مقامات سارة عليها السلام تتلاشى أمام الزهراء عليها السلام ومقاماتها

هذه مقامات سارة عليها السلام، ولكن بمقارنتها بمقامات ومكانة فاطمة عليها السلام تتلاشى وعليه فلتأمّل ببعض مقامات الزهراء عليها السلام:

- فاطمة الطاهرة المرضية تزوّجت من أمير المؤمنين، وكان الخليل من شيعته المخلصين كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصَّافات: ٨٣] ولطالما توسّل به وبعترته الطاهرين في الشدائد، فاطمأن قلبه، وخصوصاً حينما أُلقي في النار.
- كانت سارة بنت نبيٍّ ولها قرابة قريبة من إبراهيم عليه السلام، وفي ذلك فضل كبير، وفاطمة عليها السلام أيضاً من بنات الأنبياء، ولكن لم يكن فيهن من كان لها نسب فاطمة في الفخامة، حيث أنّها بنت نبيّ آخر الزمان، وكانت قرابتها من أمير المؤمنين أقرب من قرابة سارة من إبراهيم.
- وأما في الحسن والجمال، فإن في الروايات دلالةً صريحةً على أن

(١) بيان غَيرة وحسد سارة لهاجر!!!: نعم، إن ما روي في كتب التفاسير والمناقب عن غيرة سارة وحسدها فهو من مقتضيات الطبيعة البشرية، وهي ليست معصومة، وقد ابتلي نظائرها وأترابها أيضاً بهذا البلاء، كحوّاء حينما حسدت فاطمة الزهراء عليها السلام وما فعلته سارة مع هاجر كان من هذا الباب!!!

نساء العالمين طراً لا يدانين تلك المحجوبة الكبرى في المحاسن الصورية والمعنوية، ولا في مكارم الأخلاق الظاهرية والباطنية.

- وأما بشارة سارة بولادة إسحاق عليه السلام، كما بشّرت إيشاع أم يحيى بيحيى، وبشرت مريم بعيسى، فإن فاطمة الزهراء عليها السلام - أيضاً - بشرت بالحسنين، وفي الحديث «إن النبي بشرها عند ولادة كلٍّ منهما»، فقال لها «ليهنئك أن ولدت إماماً يسود أهل الجنة» وأكمل الله ذلك في عقبها(١).
- وقد ولد من صلب إسحاق أنبياء عظام، وولد من صلب سيد الشهداء - ابن فاطمة الزهراء - أئمة الهدى عليهم السلام وهم المقصودون بـ «الكلمة الباقية» صلوات الله وسلامه عليهم.
- وأما حسن معاشرتها وصبرها على خدمة ضيوف الخليل وحبها لهم واسترضاؤها لإبراهيم الحاكي عن رضا الله سبحانه، فكلّ ذلك لا يبلغ عشراً من أعشار ما كان لفاطمة.

وعلى ما هو المعلوم فإنّ أعلى درجات السخاء الإيثار، وهو بذل الشئ المحبوب للغير مع شدّة الحاجة إليه، وبعبارة أخرى: أن تجوع أنت وتشبع جائعاً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: ٩] في الآية النازلة فيها عليها السلام.

روى الكراجكي في كنز الفوائد، والشيخ عبد الله بن نور الله في عوالم العلوم... قال: إنّ رجلاً جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى بيوت

(١) بحار الأنوار ٤٣ / ٤٨ ح ٤٦ باب ٣.

أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا الماء، فقال (صلّى الله عليه وآله): من لهذا الرجل الليلة؟ فقال علي بن أبي طالب: أنا يا رسول الله، فأتى فاطمة عليها السلام فأعلمها، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، ولكنا نؤثر به ضيفنا، فقال عليه السلام: نومي الصبية وأطفئي السراج، فلما أصبح غداً على رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: ٩][(١)].

- أضف إلى ذلك حضور سارة عند ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام وفي أوقات أخرى لخدمتها. هذا في الدنيا، وستلتزم تلك السيدة المكرمة مع عدة آلاف من الحور العين والملائكة المقربين خدمة سيدة نساء العالمين يوم القيامة منذ زمن الشفاعة حتى دخول الجنة.
- وروي في أخبار كثيرة أنها تشارك فاطمة الزهراء عليها السلام في تربية أطفال هذه الأمة في الجنة.

وكل تلك الأخبار تدل على علو قدرها وعظمة مقامها.

وإن في نسبتها إلى أهل بيت العصمة والطهارة وقبولها لخدمتهم وإدراكها لصحبتهم كفايةً، وهذا شرف فوق شرفٍ وفضل فوق فضلٍ، فلها غاية المنى والدرجة العليا في الآخرة والأولى، فعليها وعلى سيدتها ومولاتها شرائف التسليمات أزكاها، ونوامي البركات والتحيات أسناها.

ثالثاً: خاتون آسية بنت مزاحم امرأة فرعون

وأمّا آسية بنت مزاحم، فهي سيدة من سيدات نساء الجنان، وامرأة

---

(١) البحار ٣٦ / ٥٩ ح ١ باب ٣٦ عن كنز الفوائد.

فريدة بين النسوان، وكانت غايةً في قوة الجنان وصلابة الإيمان، وهي من النساء الممدوحات في القرآن، وقد أعطاها الله الحرمة بين نساء العالمين، وذكرها النبيّ مراراً مترحماً عليها برأفة، وذكر حسن عقيدتها واستقامة إيمانها، ومعرفتها وثباتها في الدين، وإعراضها عن الكفرة والمشركين.

روى الشعبي عن جابر... عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله» قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون[(١)].

قال المجلسي: وفي رواية مقاتل والضحاك وعكرمة عن ابن عباس: «وأفضلهن فاطمة»[(٢)].

بداية ظهور آثار الإيمان والإسلام على آسية

إن بداية ظهور آثار الإيمان والإسلام على آسية كانت من التأييدات السبحانيّة؛ لأنها تشرفت بخدمة موسى بن عمران عليه السلام حينما رأته في بحر «قلزم» فتراكضت هي وجواريها، والتقطته من بين الشجر والماء، ولذا سمته «موسى»، وهو مركب من اسمين بالقبطية، فـ«مو» هو الماء، و«سى» الشجر[(٣)]، فلما فتحت التابوت رأت رضيعاً وجهه كالبدر أجمل الناس وأصبحهم، فوقعت عليها منه محبة في قلبها فوضعته في حجرها

(١) بحار الأنوار ١٤ / ١٩٥ ح ٢ باب ١٦ عن الثعلبي.
(٢) بحار الأنوار ٤٣ / ٣٦ ح ٣٩ باب ٣.
(٣) البحار ١٣ / ٤ باب ١.

وقالت: هذا ابني، فصدّقتها جواريها على ما رأت من بهاء طلعته والنور الذي في جبهته، وقلن: إي والله أي سيدتنا مالك ولد ولا للملك، فاتخذي هذا ولداً، وكانت قد حرمت من الأولاد الذكور، فقالت: هو ابني، فغسلته وألبسته أفخر الثياب وحملته بحفاوة وشغف إلى بعلها فرعون،وشرحت له حاله.

وهكذا هي يد القدرة الإلهية وحكمة الحضرة الأحدية، حيث جعل أفضل أحبّائه يكبر عند أسوأ أعدائه، ولذا لما ظهرت الآية العظمى وتجلت اليد البيضاء، قال فرعون لموسى: (ألم نربك فينا وليداً وفعلت فعلتك التي فعلت...) فبلّغه موسى عليه السلام بالأمر الإلهيّ، ودعاه للإقرار بربوبية خلاق السماوات والأرض فلم ينفعه البلاغ، فحزن موسى لخسران ذاك الجهول الجحود وخذلانه، فعوقب في الدنيا وله في الآخرة عذاب أليم.

آسية خاتون مثال في ثبات الإيمان وحسن المآل

كانت آسية خاتون مثالاً في ثبات الإيمان وحسن المآل، وقد منعت من قتل ذاك النبي المعظم، ورعته وربته في بيت الشرك والكفر، وبعد أن ظهرت الآيات التسع والكرامات المتتالية سوى الآيتين العظيمتين، العصا واليد البيضاء، آمنت به سبعون قبيلةً من الأقباط، وأذعنوا بعبوديتهم لرب الأرباب، فغضب فرعون فعذبهم عذاباً شديداً، رجالاً ونساء، وسمر أيديهم وأرجلهم بمسامير وأوتادٍ من حديد، ولذا ذُكِرَ في القرآن ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ١٠] وحكم على النساء بأن تكبل

أرجلهن بالقيود ويساق بهن ليصعدن على سلم مبني بالطين والحجر والآجر إلى أعالي القصر، فمنهن من تسقط فتموت، ومنهن من يعذبن بعذاب مثل هذا العذاب، ولو راجعت التفاسير وكتب السير لعرفت ما فعله هذا المخلوق العاجز الطاغي الباغي على الله!! وكان مما فعله هذا الطاغي أيضاً أنه قتل سبعين من السحرة الذين هددهم ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٤] ولهؤلاء المؤمنين الراسخين في الإيمان قصة مملوءة بالغصص(١).

والعجيب في أمر آسية أنها كانت تكتم إيمانها في هذه المدة المديدة، وهي عند فرعون، تعيش معه كزوجة تألفه وتؤانسه، فلمّا علم بإيمانها استشاط غضباً وأخذ يصرخ كالمجانين ويتلوى، وكلما أصر عليها أن تقر بربوبيته رفضت وبقيت ثابتةً على إيمانها بالله، وتمسكها بالشريعة الموسوية، فدعى قصاباً - كما في بعض التواريخ المعتبرة - وأمره أن يقطع رأسها أمامه ويسلخ جلدها، فلما شرع القصاب فزع سكان العالم الأعلى ورقوا لآسية وسألوا الله لها النجاة، فجاءهم النداء من ذي الجلال: إنّ آسية أمتي وقد اشتاقت لمولاها، انظروا ماذا تقول في ساعة احتضارها، وقد استمع الملأ الأعلى لها وهي تقول: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التّحْريم: ١١](٢).

---

(١) بحار الأنوار ١٣ / ٧٨ باب ٤.

(٢) روى الثعلبي في العرائس: عن ابن عباس قال: أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها لتدخل في دينه، فمر بها موسى وهو يعذبها، فشكت إليه بإصبعها، فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب، فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألماً إلى أن ماتت في عذاب فرعون، فقالت وهي في العذاب: رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ... الآية،

ثم قال الملائكة مرةً أخرى: عجبا من آسية، تطلب «بيتاً» من الله ولا تطلب شيئاً آخر وهي في ساحة المجد الكبريائي الرباني، تطلب بيتاً فقط أجراً لصبرها؟!

فقال الله تعالى: إنها طلبت شيئاً عظيماً، لأنها قالت ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا﴾ فهي تطلب جواري، وقد بنيته لها(١).

وقدم صدقها وثبات قدمها وسابقتها الحسنى في الإيمان بالله وبكليم الله خير شاهد على حالها الذي أدى بها إلى ورود الساحة القدسية، والقعود على بساط العزة الإلهية، ومجاورة الحضرة الرحمانية.

صلابة ايمانها

والحق أن هذه المرأة كانت فريدةً في إيمانها الراسخ، وإسلامها القويم، وثباتها في الدين، وصبرها في البلاد، ومحبتها لحبيب الله، . . . وفي الحديث: إن فرعون كان راضياً بأن يعطي كل ما يملك على أن يصرف آسية عن الطريق القويم والنهج المستقيم، فلم يفلح لأنها

فأوحى الله إليها: أن ارفعي رأسك، ففعلت فرأت البيت في الجنة من در، فضحكت فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الذي بها، تضحك وهي في العذاب/ قصص الأنبياء للثعلبي: ١٨٨، البحار ١٣ / ١٦٤ ح ٦ باب ٥ عن العرائس.

(١) قال بعض أهل الفطنة وأرباب الذوق: لماذا طلبت آسية «بيتاً» ولم تطلب «داراً»؟ قالوا: لأن البيت محل لخلوة الحبيب بحبيبه، البيت موضع أمين لعرض الحال وكشف الأسرار، وهو أولى من الدار لرعايته مع ملاحظة الأدب والحشمة والحياء والحجاب، ثم إن آسية أرادت الجوار أولاً ثم الدار، وكان لها عند ربها قدم صدقٍ وكفى.

رفضته وأعرضت عن الدنيا بتمامها، وفدت نفسها لموسى عليه السلام، وأرجعت نفسها المطمئنة راضيةً مرضيةً إلى عالم الأنس وحضيرة القدس بإيمانها بالله ورسوله، هذا الإيمان الذي صرفها عن الدنيا ومنعها عما سوى الله.

بين صلابة ايمان فاطمة عليها السلام وآسيا خاتون عليها الرحمة

في بحار الأنوار عن النبي «صلّى الله عليه وآله» قال: «إشتاقت الجنة إلى أربع من النساء: مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون، وهي زوجة النبي «صلّى الله عليه وآله» في الجنة، وخديجة بنت خويلد زوجة النبي «صلّى الله عليه وآله» في الدنيا والآخرة، وفاطمة بنت محمد «صلّى الله عليه وآله»[(١)].

ونحن نعلم أن الجنة خاصة بأهل الإيمان، وأنها لا تشتاق إلا إلى الكمّل من المؤمنين، فينتج من هذا الحديث النبوي «صلّى الله عليه وآله» الشريف أن آسية كانت ذات إيمان كامل.

ويمكن أن يقال: إن تلك المكرمة المحترمة انتقلت من مرتبة «علم اليقين» إلى مرتبة «عين اليقين» فأكملت إيمانها هنا، ثم انتقلت إلى عالم الشهود وسارت في هذا المقام إلى منتهاه، ويكفيها فخراً أنها كانت سباقة إلى التوحيد في مدةٍ مديدةٍ من زمان موسى عليه السلام، حيث وحدت

(١) البحار ٤٣ / ٥٣ ح ٤٨ باب ٣.

الخلاق ولا موحد غيرها في الرجال والنساء، والأعجب من ذلك كتمانها إيمانها عن فرعون، حتى اقتضت الحكمة كشف الحجاب ورفع النقاب وإفشاء السر المكنون. فدعيت - عند ذلك - إلى العالم الأعلى بدعوة ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ [العَلق: ٨].

مرتبة حق اليقين لفاطمة عليها السلام دون غيرها من النساء الكاملات

وأمّا المرتبة الأخيرة فهي عالم حق اليقين، وهو بحر لا ينفد، وعالم مجهول لا يعرف، وهو معنى الفناء في الله، الخاص بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء «سلام الله عليها»، وهو مقام لم يحصل، ولن يحصل لسواها من النساء، وعلامة هذا المقام المنيع والقدر الرفيع إعراضها عن الدنيا والعقبى، وتوجهها التام إلى ساحة حضرة العليّ الأعلى. ولو أنعمنا النظر بعين البصيرة لانكشف لنا حقيقة هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعَام: ٧٩]. وقال علي بن الحسين عليهما السلام: «إني أقبلت بكلي إليك».

ونعم ما قيل:

إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم
جعلت اشتغالي فيك يا منتهى شغلي

وكيف لا تكون فاطمة الزهراء كذلك وأبوها يقول: «إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها» كما في الحديث عن الباقر عليه السلام قال: بعث رسول الله «صلّى الله عليه وآله» سلمان إلى فاطمة

قال: فوقفت بالباب وقفةً حتى سلمت، فسمعت فاطمة تقرأ القرآن من جوّاً والرحى يدور من برّاً، وما عندها(١) أنيس(٢).

وببيان آخر: قلنا: إن علامة الإيمان في المؤمن اقترانه بالعمل، وقد عبر الحديث بقوله: «العمل بالأركان» ولهذه العظام العظيمة مدخلية في التذلل والعبادة وإطاعة الرب، خصوصاً في أداء الفرائض والأعمال البدنية الأخرى.

وقد أدت فاطمة الزهراء عليها السلام حق كل عضو من أعضائها بنحو الكمال، خلافاً لأهل المعصية الذين يمكنهم أن يقولوا «إلهي عصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها عليّ»(٣). وكانت تلك المخدرة مستغرقة في الطاعات والتوجه إلى الحضرة الإلهية، لا تفرغ جوارحها من العبادة كما قال علي بن الحسين عليهما السلام: «شهد بها شعري وبشري ومخي وعظامي ولحمي... »(٤) ولذا كانت تزداد في كمالاتها الإيمانية آنا بعد آن، وزماناً بعد زمان، فإذا صار العبد كذلك وارتبط بمولاه الحقيقي ارتباطاً معنوياً واتصل به اتصالا روحانياً، صدق حينئذ في حقه

(١) وفي الحديث ثلاث فضائل لفاطمة عليها السلام: الأولى: أنّ الله كفاها أمر دنياها وآخرتها، وهو الكافي. الثانية: أمر جبرئيل بخدمتها. الثالثة: إحاطة الإيمان بتمام أعضاء بدنها الشريف من أصول العظام وغيرها بنحو الهاجم والتراكم، بحيث تمر من القلب والجوارح وتترسخ في عظام بدنها وتنفذ فيها...

(٢) وقال في آخر الخبر: فتبسم رسول الله «صلّى الله عليه وآله» وقال: يا سلمان! إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها، تفرغت لطاعة الله، فبعث الله ملكاً اسمه زوقابيل - وفي خبر آخر: جبرئيل - فأدار لها الرحى، وكفاها الله مؤنة الدنيا مع مؤنة الآخرة / البحار: ٤٣ / ٤٦ ح ٤٤ باب ٣ عن المناقب.

(٣) البحار ٩٨ / ٢٨٤ ح ٤ باب ٢.

(٤) البحار ٩٧ / ٢٠٩ ح ٥ باب ١.

الحديث القدسي: «إذا تقرب عبدي إلي بالنوافل، أحببته فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها...»[١].

فنقول: إن الإيمان الكامل للفرد يتحقق بالإتيان بتمام ما جاء به النبي «صلّى الله عليه وآله» وهو الدين الخالص، والكامل في هذا الإيمان الخالص ينال مقام حق اليقين، ويتمحض في إطاعة أوامر وأحكام الخلاق المبين، وليس هذا الشخص الكامل في الإيمان إلا فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها أجمعين.

أقول: إن مثال العصمة الكبرى هي فاطمة الزهراء بنت نبي الرحمة، وقرينة سلطان الولاية، ولازم الإيمان الكامل الثبات والدوام على العقيدة.

وقد مر سابقاً أن آسية اجتهدت في سبيل الإسلام والإيمان غاية الاجتهاد، وتحملت الصعاب، وقدمت روحها فداء واستشهدت في سبيل الله، والعاقبة أنها نالت أجر همتها العالية، فرفع الله عن نظرها الحجاب، فرأت منزلها في الجنة، وهذا معنى ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١١٠]، ولكن تبقى الدرجة الرفيعة لفاطمة الشفيعة أعلى وأفضل من مقام آسية لأنها أدركت سعادة الشهادة، قال الإمام عليه السلام «إنها ماتت شهيدةً»[٢]، ولأنها لم تتمنّ على الله عند رحلتها في اليوم الأخير من عمرها حوراً وقصوراً وولداناً وغلماناً وجناناً، ما تمنت شيئاً من ذلك، وإنما تمنت جوار أبيها سيد الرسل.

(١) البحار ٧٥ / ١٥٥ ح ٢٥ باب ٥٧ باختلاف يسير.
(٢) انظر البحار: ٤٣ / ١٩٨ ح ٢٩ باب ٧.

وحينما وهبت ثوبها ليلة الزفاف إلى الفقير السائل نزل جبرئيل وقال: فلتسأل فاطمة من العلي الأعلى ما تشاء، حتى لو كان ما في الخضراء والغبراء، فقالت عليها السلام: «شغلتني لذة خدمتي عن مسألتي إياه، وما أريد إلا النظر إلى وجهه الكريم».

أنظر إلى علو همتها وبعد نظرها عليها السلام، حيث لم ترد من الله إلا الله، فأظهرت الشوق للقاء الرب، وحصرت رجاءها الواثق بلقاء جمال ذي الجلال والحضرة النبوية المقدسة، «فعليك بالله ودع ما سواه».

الموضوع السابع والعشرون

شذرات من حياة الزهراء عليها السلام

قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحجّ: ٣٢].

يقول العلامة الشيرازي دامت بركاته في الامثل[1]: «الشعائر» جمع «شعيرة» بمعنى العلامة والدليل، وعلى هذا فالشعائر تعني علامات الله وأدلّته، وهي تضمّ عناوين لأحكامه وتعاليمه العامّة... ويمكن القول: إنّ شعائر الله تشمل جميع الأعمال الدينيّة التي تذكّر الإنسان بالله سبحانه وتعالى وعظمته، وإنّ إقامة هذه الأعمال دليل على تقوى القلوب.

... وحقيقة التعظيم تعني تسامي مكانة هذه الشعائر في عقول الناس وبواطنهم، وأن يؤدّوا ما تستحقّه هذه الشعائر من تعظيم واحترام.

من مصاديق اقامة الشعائر

ومن مصاديق إقامة الشعائر الاجتماع والتلاقي والتحدث عن مقامات أهل البيت عليهم السلام وعن علومهم وسيرتهم... وهذا ما وضّحوه لنا وفي روايات عديدة ومنها:

(١) تفسير الأمثل الآية ٣٢ من سورة الحج.

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لفضيل: تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيى أمرنا يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر(١).
- عن الهرويّ قال: سمعت أبا الحسن عليّاً بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيى أمرنا فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا(٢).

ثمرة اقامة الشعائر:

١ - تذكير الإنسان بالله سبحانه وتعالى وعظمته.

٢ - بيان علوم وسيرة أهل البيت عليهم السلام من أجل الاقتداء بهم. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [المُمتَحنَة: ٦].

٣ - إبراز مظلومية النبي وآله عليه و«عليهم السلام».

٤ - الثواب العظيم قال الإمام الصادق عليه السلام ... يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر(٣).

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٧١ / ص٣٥١.
(٢) المصدر - ج ٢ / ص٣٠.
(٣) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٧١ / ص٣٥١.

أولاً: مواصفات الشيعة على لسان الزهراء عليها السلام:

عن الإمام الحسن العسكري قال عليه السلام: قال رجلٌ لامرأته: إذهبي إلى فاطمة عليها السلام بنت رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فسليها عني: أنا من شيعتكم أو لست من شيعتكم؟ فسألتها، فقالت عليها السلام: «قولي له: إن كنت تعمل بما أمرناك وتنتهي عما زجرناك عنه، فأنت من شيعتنا وإلا فلا».

فرجعت فأخبرته، فقال: يا ويلي ومن ينفك من الذنوب والخطايا؟ فأنا إذن خالد في النار، فإن من ليس من شيعتهم فهو خالد في النار!

فرجعت المرأة فقالت لفاطمة عليها السلام ما قال زوجها.

فقالت فاطمة عليها السلام قولي له: «ليس هكذا فإن شيعتنا من خيار أهل الجنة، وكل محبينا وموالي أوليائنا ومعادي اعدائنا، والمسلم بقلبه ولسانه لنا ليسوا من شيعتنا إذا خالفوا أوامرنا ونواهينا في سائر الموبقات، وهم مع ذلك في الجنة، ولكن بعد ما يطهرون من ذنوبهم بالبلايا والرزايا أو في عرصات القيامة بأنواع شدائدها، أو في الطبق الأعلى من جهنم بعذابها، إلى أن نستنقذهم بحبنا منها وننقلهم إلى حضرتنا»(١).

(١) تفسير الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: ص٣٠٨.

شهوات اللسان(١)

وهنا أغتنم هذه اللحظات لتذكير نفسي وعامّة المؤمنين تباعا لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذّاريَات: ٥٥] ببعض الموبقات الأخلاقية والتي لا يحقُّ لنا الدخول إلى الجنة إلا بعد أن نطهر منها... أحياناً بالعذاب... وأحياناً اخرى بالشراب الطهور قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسَان: ٢١].

ومن أجل معرفة ذلك سأعرضُ عليكم بعض ما جاء في (سياحة في الغرب) وهي عبارة عن تصوير الرحلة الإنسانية من الدنيا إلى الاخرة... وكيف يمر الإنسان في أراضي بعض الذنوب الأخلاقية... وخصوصاً: أرض شهوات اللسان.

«قال الهادي(٢): ... بانتهاء النهار سوف نترك أرض الشهوات ومسيرنا اليوم سيكون في أرض الشهوات التي تخصّ اللسان، ولكنّ البلايا والمصائب اليوم ليست أخفّ ممّا رأيناه في اليوم الأوّل في أرض شهوات الفروج. هذه أرض جافّة لا ماء فيها، فلا بدّ من حمل الماء معنا على الفرس، بينما تسير أنت راجلاً قدر الإمكان، احمل معك الترس فله أهمّيته اليوم».

فسألته: «ما هذا الترس؟».

فقال: «إنّه مصنوع من الصوم ومن تحمّل الجوع والعطش، وهو الذي حفظك من شهوات الفروج: فإنّ الصوم جُنّة من النار، كما أنّه وِجاء من الشهوة».

---

(١) مسير الأرواح بعد الموت أو سياحة في الغرب.
(٢) الهادي: يمثل في الرحلة عمل الانسان ورفيق دربه ليأخذ بيده الى الصلاح والفلاح.

مع الهمّازين اللمّازين

واصَلْنا سيرنا، وإذا بجهل[١] يظهر مرّةً أُخرى، فصرخت فيه: «إبتعد عنّي أيّها الملعون».

فقال: «إبتعد أنت عنّي».

فابتعدتُ عنه بضع خطواتٍ سائراً برفقة الهادي، وكان جهل يسير على جهة اليسار، وعلى جانبَي الطريق كانت هناك حيوانات مختلفة، كالكلاب والذئاب والثعالب والقرود، وبألوانٍ مختلفة، كالأصفر والأزرق، وكانت هناك أيضاً عقارب وزنابير وحيّات وفئران، وكان معظمها في حالة عراك فيما بينها، يفترس بعضها بعضاً، وينهش بعضها بعضاً، وكانت النار تخرج من أفواه بعضهم وآذانهم، وكان يظهر أحيانا سراب فيركض الجميع نحوه ظنّاً منهم أنّه ماء، ثمّ يعودون خائبين. كان بعضهم منهمكاً في التهام الجِيَف، بينما كان بعض في أعماق آبار يخرج منها دخان الكبريت ولهيب النار.

سألت الهادي: «من هؤلاء الذين يسكنون في هذه الآبار؟».

فقال: «هؤلاء هم الذين كانوا يسخرون من المؤمنين، ويستهزئون بهم ويترفّعون عليهم قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة: ١].

- أمّا الذين يأكلون الجيف فهم الذين كانوا يغتابون.
- والذين تخرج النار من آذانهم هم الذين كانوا يستمعون إلى الغيبة.

---

(١) جهل: يمثل عمل الإنسان الطالح في دار الدنيا وهو رفيق الإنسان في رحلته من أجل إيقاعه في المزالق والمهالك.

- والذين يتقاتلون من الكلاب والهررة والذئاب هم السبّابون والشتّامون.
- وأمّا الذين تراهم اصفرّت وجوههم فهم المتلوّنون النمّامون الكذّابون».

ثانياً: عطفها وحنانها حتى لُقِّبت بأم ابيها:

عن أبي جعفر بن محمدٍ، عن أبيه عليهما السلام أن فاطمة عليها السلام كانت تكنى أم أبيها[1].

سؤال: ما وجه تسمية الزهراء «سلام الله عليها» بأم أبيها؟

الجواب: لعلّ وجه تسميتها بأمّ أبيها هو أنّه «صلّى الله عليه وآله» يعاملها عليها السلام معاملة الولد أمه، وأنّها تعامله معاملة الأم ولدها.

عن عائشة «كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذها بيدها وقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها»[2]

وإذا أراد سفراً أو غزوة كان «صلّى الله عليه وآله» آخر الناس عهداً بفاطمة عليها السلام، وإذا قدم كان «صلّى الله عليه وآله» أول الناس عهداً بفاطمة عليها السلام، وكان «صلّى الله عليه وآله» لا ينام حتى يقبّل عرض وجهها... ويدعو لها.

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص١٩.
(٢) وهذه الرواية نقلها الترمذي في سننه ج٥ ص٧٠٠ والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٦٠.

وكأنه يتزود من هذا النبع الصافي لسفره كما يتزود الولد المؤدب من أمّه.

ومن جهةٍ أخرى إن فاطمة الزهراء عليها السلام تحتضنه وتضمد جروحه وتخفف من آلامه كالأم المشفقة على ولدها، وبالجملة كل ما يجده الولد في أمه من العطف والرقة والشفقة والأنس فهو «صلّى الله عليه وآله» يجده في فاطمة وكأنها أمه.

عظمة برّ الوالدين تورث حُبّ ورعاية الإمام الحسين عليه السلام

... كان في كربلاء المقدسة... عالمٌ تقي زاهد اسمه السيد حسن جناب ويسكن منطقة باب الطاق ويُعرف بأنه من أولياء الله.

يكتب هذا السيد في مذكراته أمراً مفاده أنه ذات ليلةٍ كان عند ضريح الحسين عليه السلام فشاهد شاباً سلم على الحسين عليه السلام وسمع الجواب (وعليك السلام) ولكن السيد كان في ترددٍ هل أنها حقيقة أو ربما تخيّل.

ومكنّه شاهده مرةً أخرى فلاحقه وما أن وقف الشاب وسلم حتى سمع السيد بنفسه الجواب (وعليك السلام). يقول السيد تبعت هذا الشاب حتى وصل بيته فسلمت عليه عند الباب وقلتُ له: بُني أبارك لك موقعك عند مولاي الحسين عليه السلام وإني سمعته مرتين يجيبك بوضوحٍ، فما الذي فعلته حتى حصل لك هذا المقام؟ فتبسم وسألني: وهل أنك حينما تزور لا يرد عليك؟ قلت: لا والله. ثم أصررت عليه: ماذا تفعل يا بني؟ فقال: تمهل وفتح الباب وأدخلني إلى البيت فشاهدت عجوزاً مسجاة ورجلاً مسناً قد تكورت عظامه. فقال: إنّ هذا أبي وهذه أمّي. وإنّهما عاجزان عن الحركة وأنا ولدهما الوحيد وقد قسّمت حملهما

لزيارة الحسين عليه السلام ، فليلة جمعةٍ أذهب بأبي على ظهري ليزور الحسين عليه السلام ويلثم الضريح، وفي الجمعة التي بعدها أحمل أمي على ظهري وأفعل ذلك. لكن حصلت لي صدفة وهي أن ليلة الجمعة صادفت ليلة النصف من شعبان وكانت تلك الليلة حصة الوالد فحملته على ظهري وطفت به الضريح وزار الحسين عليه السلام وعدتُ إلى البيت، لكني شاهدتُ أمّي تتحسّر ولا تقول شيئاً وكانت تعلم أنها ليلة النصف من شعبان، إلا أنها كانت محرجة لما تراه من آثار التعب عليَّ فسألتها: أماه عندك مطلب؟ فقالت: لا. واشتد بكاؤها وعلمتُ أنها راغبة جدّاً بزيارة الحسين عليه السلام لكنها تتجنب أن أُصاب بتعب وعناء يقول هذا الفتى للسيد: حملتها على ظهري وطفت بها الضريح وزارت وهي فرحة وعدتُ بها إلى البيت فبعد ذلك أصبحت كلما أزور الحسين عليه السلام وأسلم أسمع الحسين عليه السلام يردّ عليَّ السلام. فدعا له السيد بزيادة التوفيق وقدّم له التهاني.

قال «صلّى الله عليه وآله»: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»[1].

ثالثاً: زهدها عليها السلام ...

ويتبين من خلال الحادثة التالية وهي تحت عنوان (الزهراء عليها السلام على خطى أبيها «صلّى الله عليه وآله»)[2].

---

(١) بحار الأنوار – العلّامة المجلسي – ج ١٦ / ص٩٥.

(٢) سيرة الزهراء عليها السلام لآية الله العظمى السيد عبد الحسين دستغيب، منشورات دليل ما، ط٢، ١٤٢٩هـ، ص٩٩، وينظر إحقاق الحق وإزهاق الباطل للعلّامة الشهيد نور الله التستري، ج١٠، ص٤٠١.

إشترى الرسول «صلّى الله عليه وآله» ثوباً عند زواجها وقد لبسته عند زفافها وفي الطريق جاء سائل وطلب منها ثوباً فخلعت ثوبها الجديد وأعطته اياه ولبست ثوبها القديم وفي الغد جاء الرسول «صلّى الله عليه وآله» فلم يجد الثوب فسألها عما جرى فأخبرته فقال لها: ولماذا لم تعطي ثوبك القديم فأجابت: يا أبت حين جاء سائل أعطيته ثوبك الوحيد وتلفعت بالحصير فاردت أن أقلدك قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٢١] وفي رواية أخرى قالت أردت أن أعمل بقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٢].

وهذا ما نجده واضحاً في دعاء الندبة، فلنقرأ هذا المقطع (. . . إِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزيلَ ما عِنْدَكَ مِنَ النَّعيمِ الْمُقيمِ الَّذي لا زَوالَ لَهُ وَلَا اضْمِحْلالَ بَعْدَ اَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فى دَرَجاتِ هذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِها وَزِبْرِجِها فَشَرَطُوا لَكَ ذلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفاَّءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَالثَّناَّءَ الْجَلِيَّ).

تكريم الزهراء عليها السلام إثر تلك الصدقة

وعندها هبط جبرئيل عليه السلام وقال للرسول «صلّى الله عليه وآله»: الله يقرئُك السلام والزهراء عليها السلام ويقول: سنعطيها ما تريد.

ولعله سؤال يقفز إلى الذهن: وهل يستحقّ التصدق بالثوب كلّ هذا العطاء؟

الجواب:

١ - التكريم الالهي لا حدود له قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: ٥٣] وقال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وهذا أيضاً أدبُ أهل البيت عليهم السلام. وفي هذا الباب ننقل لكم هذه الواقعة وتحت عنوان (هكذا أدّبنا الله سبحانه)... إنّ ردّ الإحسان بما هو أحسن، ديدن(١) أئمتنا عليهم السلام وقد نقلت عنهم بعض هذه الصور، ومنها: قال أنس: كنت عند الحسين عليه السلام، فدخلت عليه جارية فحيّته بطاقة ريحان، فقال لها: أنت حرة لوجه الله تعالى. فقلت: تجيئك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها؟!. قال: كذا أدبنا الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النِّساء: ٨٦]، وكان أحسن منها عتقها(٢).

٢ - ومن جانبٍ آخر إن العطاء الإلهيّ مرتبطٌ بنية المتصدق والمنفق فكلّما كانت النيّة صادقة كان العطاء اوسع والزهراء عليها السلام ما كانت ترجو شيئاً لنفسها... بل تسعى جاهدةً لإرضاء ربّها سبحانه، نعم هم كانوا كما وصفهم (سبحانه وتعالى) بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: ٩].

---

(١) جنى غلام له جناية توجب العقاب عليه فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤] قال: خلوا عنه، فقال: يا مولاي ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤] قال: قد عفوت عنك، قال: يا مولاي ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤] قال: أنت حر لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك/ بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٤/ ص١٩٥.

(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٤ / ص١٩٥.

إذن سرّ العطاء الإلهي النية الصادقة والإخلاص في العمل ولهذا قال سبحانه: ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ﴾ [الأعرَاف: ٢٩].

وورد في الاثر(١):

- عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله» مخبراً عن جبرئيل عن الله عزَّ وجلَّ أنه قال: الإخلاص سر من أسراري، استودعته قلب من أحببت من عبادي.
- وعنه «صلّى الله عليه وآله»: بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين.
- وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ولابد للعبد من خالص النيّة في كل حركة وسكون، إذ لو لم يكن بهذا المعنى يكون غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله بقوله: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعرَاف: ١٧٩].

دعاء الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ لشيعتها(٢)

قالت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ لأبيها رسول الله: لا أريد سوى خدمته ودوام رحمته في دار السلام. فقال الرسول: أنا أرفع يدي فارفعي أنت يديك، ودعا: اللّهم اغفر لأمتي وقالت الزهراء آمين، فنزل الوحي وقال:

(١) ميزان الحكمة: باب الاخلاص.
(٢) سيرة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ لآية الله العظمى السيد عبد الحسين دستغيب، منشورات دليل ما، ط «صلّى الله عليه وآله».، ١٤٢٩هـ، ص١٠٠.

أبشرك بأن الله غفر لمحبي الزهراء ومحبي ذريتها، قالت الزهراء أطلبُ من الله سجلاً بخصوص هذا الأمر، فجأةً نزلت قطعة من الحرير كتبت عليها بقلم القدرة هذه الآية الشريفة ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعَام: ٥٤] فقال الرسول «صلّى الله عليه وآله»: عي هذه في كفنك.

وأوصت الزهراءُ علياً ﷺ بأن يضع هذه القطعة في كفنها وقالت: في يوم القيامة وحين تمتد السنة النيران فسأخرج هذا السجل لأنقذ محبي بواسطته.

ولكنّ **السؤال هو**: كيف توفيت الزهراء ﷺ؟

الجواب: يحدّثنا التأريخ والروايات... بأنها ماتت عليلة نحيفةً بسبب الأحداث التي جرت والمصائب بعد شهادة النبيّ «صلّى الله عليه وآله»... وهذا ما حدّثنا به أمير المؤمنين ﷺ عند دفن الزهراء ﷺ. قال ﷺ:

عن أبي عبد الله الحسين بن علي ﷺ قال: لما قبضت فاطمة ﷺ دفنها أمير المؤمنين سرّاً وعفّى على موضع قبرها، ثم قام فحول وجهه إلى قبر رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فقال: السلام عليك يا رسول الله عني والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلُّدي، إلا أن لي في التأسي بسنتك في فرقتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت نفسك بين نحري وصدري، بلى وفي كتاب الله [لي] أنعم القبول، إنا لله وإنّا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة واخلست

الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد وهم لا يبرح من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج[١] سرعان ما فرق بيننا وإلى الله أشكو وستنبئك ابنتك بتظافر امتك على هضمها فأحفها السؤال[٢] واستخبرها الحال، فكم من غليل[٣] معتلج[٤] بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

سلام مودع لا قال ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أُقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، واه واها والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً ولعوّلت إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سراً وتهضم حقها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر وإلى الله يا رسول الله المشتكى وفيك يا رسول الله أحسن العزاء صلى الله عليك و«عليها السلام» والرضوان[٥].

(١) الكمد بالضم والفتح والتحريك الحزن الشديد والقيح المادّة لا يخالطها دم.
(٢) الهضم: الظلم والغصب، وإحفاء السؤال: استقصاؤه.
(٣) الغليل: حرارة الجوف.
(٤) إعتلجت الأمواج: إلتطمت.
(٥) أصول الكافي: مولد فاطمة الزهراء عليها السلام: ح٣.

الموضوع الثامن والعشرون

عظمة الزهراء عليها السلام

أولاً: نورها عليها السلام يكشف الظلمة عن الملائكة

مرفوعاً إلى سلمان الفارسي رحمه الله قال: كنت جالساً عند النبي «صلّى الله عليه وآله» في المسجد إذ دخل العباس بن عبد المطلب فسلم فرد النبي «صلّى الله عليه وآله» ورحب به فقال: يا رسول الله بِمَ فضل الله علينا أهل البيت عليّاً بن أبي طالب والمعادن واحدة، فقال النبي «صلّى الله عليه وآله»: إذن أُخبرك يا عم إن الله خلقني وخلق عليّاً ولا سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا لوح ولا قلم. فلما أراد الله عزَّ وجلَّ بدو خلقنا تكلم بكلمةٍ فكانت نوراً، ثم تكلم كلمةً ثانيةً فكانت روحاً فمزج فيما بينهما واعتدلا فخلقني وعلياً منهما ثم فتق من نوري نور العرش فأنا أجل من العرش ثم فتق من نور علي نور السماوات فعلي أجل من السماوات ثم فتق من نور الحسن نور الشمس ومن نور الحسين نور القمر فهما أجل من الشمس والقمر وكانت الملائكة تسبح الله تعالى وتقول في تسبيحها: سبوح قدوس من أنوار ما أكرمها على الله تعالى، فلما أراد الله تعالى أن يبلو الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمة وكانت الملائكة لا تنظر أولها من آخرها ولا آخرها من أولها فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن فيه، فنسألك

بحق هذه الأنوار إلا ما كشفت عنا فقال الله عز وجل: وعزّتي وجلالي لأفعلن فخلق نور فاطمة الزهراء عليها السلام يومئذ كالقنديل وعلقه في قرط العرش فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، من أجل ذلك سُمِّيَتْ فاطمة الزهراء. وكانت الملائكة تسبح الله وتقدسه فقال الله: وعزتي وجلالي لأجعلن ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبّي هذه المرأة وأبيها وبعلها وبنيها... (١)

ثانياً: الزهراء عليها السلام تطلب من الله سبحانه الشفاعة لذريتها ومحبيها (٢)

عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: «يا معشر الخلائق، غضوا أبصاركم ونكّسوا رؤوسكم حتى تمر فاطمة بنت محمد». فتكون أول من يكسى، وتستقبلها من الفردوس اثنا عشر ألف حوراء، وخمسون ألف ملكٍ على نجائب من الياقوت، أجنحتها وأزمتها اللؤلؤ الرطب، ركبها من زبرجد، عليها رحائل من الدر، على كل رحل نمرقة من سندس حتّى يجوزوا بها الصراط ويأتوا بها الفردوس، فيتباشر بمجيئها أهلُ الجنان. فتجلس على كرسيٍّ من نورٍ ويجلسون حولها.

وهي جنة الفردوس التي سقفها عرش الرحمن، وفيها قصران قصر أبيض وقصر أصفر من لؤلؤة على عرق واحد، في القصر الأبيض سبعون ألف دار، مساكن محمدٍ وآل محمد عليهم السلام. وفي القصر الأصفر سبعون ألف دارٍ، مساكن إبراهيم وآل إبراهيم.

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص١٧.

(٢) مسائل علي بن جعفر: ص٢٥٥ ح ٨٥١ نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج٢٤، ص: ١٠٥.

ثم يبعث الله ملكاً لها لم يبعث لأحد قبلها ولا يبعث لأحد بعدها. فيقول: إنّ ربّك يقرأ عليك السلام ويقول: سليني. فتقول: هو السلام ومنه السلام، قد أتمّ عليّ نعمته، وهنّأني كرامته، وأباحني جنته، وفضّلني على سائر خلقه. أسأله ولدي وذريتي، ومن ودّهم بعدي وحفظهم فيّ.

فيوحي الله إلى ذلك الملك من غير أن يزول من مكانه، أخبرها أني قد شفعتها ولدها وذريتها ومن ودّهم فيها وحفظهم بعدها.

فتقول: «الحمد لله الذي أذهب عني الحزن، وأقرّ عينيّ»، فيقرّ الله بذلك عين محمدٍ «صلّى الله عليه وآله».

ثالثاً: الزهراء عليها السلام على خُطى أبيها «صلّى الله عليه وآله»(١)

إشترى الرسول «صلّى الله عليه وآله» ثوباً عند زواجها وقد لبسته عند زفافها وفي الطريق جاء سائل وطلب منها ثوباً فخلعت ثوبها الجديد وأعطته إياهُ ولبست ثوبها القديم، وفي الغد جاء الرسول «صلّى الله عليه وآله» فلم يجد الثوب فسألها عما جرى فأخبرته فقال لها ولماذا لم تعطي ثوبك القديم فأجابت: يا أبت حين جاء سائل أعطيته ثوبك الوحيد وتلفعت بالحصير فأردتُ أن أقلّدك قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] وفي رواية أخرى قالت: أردت أن أعمل بقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ

(١) سيرة الزهراء عليها السلام لآية الله العظمى السيد عبد الحسين دستغيب، منشورات دليل ما، ط١٤٢٩،٢هـ، ص٩٩، وينظر إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل للعلّامة الشهيد نور الله التستري، ج١٠، ص٤٠١.

حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عِمرَان: ٩٢] وعندها هبط جبرئيل ﴿عليه السلام﴾ وقال للرسول «صلّى الله عليه وآله»: الله يقرئك السلام والزهراء ﴿عليها السلام﴾ ويقول: سنعطيها ما تريد.

رابعاً: دعاء الزهراء ﴿عليها السلام﴾ لشيعتها(١)

قالت الزهراء ﴿عليها السلام﴾ لأبيها رسول الله: لا أريد سوى خدمته ودوام رحمته في دار السلام قال الرسول: أنا أرفع يدي فارفعي أنت يديك، ودعا: اللهم اغفر لأمتي، وقالت الزهراء: آمين فنزل الوحي وقال: أبشرك بأنّ الله غفر لمحبي الزهراء ومحبي ذريتها، قالت الزهراء: أطلب من الله سجلاً بخصوص هذا الأمر، فجأةً نزلت قطعة من الحرير كتبت عليها بقلم القدرة هذه الآية الشريفة ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ﴾ [الأنعَام: ٥٤] فقال الرسول: ضعي هذه في كفنك.

وأوصت الزهراء عليّاً ﴿عليهما السلام﴾ بأن يضع هذه القطعة في كفنها وقالت: في يوم القيامة وحين تمتد ألسنةُ النيران فسأُخرج هذا السجل لأُنقذ مُحبّي بواسطته.

(١) سيرة الزهراء ﴿عليها السلام﴾ لآية الله السيد عبد الحسين دستغيب، منشورات دليل ما، ط، ١٤٢٩هـ، ص١٠٠.

الموضوع التاسع والعشرون

لمعة من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام (١)

أولاً: الحياة الزوجية

تقاسمت مع الإمام عليٍّ عليه السلام أعمال الحياة الزوجية، فكانت مسؤولية داخل البيت عليها وخارجه عليه عليه السلام فعن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ فاطمة عليها السلام ضمنت لعليٍّ عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها عليٌّ عليه السلام ما كان خلف الباب: من نقل الحطب وأن يجيء بالطعام، فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندك شيء؟

قالت: لا والذي عظم حقّك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيامٍ شيء نُقريك به.

قال: أفلا أخبرتِني؟

قالت: كان رسول الله «صلّى الله عليه وآله» نهاني أن أسألك شيئاً، فقال: لا تسألي ابن عمّك شيئاً. إن جاءك بشيء فهو، وإلا فلا تسأليه.

قال: فخرج الإمام عليه السلام فلقي رجلاً فاستقرض منه ديناراً ثُمَّ أقبل به وقد أمسى، فلقي المقداد بن الأسود.

(١) نقلاً عن كتاب (فاطمة الزهراء سلام الله عليها امتداد للنبوة) لآية الله العظمى السيد محمد الشيرازي.

فقال للمقداد: ما أخرجك في هذه الساعة؟

قال: الجوع والذي عظّم حقّك يا أمير المؤمنين.

قال (الراوي): قلت لأبي جعفر عليه السلام: ورسولُ الله «صلّى الله عليه وآله» حيّ؟

قال عليه السلام: ورسول الله «صلّى الله عليه وآله» حيٌّ.

قال الإمام علي عليه السلام للمقداد: فهو أخرجني وقد استقرضت ديناراً وسأوثرك به، فدفعه إليه، فأقبل فوجد رسول الله «صلّى الله عليه وآله» جالساً وفاطمة عليها السلام تصلي وبينهما شيء مغطى، فلما فرغت، أحضرت ذلك الشيء فإذا جفنة من خبزٍ ولحم.

قال عليه السلام: يا فاطمة، أنيّ لك هذا؟

قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

فقال له رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: ألا أحدّثك بمثلك ومثلها؟

قال: بلى.

قال: مثلك مثل زكريا... دخل على مريم المحراب فوجد عندها رزقاً، قال: يا مريم أنّى لك هذا، قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب[1].

فأكلوا منها شهراً وهي الجفنة التي يأكل منها القائم عليه السلام وهي عندنا[2].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران: ٣٧.

(٢) تفسير العياشيّ: ج١ ص١٧١ و١٧٢.

ثانياً: عبادتها عليها السلام [(١)]

وأيضاً كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي العابدة لله تعالى بإخلاصٍ وإيمانٍ عالٍ؛ إذ كان قلبها ينبوعاً متفجراً بمعرفة الله والارتباط به سبحانه وتعالى.

قال الإمام الحسن عليه السلام: «رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعةً ساجدةً حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء.

فقلت لها: يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقالت: يا بني، الجار ثم الدار».

ثالثاً: من علوم الزهراء عليها السلام [(٢)]

ومن الصفات الأُخرى التي تحلّت بها سيدة نساء العالمين عليها السلام، ويجب على المسلمين رجالاً ونساءاً أن يقتدوا بها أكثر فأكثر هو العلم.

إذ كانت الزهراء عليها السلام عالمةً بما للكلمة من معنى، فإنها كانت تتلقى العلم من مدينة علم الرسالة وهو النبي «صلّى الله عليه وآله» ومن بابها وهو علي عليه السلام

فهي العارفة بالله وبحقائق الكون وفلسفة الحياة، كما أن قربها من

---

(١) راجع فاطمة الزهراء عليها السلام في القرآن: ص٣١٣ نقلاً عن تفسير روح المعاني: ج٩٢ ص١٥٧.

(٢) اشارة إلى حديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها». عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص٢٣٣.

المسجد النبوي كان يتيح لها أن تتابع أحكام الله وتلاوة آياته المباركة. هذا إلى جانِب ما كان لها من العلم اللدنيّ.

فمقاماتها السامية وعلومها الزاخرة أهّلَتْها لأن تقوم بدور التربية والتعليم والتوجيه لنساء العالم في كل عصر ومصر، وخاصةً نساء عصرها اللاتي كنّ يجتمعن حولها ويتلقين منها علوم الإسلام ويسألنها عن كل شيء.

وقد كانت الزهراء عليها السلام المعلّمة والمربية حتى للرجال من خلال النساء، فعن الإمام الحسن العسكريّ أنه قال عليه السلام: قال رجل لامرأته: إذهبي إلى فاطمة عليها السلام بنت رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فسليها عني: أنا من شيعتكم أو لست من شيعتكم؟ فسألتها، فقالت عليها السلام: «قولي له: إن كنت تعمل بما أمرناك وتنتهي عما زجرناك عنه، فأنت من شيعتنا وإلا فلا».

فرجعت فأخبرته، فقال: يا ويلي ومن ينفكّ من الذنوب والخطايا، فأنا إذن خالد في النار، فإن من ليس من شيعتهم فهو خالد في النار!

فرجعت المرأة فقالت لفاطمة عليها السلام ما قال زوجها.

فقالت فاطمة عليها السلام قولي له: «ليس هكذا فإن شيعتنا من خيار أهل الجنة، وكل محبينا وموالي أوليائنا ومعادي اعدائنا، والمسلم بقلبه ولسانه لنا ليسوا من شيعتنا إذا خالفوا أوامرنا ونواهينا في سائر الموبقات، وهم مع ذلك في الجنة، ولكن بعد ما يطهرون من ذنوبهم بالبلايا والرزايا أو في عرصات القيامة بأنواع شدائدها، أو في الطبق الأعلى من جهنم بعذابها، إلى أن نستنقذهم بحبنا منها وننقلهم إلى حضرتنا»[1].

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٣٠٨.

الموضوع الثلاثون

دفاع الزهراء عليها السلام عن الولاية العظمى

الزهراء عليها السلام صاحبة المقامات العالية وقفتْ مطالبةً بحقوق الولاية الإلهيّة في الدنيا والآخرة...

أولاً: موقفها عليها السلام في الآخرة لبيان مظلوميّة أهل البيت؟ نقل هذا الموقف المفجع عن كتاب ثواب الاعمال وعقابها... عِنَ النَّبِي «صلّى الله عليه وآله» أَنَّهُ قالَ: إذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ تَأْتي فاطِمَةُ عليها السلام في لُمَّةٍ مِنْ نِسائِها.

فَيُقالُ لَها: أُدْخُلِي الْجَنَّةَ.

فَتَقُولُ: لا أُدْخُلُ حَتّى أَعْلَمَ ما صُنَعَ بِوَلَدي مِنْ بَعْدي.

فَيُقالُ لَها: أُنْظُري في قَلْبِ الْقِيامَةِ، فَتَنْظُرُ اِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام قائِماً لَيْسَ عَلَيْهِ رَأْس، فَتَصْرخُ صَرْخَةً فَأَصْرَخُ لِصُراخِها وتَصْرَخُ الْمَلائِكَةُ لِصُراخِها.

وَفى رِوايَةٍ أخرى: وتُنادي وا وَلَداهُ، واثَمَرَةَ فُؤاداهُ.

فَيَغْضَبُ اللّهُ عَزّ وجَلَّ لَها عِنْدَ ذلِكَ، فَيَأْمُرُ ناراً يُقالُ لَها: هَبْهَبْ قَدْ أوْقَدَ عَلَيْها أَلْفَ عامٍ حَتّى اسْوَدَّتْ، لا يَدْخُلُها رَوْحٌ أَبَداً ولا يَخْرُجُ مِنْها غَمٌّ أبَداً.

فَيُقالُ لَها: إلْتَقَطي قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَتَلْتَقِطُهُمْ، فَاذا صارُوا في

حَوْصِلَتِها صَهَلَتْ وصَهَلُوا بِها وشَهَقَتْ وشَهَقُوا بِها وزَفَرَتْ وزَفَرُوا بِها.

فَيَنْطِقُونَ بِأَلْسِنَةٍ ذَلِقَةٍ ناطِقَةٍ: يا رَبِّ بِمَ أَوْجَبْتَ لَنا النّارَ قَبْلَ عَبَدَةِ الْأَوْثانِ؟

فَيَأْتيهِمُ الْجَوابُ عَنِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ: لَيْسَ مَنْ عَلِمَ كَمَنْ لا يَعْلَمُ.

ثانياً: موقفها عليها السلام في الدنيا لبيان مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام:

يقول السيد المقرّم في وفاة الصّدّيقة نقلاً عن البحار: فأصرّ عمر بن الخطاب أن يبعث إلى عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام قنفذاً أحد بني كعب بن عدي من الطلقاء، ومعه جماعة فأتوا بيت أمير المؤمنين فلم يأذن لهم في الدخول، فرجع الجماعة وثبت قنفذ على الباب، ولما سمع... من الجماعة ذلك غضب وأمرهم بحمل حطبٍ ليضعوه على الباب فإن خرج أمير المؤمنين إلى البيعة وإلا أحرقوا البيت على من فيه ووقف... على الباب وصاح بصوت رفيع يسمع علياً وفاطمة لتخرجن يا علي إلى البيعة وإلا أضرمت عليك النار. فصاحت فاطمة مالنا ولك فأبى أن ينصرف إلا أن تفتح الباب له، ولما رأى منهم الامتناع أضرم النار في الحطب ودفع الباب وكانت ابنة رسول الله «صلّى الله عليه وآله» خلفها فمانعته من الدخول فركل الباب برجله وألصقها إلى الجدار ثم لطمها على خدها من ظاهر الخمار حتى تناثر قرطها وضرب كفها بالسوط فندبت أباها وبكت بكاءً شديداً عالياً، ثم عصرها إلى الجدار ثانيةً، فنادت: أهكذا يفعل بحبيبتك، واستغاثت بجاريتها فضّة(١)، وقالت: لقد قتل ما في بطني من

(١) **سؤال:** لماذا استغاثت بفضة ولا بعليٍّ عليه السلام؟ الجواب: أنه يقال: إنّ عليّاً عليه السلام حين أخبره رسول الله «صلّى الله عليه وآله» بانتهاك الحرمة وأوصاه بالصبر اشترط علي عليه السلام ألا تستغيث به فاطمةُ عليها السلام... والله العالم.

حمل. وأقبلت إليها فضة فأخرجتها من وراء الباب وجاءت بها إلى حجرتها وهناك أسقطت جنينها، فأغمي عليها.

قال الراوي: لما أسقطت فاطمة جنينها أُغمي عليها، ودخل القوم فاقتادوا عليّاً إلى المسجد لأجل البيعة فلمّا أفاقت، (وعاد) وعيُها سألت ابنتها زينب عن الإمام فقالت زينب: لقد أخرجوه من الدار. فذهبت وراءَهُ فاطمة تمشي تارةً وتقع أخرى. أقول بأيّة حالةٍ قادوا أمير المؤمنين؟ يقول المؤرخون...: أخرجوه إلى المسجد قهراً، وعندما رأى قبر الرسول قال: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعرَاف: ١٥٠].

هذا وفاطمة من خلفِهِ ومعها الحسنان ونساء بني هاشم وهي تنادي: والذي بعث محمّداً نبيّاً إن لِمْ تتركوا ابن عمّي لأنشرنّ شعري وأَضع قميص والدي على رأسي وأدعو، فما صالحٌ بأكرم على الله من أبي ولا الناقة بأكرم منّي ولا الفصيل بأكرم من ولدي نعم لقد أخذوا أمير المؤمنين إلى مجلس أبي بكر والقوم يقولون له: يا عليّ بايع وإلا ضربت عنقك، فلما سمع الحسنان قول القائل (يا عليّ بايع وإلا ضربت عنقك) رفعوا أصواتهم بالبكاء، فلما سمعهم عليه السلام قال لهم: لا تبكيا إنّهما لن يقدرا على قتل أبيكما[1].

اذن الزهراء عليها السلام رغم محنة الباب وما جرى عليها لِمْ تتخلَّ عن المطالبة بحق الولاية الإلهية.!!

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ١٠، ص: ١١٧.

الموضوع الحادي والثلاثون

من مقامات الزهراء عليها السلام

قال رسولُ الله «صلّى الله عليه وآله»: (فاطمة... روحي التي بين جنبيَّ...)(١).

يقول العلامة آية الله العظمى الوحيد الخرساني «دام ظلّه» وهو يترجم لنا كلام رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: إنّه لو أُخذت مني فاطمة فسأبقى بدناً بلا روح! فإلى أين وصلت الصّدّيقة الزهراءُ عليها السلام حتى بلغت مقاماً كهذا، وصارت قلباً بين جنبي علمٍ وعملٍ! فجنب النبيّ الأيمن علم، والأيسر عمل!

علمٌ عنده تتلاشى كل علوم الأنبياء عليهم السلام! وعملٌ عنده تتلاشى كل أعمال الأولياء!! والقلب الذي بين هذين الجنبين هو الصّدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام!!

ومن أجل تعميق الولاء لفاطمة «سلام الله عليها» نتعرف على بعض مقاماتها وسيرتها... ومنها:

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ٨، ص: ٣٥.

أولاً: مقامها النوري الزاهر عند الملائكة

يقول العلامة المجلسي في بحاره[(١)]. . . مرفوعاً إلى سلمان الفارسيّ (رضوان الله عليه وآله) قال: كنتُ جالساً عند النبيّ «صلّى الله عليه وآله» في المسجد إذ دخل العباس بن عبد المطلب فسلم فردّ النبيُّ «صلّى الله عليه وآله» ورحّب به فقال: يا رسول الله بِمَ فضل الله علينا أهل البيت عليّاً بن أبي طالب والمعادن واحدة، فقال النبي «صلّى الله عليه وآله»: إذن أخبرك يا عم إن الله خلقني وخلق عليّاً ولا سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا لوح ولا قلم. فلما أراد الله عزَّ وجلَّ بدو خلقنا تكلّم بكلمة فكانت نوراً ثم تكلم كلمة ثانية فكانت روحاً فمزج فيما بينهما واعتدلا فخلقني وعليّاً منهما. . . وكانت الملائكة تسبح الله تعالى وتقول في تسبيحها: سبوح قدوس من أنوار ما أكرمها على الله تعالى، فلما أراد الله تعالى أن يبلوَ الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمة وكانت الملائكة لا تنظر أولها من آخرها ولا آخرها من أولها فقالت الملائكة: إلهنا وسيّدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن فيه، فنسألك بحقّ هذه الانوار إلا ما كشفت عنا فقال الله عز وجل: وعزّتي وجلالي لأفعلن فخلق نور فاطمة الزهراء عليها السلام يومئذ كالقنديل وعلقه في قرط العرش فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، من أجل ذلك سُمِّيَتْ فاطمة الزهراء. وكانت الملائكة تسبح الله وتقدسه. فقال الله: وعزتي وجلالي لأجعلن ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبي هذه المرأة وأبيها وبعلها وبنيها. .

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص١٧.

ثانياً: الزهراء عليها السلام في البيت الأُسري

يقول العلامة حسين مظاهري[١]. . . الرسول الأكرم «صلّى الله عليه وآله» يذهب إلى بيت الزهراء «سلام الله عليها» في اليوم الأول بعد الزفاف من أجل أن يبارك لهما الزواج يقسم الأعمال بين هذين العظيمين قائلاً ما معناه: «يا زهراء، إنّ أعمال المنزل، من قبيل الخبز أو طحن الشعير والحنطة، وتنظيف الدار، ورعاية الأطفال سهمك؛ أمّا سهم أمير المؤمنين عليه السلام فيتمثل في تهيئة الحطب، وجلب الماء، وترتيب ما يحتاجه المنزل من مواد أخرى تجلب من خارج المنزل. بعدها، تفوهت فاطمة الزهراء عليها السلام بهذه العبارة التي ينبغي أن تلزمها كل المؤمنات وهي: لا يعلم إلا الله ما داخلني من السرور في هذا الأمر[٢].

سؤال: لماذا هذا السرور رغم أنّ العمل ثقيل ومسؤولية. . .؟

الجواب:

١ - الحياة هي تكامل الإنسان وفيها القرب الإلهي من خلال العمل قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [المُلك: ٢].

٢ - أعمال المنزل فيها من الأجر والثواب ما لا يتصوّر. والروايات تكفلت ببيان ذلك ومنها:

(١) التربية البيتية أو الاخلاق البيتية.
(٢) هذه الرواية مع بعض التغيير والإضافة موجودة في ج١٠ من بحار الأنوار ص٢٤ - ٢٥. . ./ الكلام للعلّامة حسين مظاهري دامت إفاضاته.

- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال سألت أُم سلمة رسول الله «صلّى الله عليه وآله» عن فضل النساء في خدمة أزواجهن، فقال «صلّى الله عليه وآله»: ما من امرأةٍ رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذّبه(١).
- وعنه عليه السلام أيضاً قال: أيّما امرأةٍ خدمت زوجها سبعة أيّام إلّا أغلق الله عنها سبعة أبواب النار، وفتح لها ثمانية أبواب الجنّة تدخل من أيّها شاءت(٢).
- وعنه عليه السلام أيضاً قال: ما من امرأة تسقي زوجها شربة ماء إلّا كان خيراً لها من عبادة سنة(٣).

ثالثاً: رسالتها في الحجاب... وإن الزهراء عليها السلام كانت ترتدي حجابها التامّ حتى من الأعمى فعن الإمام موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي عليه السلام: إستأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته، فقال رسول الله «صلّى الله عليه وآله» لها لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت عليها السلام: إن لم يكن يراني فإنّي أراه وهو يشمّ الرّيح، فقال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: أشهد أنّك بَضعة منّي؟!

وعلى ذكر حجاب الزهراء عليها السلام إنّ المجتمع اليوم ينحدرُ انحداراً شديداً وأخذ يتفنّن بعناوين مختلفةٍ ومنها: الموضة، الثقافة، الجمال، الاناقة... كل ذلك من أجل تجريد الحجاب من روحه وحقيقته؛ لأن

---

(١) أمالي الطوسي.
(٢) ميزان الحكمة - الريشهري ج٤ - باب الزواج.
(٣) المصدر نفسه.

الحجاب هو حجب الزينة عن الأجانب. . . وبالتالي هذا التفنن يؤدي إلى كشف العورات. . . والتي طالما حذرنا منها أهل البيت عليهم السلام . . . ففي الرواية:

- أن أمير المؤمنين عليّاً بن أبي طالب عليه السلام كان في أيامه يقول للأصبغ بن نباتة ما مضمونه: «سيأتي زمان على أمّة محمّدٍ «صلّى الله عليه وآله» تكون فيها النساء كاسياتٍ عارياتٍ» بعد ذلك يضيف: «وذلك زمانُ الفتن وإن تلك النساء سيذهبن إلى جهنم ليخلدن فيها»(١).
- . . . عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: أيّة امرأةٍ تطيّبت ثمّ خرجت من بيتها، فهي تُلعن حتّى ترجع إلى بيتها متى رجعت(٢).

رابعاً: رسالتها إلى الأزواج...

وذلك من أجل تحقيق مصداق من مصاديق المودة والرحمة التي ذكرها سبحانه بقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١] ولهذا يحدّثنا التأريخ. . . بأنه: لما حانت شهادة الزهراء عليها السلام طلبت من أمير المؤمنين عليه السلام أن يجلس إلى جنبها لتوصيه بما تريد قائلةً له: «يا ابن العمّ اجلس عندي هنيهةً، فقد حان الفراق»، فأخذ برأسها ووضعه في حجره وقالت: إن كان وقع مني في مدة حياتي تقصير فاعف عني.

(١) ميزان الحكمة: الريشهري: الحجاب الكتاب.
(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ١٠٠ / ص٢٤٧.

قال: «حاشاك يا سيدة نساء العالمين والتقصير بل كنت في نهاية المحبة لي والمودة والشفقة عليّ والرضا والشكر والقناعة بما يأتيك مني».

خامساً: مقامها عليها السلام

يوم القيامة (مقام الشفاعة): شفاعتها عليها السلام تكتب في حريرة خضراء[1].

روي في كتاب «التبر المذاب» عن طرق العامة، وهو ما رواه أيضاً ابن الجوزي... «إعلم لما حضرت الوفاة سيدة العصمة والعفاف دخل عليها أمير المؤمنين فوجد عندها حقة، فسألها عنها فقالت: فيها حرير أخضر، وفي الحرير ورقة بيضاء، وفي الورقة عدة سطور يسطع منها النور. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وماذا كتب فيها يا بنت خديجة الكبرى؟ قالت: يا سفينة النجاة ويا ابن عم رسول الله، لما زوجني أبي منك وأخبر أن عقدي قرىء تحت شجرة طوبى، فنثرت الحلي والحلل كان عندي ثوبان أحدهما قديم والآخر جديد، وكنت جالسة للعبادة ليلة الزفاف فإذا بسائل ينادي: يا أهل بيت النبوة ومعدن الخير والفتوة أعطوني ثوباً قديماً فإني فقير، فأعطيته الثوب الجديد، فلما أصبح الصباح غدا علينا رسول الله بوجهه المنور، فقال: أين ثوبك الجديد ما أراك تلبسينه؟! فقلت: ألم تقل إن الصدقة باقية فإني تصدقت به. فقال: لو تصدقت بالقديم ولبست الجديد فهو أرعى لزوجك وللفقير، وأحفظ

(١) الخصائص الفاطميّة: الشيخ محمد باقر الكجوري: ج ٢: ص٣٨٤- ٣٨٧.

لك من حرارة الصيف في أيّام الصيام. فقلت: لقد اقتديت بك يوم تزوجت بخديجة فبذلت مالها وجاءك السائل فأعطيته ثوبك واشتملت بالحصير، ورأيتك تصنع مثل ذلك كثيراً مما لا يفعله غيرك، حتى جعلت الجنّة لك ونزل فيك: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسرَاء: ٢٩] فبكى النبي وضمني إلى صدره، وقال: هبط الأمين جبرئيل وقال: إقرأ فاطمة السلام وقل لها فلتطلب ما في الغبراء والخضراء، وبشرها أني أحبها.

فقلت: يا رسول الله: شغلتني عن مسألته لذة خدمته، لا حاجة لي غير النظر إلى وجهه الكريم في دار السلام. فقال: إرفعي يديك، فرفعت يدي ورفع النبي «صلّى الله عليه وآله» يديه حتى بان بياض إبطيه، ثمّ دعا لأُمته فقال: «اللّهمّ اغفر لأمّتي».

فقلت: آمين، فهبط جبرئيل وقال: قال الله: غفرت لمن أحبّ فاطمة وأباها وبعلها وبنيها من أُمتك، فطلبتُ كتاباً، فجاءني جبرئيل الأمين بهذا الحرير الأخضر وفيه هذه الرقعة البيضاء مكتوب فيه بيد القدرة ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعَام: ٥٤] وشهد على ذلك جبرئيل وميكائيل؛ فقال أبي: احفظي ذلك وأوصي أن يدفن معك في قبرك، فإذا كان يوم القيامة وتصاعد لهيب النيران أدفعه إلى أبي ليأخذ لي بما وعدني ربي.

يقول العلامة محمد حمد باقر الكجوري (قدّست نفسه) معلّقاً على الرواية: أنظروا يا شيعة فاطمة إلى علوّ همتها وسمو فتوتها وبعد نظرها، حيث بذلت فاطمة الطاهرة ما عندها اقتداءً بأبيها وسألت رضا الله ولقاء المولى بمفاد قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾

[الكهف: ١١٠] ولم تسأل شيئاً من حطام الدنيا ولا من أجر الآخرة سوى النظر إلى وجهه الكريم، ومسلم أن هذا المقام من أعلى المقامات التي قد ينالها كبار الأنبياء وأولو العزم غدا يوم القيامة. وهذا هو معنى «عدم ترك الخدمة والإقبال على النعمة»، وإذا طلبت شيئاً آخر فإنما تطلب المغفرة والسعادة لأمتها. أجل؛ كذا هو شأن الرحمة الإلهية الواسعة، وهذا هو مقام طلب لقاء الله، وهو في قبال طلب الحور والقصور مثل طلب الدنيا في قبال طلب الآخرة، كما قال وريث تلك الطيبة الطاهرة سيد الساجدين: «لقاؤك قرة عيني، ووصلك منى نفسي، وإليك شوقي، وفي محبتك ولهي، وإلى هواك صبابتي، ورضاك ابتغائي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبتي، وقربك غاية مسألتي، وفي مناجاتك روحي وراحتي، وعندك دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي وكشف كربتي، فلا تقطعني عنك، ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي، ويا دنياي وآخرتي»(١).

ولنعم ما قال «سعدي»:

إنّ من غير المروءة أن يطلب الأولياء من الله غير لقائه

وحقيقة العبادة أن لا تكون للرغبة أو الرهبة، بل للحب، ولأن المعبود أهل للعبادة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك(٢).

وقال سيد الساجدين عليه السلام: «إن قوماً عبدوا الله رهبةً وتلك عبادة

(١) البحار ٩٤ / ١٤٨ ح ٢١ باب ٣٢.
(٢) البحار ٧٠ / ١٨٦ ح ١ باب ٥٣.

العبيد وآخرين عبدوه رغبةً فتلك عبادة التجار وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادةُ الأحرار»[1].

فإذا كانت عبادة فاطمة وأولادها سلام الله عليهم من هذا النوع، وقد ذكر الجميع فضائلهم وآدابهم في كتبهم، فكيف يخالفونها ويخالفون أولادها ويقدمون الغير عليهم، ويعتقدون في مخالفيهم وغاصبيهم أئمةً يقتدون بهم، ويؤذون فاطمة باتباعهم، وهم يروون أن فاطمة طلبت رضا الرب ولم تطمع في جنة أو نعيم.

فالدنيا بأسرها في عين فاطمة هباء منثور بالقطع واليقين، فما حال بستانٍ أو قطعةٍ من أرضٍ أو أمثال ذلك؟!

(١) البحار ٤١ / ٤١ ح ٤ باب ١٠١؛ و٧٠ / ١٩٦ ح ٢ باب ٥٣.

الموضوع الثاني والثلاثون

من مقامات الزهراء عليها السلام

مقام الشفاعة العظمى

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

النصّ المبارك يبيّن بعض شروط المشفوع لهم... إنَّ الشفاعة هناك ليست اعتباطية وعشوائية، بل إنّ هناك تخطيطاً دقيقاً لها، سواء ما يتعلّق بالشافعين أو المشفوع لهم، وما دام الأفراد لا يملكون الأهليّة والاستحقاق للشفاعة، فلا معنى حينئذٍ لها.

والحقيقةُ هي أنّ جماعة ينظرون إلى الشفاعة بمنظارٍ خاطئ، فهم يتصورون أنّها لا تختلف عن أساليب الدنيا ومراوغاتها، في حين أنّ الشفاعة في منطق الإسلام مرحلة تربوية متقدّمة، وعامل مساعد لهؤلاء الذين يطوون طريق الحقّ بجدّ وسعي إلّا أنّهم يبتلون أحياناً بالنقائص والزلّات، ولعلّ من الممكن أن يعلو غبار اليأس والقنوط قلوبهم نتيجة هذه الزلّات والهفوات، وهنا تأتي إليهم الشفاعة كقوّة محرّكة وتقول:

لا تيأسوا، واستمروا في طريقكم، ولا تكفّوا عن السعي والاجتهاد في هذا المسير، وإذا ما بدر منكم زلل وهفوات فإنّ هناك شفعاء

سيشفعون لكم عند الله الرحمن الذي وسعت رحمته كلّ شيءٍ فيأذن لهم بالشفاعة.

إنّ الشفاعة ليست دعوةً للتقاعس، أو الفرار من تحمّل المسؤولية، أو أنّها ضوء أخضر لارتكاب المعاصي، بل هي دعوة إلى الاستقامة في طريق الحقّ، واجتناب الذنوب قدر الإمكان.

فقد روى العالم الربّاني المرحوم «ياسري» - أحد علماء طهران المحترمين - أنّ شاعراً يسمّى «حاجباً» كان قد ابتلي بأفكار العوام في مسألة الشفاعة، فنظّم شعراً قال فيه:

ياحاجب إن كانت معاملتك مع عليٍّ في المحشر، فأنا ضامن لك النجاة واعمل ما شئت من الذنوب.

فرأى أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام في المنام، وكان مغضباً، وقال له: لم تحسن قول الشعر، فقال: فماذا أقول؟ فقال: أصلح شعرك وقل: ياحاجب: إن كانت معاملتك مع عليٍّ في المحشر فاستح منه وقلّل من ذنوبك ومعاصيك[(١)].

إذن الشفيع والمشفوع له خاضعان لقوانين ومنها الإذن والرضا عند الله سبحانه وتعالى وكلاهما حصلت عليهما فاطمة الزهراء عليها السلام، وهما يُعتبران من المقامات العالية. وعليه نبين بعض مقاماتها عليها السلام من خلال النصوص الروائية الصريحة.

---

(١) تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل: لآية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: الآية ١٠٩ من سورة طه.

أولاً: مقامها عليها السلام عند الله سبحانه وتعالى

إن من المقامات التي خُصت بها فاطمة الزهراء عليها السلام هو مقام الرضا أي: أنّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، حيث جاء الكثير من الروايات الشريفة المأثورة عن الرسول وأهل بيته عليه و«عليهم السلام» لتؤكد هذه المنقبة العظيمة للصديقة الشهيدة. وهذا مما يدل على كونها ذات مقامٍ عالٍ وشريفٍ سامٍ لها عند الله تعالى، إذ لا معنى لأن يرضى الله لشخص من دون أن يكون له عند الله منزلة وكرامة عليه، وهذا مما يساعد عليه العرف العقلائي، إضافةً إلى الشواهد القرآنية الكثيرة على هذه المسألة، فنحن نجد من خلال الممارسات الحياتية أن الكثير من الأصدقاء مثلاً يرضون لرضا شخصٍ معينٍ بالحقّ ويقبلون شفاعته وتوسطه أو رضاه عن شخص معين لحل مشكلة ما، وكذلك الحال في الغضب، وعلى هذا الأساس تكون فاطمة عليها السلام كريمة عند الله تعالى لعلو شأنها ومنزلتها عنده، لذلك يرضى لرضاها ويغضب لغضبها.

ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما يأتي:

١ - عن النبي «صلّى الله عليه وآله» قال: «يا فاطمة إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك».

٢ - وعنه «صلّى الله عليه وآله» أنه قال: «يا فاطمة أبشري فلك عند الله مقام محمود تشفعين فيه لمحبيك وشيعتك فتشفعين»(١).

٣ - . . . عن أهل بيت العصمة عليهم السلام عن الله تعالى حيث يقول الباري

---

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ٨، ص: ٣٦٣.

عزَّ وجلَّ: «يا فاطمة وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عامٍ ألّا أعذّب محبيك ومحبي عترتك بالنار»(١).

ثانياً: مقامها عليها السلام عند الملائكة

في حديث طويل «... فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا لمن هذا النور الزاهر، الذي قد أشرقت به السماوات والأرض؟ فأوحى الله إليها: هذا نور اخترعته من نور جلالي لأمتي فاطمة ابنة حبيبي، وزوجة وليي وأخي نبيي وأبي حُجَجي على عبادي، أشهدكم ملائكتي أني قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها ومحبيها إلى يوم القيامة»(٢).

وهذا يعني أن لها مقام النور الزاهر عند الملائكة فهم يعرفونها في السماء بالنور الزاهر الذي أزهرت السماوات والأرض به، ولأجل ذلك سُمِّيَتْ بالزهراء عليها السلام.

ثالثاً: مقامها عليها السلام يوم القيامة (مقام الشفاعة):(٣)

مهر فاطمة شفاعتها لشيعتها ومحبيها: إن أفضل مقام تعطى فاطمة عليها السلام يوم القيامة هو مقام الشفاعة الكبرى الذي من خلال هذه المنزلة يظهر قدر ومقام فاطمة عليها السلام عند الله تعالى يوم القيامة وأمام

(١) المصدر، ج ٢٠، ص: ٢٤.
(٢) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلامُ الله عليها، ج ٢٠، ص: ٩٥.
(٣) الخصائص الفاطميّة: الشيخ محمد باقر الكجوري: ج ٢: ص٣٨٠- ٣٨١.

الخلائق جميعاً، ذكر الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي صاحب كتاب «نزهة المجالس ومنتخب النفائس»، عن الفاضل النسفي من أعاظم علماء السنة: أنّ فاطمة عليها السلام سألت أباها أن يكون صداقها الشفاعة لأمّته فقبل ذلك، فإذا كان يوم القيامة وقفت تلك المخدرة على الصراط وطالبت بصداقها.

رقائق مكتوب بها أسماء محبي فاطمة عليها السلام تدفع إليهم يوم القيامة للشفاعة. وفي كتاب الفصول المهمة عن بلال قال: طلع علينا رسول الله «صلّى الله عليه وآله» ذات يوم مبتسماً ضاحكاً ووجهه مشرق كدارة القمر، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ قال: بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي، فإن الله زوج عليّاً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقاً - يعني صكاكاً - بعدد محبي أهل البيت، وأنشأ تحتها ملائكة من النور، ورفع إلى كل ملك صكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق، فلا يبقى محب لفاطمة إلا دفعت إليه صكا فيه فكاكه من النار، فصار أخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجالٍ ونساءٍ من أمتي من النار[1].

ثم لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريَم: ٧١] اغتمّ رسول الله «صلّى الله عليه وآله» غماً شديداً وحزن لدخول أمته النار، فجلس في بيته وكلما سأله الأصحاب عن سبب حزنه لم يجب، فتوسلوا بفاطمة عليها السلام فقامت إلى أبيها وسألته عن سبب حزنه، فقال: أخبرني

(١) الفصول المهمة ٢٨ في مقدمة المؤلف.

ربي بكذا وكذا وتلا الآية، فبكت فاطمة عليها السلام ثم توسل النبي «صلّى الله عليه وآله» وأمير المؤمنين وفاطمة والحسنان بالله تبارك وتعالى وفدوا أُمتهم بأنفسهم، فنزل جبرئيل وقال: يا محمد! الله يقرئك السلام ويقول: قل لفاطمة لا تحزن، فإني أفعل ما تحب.

فانظروا يا شيعة فاطمة ومحبّيها كم لهذه العظيمة من مزيةٍ ومنزلةٍ عند الله تبارك وتعالى بحيث يقول جبرئيل: يا محمد! قل لفاطمة لا تحزن[١].

(١) والخبرُ في كتاب الفصول المهمة عن بلال.

الموضوع الثالث والثلاثون

الزهراء عليها السلام وظلامة أولادها في القيامة

للزهراء عليها السلام مواقف في القيامة ومنها إبراز ظلامة أهل البيت عليهم السلام والروايات بينت لنا شذراتٍ من هذا الموقف ومنها:

فاطمة عليها السلام وقميصا الحسنين عليهما السلام (١)

ذكر صاحب اللطائف: أنّه إذا كان يوم القيامة تجي ء فاطمة عليها السلام وبيدها اليمنى الحسن، وبيدها اليسرى الحسين، وعلى كتفها الأيمن قميص الحسن ملطخ بالسم وعلى الأيسر قميص الحسين ملطخ بالدم! فتنادي وتقول: «رب احكم بيني وبين قاتلي ولدي».

فيأمر الله الزبانية فيقول لهم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحَاقَّة: ٣٠]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧].

فاطمة عليها السلام تشهق لمصاب الحسين عليه السلام (٢)

عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أحدّثه، فدخل عليه

(١) اللطائف بنقل التبر المذاب على ما في الإحقاق: نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج٢٤، ص: ١٤٨.
(٢) كامل الزيارات: باب ٢٦ ص٨٢: نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج٢٤، ص: ١٤٨.

ابنه فقال له: مرحباً وضمّه وقبّله وقال: حقّر الله من حقّركم وانتقم ممن وتركم وخذل الله من خذلكم ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً. فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء. ثم بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما آتي إلى أبيهم وإليهم.

يا أبا بصير، إنّ فاطمة لتبكيه وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاءَها وقد استعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق، أو يثير دخانها فيحرق أهل الأرض فيحفظونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة الزهراء، وإنّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل.

فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته وحبس بعضها على بعض مخافةً على الدنيا وما فيها، ومن على الأرض. فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائه ويدعون الله ويتضرعون إليه ويتضرع أهل العرش ومن حوله وترتفع أصوات الملائكة بالتقديس لله مخافةً على أهل الأرض، ولو أن صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصق أهل الأرض وتقطّعت الجبال وزلزلت الأرض بأهلها. قلت: جعلت فداك، إنّ هذا الأمر عظيم! قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه.

ثم قال: يا أبا بصير، أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام؟ فبكيت حين قالها، فما قدرت على المنطق وما قدر على كلامي من البكاء. ثم قام إلى المصلى يدعو. فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم وأصبحت صائماً وجلاً حتى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنت وحمدت حيث لم تنزل بي عقوبة.

بين فاجعة الإمام الحسين عليه السلام وشفاعة فاطمة عليها السلام [(١)]

قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: يا معشر الخلائق، غضوا أبصاركم حتى تمرّ بنت حبيب الله إلى قصرها، فتمر ابنتي فاطمة عليها ريطتان خضراوان، حولها سبعون ألف حوراء. فإذا بلغت إلى باب قصرها وجدت الحسن قائماً والحسين نائماً مقطوع الرأس. فتقول للحسن: من هذا؟ فيقول: هذا أخي! إنّ أمّة أبيك قتلوه، وقطعوا رأسه. فيأتيها النداء من عند الله: يا بنت حبيب الله، إني إنما أريتك ما فعلت به أمة أبيك؛ لأني ادّخرت لك عندي تعزية بمصيبتك فيه، وإني جعلت تعزيتك اليوم أني لا أنظر في محاسبة العباد حتى تدخلي الجنة أنت وذريتك وشيعتك ومن أولاكم معروفاً ممن ليس هو من شيعتك قبل أن أنظر في محاسبة العباد. فتدخل فاطمة ابنتي الجنة وذريتها وشيعتها ومن أولاها معروفاً ممن ليس من شيعتها. فهو قول الله عز وجل: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] قال: هو يوم القيامة وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، هي والله فاطمة وذريتها وشيعتها، ومن أولاهم معروفاً ليس هو من شيعتها.

بين البكاء على الحسين عليه السلام وبين شفاعة فاطمة عليها السلام للمعزين[(٢)]

روي أنه لما أخبر النبي «صلّى الله عليه وآله» ابنته فاطمة عليها السلام بقتل

(١) تفسير فرات: ص٩٧. : نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج٢٤، ص: ٢٣٦.
(٢) عوالم العلوم، مجلد الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٣٤ ح ٩: نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج٢٤، ص: ١٨٠.

ولدها الحسين عليه السلام وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة عليها السلام بكاءً شديداً وقالت: يا أبت، متى يكون ذلك؟ قال في زمانٍ خالٍ مني ومنك ومن علي. فاشتدّ بكاؤها وقالت: يا أبت، فمن يبكي عليه ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟ فقال النبي «صلّى الله عليه وآله»: يا فاطمة، إن نساء أمتي يبكين على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة.

فإذا كان يوم القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، وكل من بكى منهم على مصائب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة. يا فاطمة، كل عين باكية يوم القيامة إلا عيناً بكت على مصاب الحسين، فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة.

الموضوع الرابع والثلاثون

فلسفة تقبيل فاطمة الزهراء عليها السلام من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله»

عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: بلغنا عن آبائنا أنّهم قالوا: كان رسول الله «صلّى الله عليه وآله» يكثر تقبيل فم فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين(١).

سؤال: لماذا رسول الله «صلّى الله عليه وآله» يكثر تقبيل فاطمة الزهراء عليها السلام ؟

الجواب: في مقام الجواب لابد من الرجوع إلى الروايات لمعرفة فلسفة وعلة ذلك. . . ومن الروايات:

أولاً: عن ابن عباس قال: كان النبي «صلّى الله عليه وآله» يكثر تقبيل فاطمة فقالت له عائشة: إنك تكثر تقبيل فاطمة.

فقال: إنّ جبرئيل ليلة أسرى بي أدخلني الجنة فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماءً في صلبي فحملت خديجة بفاطمة «فاذا اشتقت لتلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها»(٢).

---

(١) إعلام الورى: ص١٥٠ نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ١٩، ص: ١٢٥.

(٢) ذخائر العقبى، ص٣٦.

ثانياً: وفي رواية أخرى قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»:

«يا عائشة... فما قبّلتُها قطّ إلّا وجدتُ رائحةَ شجرة طوبى منها»[١]

شجرة طوبى

أحبّتي عشّاق الزهراء عليها السلام من أجل التعرف على شجرة طوبى وعلاقتها با لزهراء وأمير المؤمنين عليهما السلام نخصص هذه الأسطر للتعرّف على تلك الشجرة من خلال الآيات والروايات وبطريقة السؤال والجواب... ولنصغِ بتأمل...: فنقول بعد التوكل على الله سبحانه:

سؤال: ما هي شجرة طوبى؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

يقول آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي[٢]: طوبى لهم هو أن تكون لهم أفضل الأشياء: أفضل الحياة والمعيشة، وأفضل النعم والراحة، وأفضل الألطاف الإلهيّة، وكلّ ذلك نتيجة الإيمان والعمل الصالح لأولئك الراسخين في عقيدتهم والمخلصين في عملهم.

ونقرأ في روايات متعدّدة أنّ «طوبى» شجرة أصلها في بيت النّبي «صلّى الله عليه وآله» أو الإمام عليٍّ عليه السلام في الجنّة، وتنتشر أغصانها

(١) تفسير عليّ بن إبراهيم القمي كما في بحار الأنوار.
(٢) تفسير الأمثل الآية ٢٩ من سورة الرعد.

على رؤوس جميع المؤمنين وعلى دورهم، ولعلّ هذا تجسيمٌ لقيادتهم وإمامتهم والصلات القويّة التي تربط بين هؤلاء القادة وأصحابهم، وتكون ثمرتها كلّ هذه النعم المختلفة.

مواصفات شجرة طوبى

سؤال: ما هي مواصفات شجرة طوبى؟

الجواب: وردت عدّة رواياتٍ لبيان ذلك ومنها:

الرواية الأولى: عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: لمّا نزلت على رسول الله «صلّى الله عليه وآله» «طوبى لهم وحسن مآب» قام مقداد بن الاسود الكندي إلى النبيّ «صلّى الله عليه وآله» فقال: يارسول الله وما طوبى؟ قال: يا مقداد شجرة في الجنة لو يسير الراكب الجواد لسار في ظلها مائة عام قبل أن يقطعها، ورقها وقشورها برود خضر وزهرها رياض وأفنانها سندس واستبرق، وثمرها حلل خضر، وطعمها زنجبيل وعسل، وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر، وترابها مسك وعنبر، وحشيشها منيع ميع[1] والنجوج يتأجج[2] من غير وقود، يتفجر من أصلها السلسبيل والرحيق والمعين، وظلها مجلس من مجالس شيعة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام يألفونه ويتحدثون بجمعهم،

(١) هكذا في النسخ وهو كما يأتي عن المصنف لا يناسب المقام، وفى التفسير المطبوع: وحشيشها صع والظاهر أنهما مصحفان عن ميع وهو صمغ عطر يسيل من شجرة ويتطيّب به.

(٢) وهو عود طيب الريح/ تهذيب اللغة.

وبيناهم في ظلها يتحدثون إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجباء جبلت من الياقوت ثم نفخ الروح فيها مزمومة[١] بسلاسل من ذهبٍ، كأن وجوهها المصابيح نضارةً وحسناً، وبرها خز أحمر ومرعزى أبيض مختلطان، لم ينظر الناظرون إلى مثله حسنا وبهاء، وذلل من غير مهلة نجباء من غير رياضة، عليها رحال ألواحها من الدر والياقوت المفضضة باللؤلؤ والمرجان، صفائحها من الذهب الأحمر ملبسة بالعبقري والأرجوان[٢]، فأناخوا تلك النجائب إليهم، ثم قالوا لهم: ربكم يقرؤكم السلام ويراكم وينظر إليكم، ويحبكم وتحبونه، ويزيدكم من فضله وسعته فإنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم، قال: فيحمل كل رجل منهم على راحلته فينطلقون صفاً واحداً معتدلاً، ولا يمرون بشجرة من أشجار الجنة إلا أتحفتهم بثمارها، ورحلت لهم عن طريقهم كراهية أن يثلم طريقتهم وأن يفرق بين الرجل ورفيقه، فلّما دفعوا إلى الجبار جل جلاله قالوا: ربنا أنت السلام ولك يحق الجلال والاكرام، فيقول الله تعالى: مرحباً بعبادي الذين حفظوا وصيتي في أهل بيت نبيي، ورعوا حقي، وخافوني بالغيب، وكانوا مني على كل حال مشفقين، قالوا: أما وعزتك وجلالك ما قدرناك حق قدرك، وما أدينا إليك كل حقك، فأذن لنا في السجود، قال لهم ربهم: إني وضعت عنكم مؤونة العبادة، وأرحت عليكم أبدانكم، وطالما أنصبتم لي الأبدان، وعنتم الوجوه، فالآن أفضيتم إلى روحي ورحمتي فاسألوني ما شئتم وتمنّوا علي اعطكم أمانيّكم، فإني لن

(١) زمّه: ربطه وشده.
(٢) الأرجوان بضم الهمزة وسكون الراء: ثياب حمر.

أجزيكم اليوم بأعمالكم ولكن برحمتي وكرامتي وطولي وارتفاع مكاني وعظم شأني، ولحبكم أهل بيت نبيي، فلا يزال يرفع أقدار محبّي عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام في العطايا والمواهب حتى أن المقصر من شيعته ليتمنى في أمنيّته مثل جميع الدنيا منذ يوم خلقها الله إلى يوم أفناها، فيقول لهم ربهم: لقد قصّرتم في أمانيّكم ورضيتم بدون ما يحق لكم فانظروا إلى مواهب ربكم، فإذا بقباب وقصورٍ في أعلى عليين من الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر والأبيض، فلولا أنها مسخرة إذاً للمعت الابصار منها، فما كان من تلك القصور من الياقوت الاحمر فهو مفروش بالعبقري الاحمر يزهر نورها، وما كان منها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر، وما كان منها من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض، وما كان منها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالرياش الاصفر مبثوثة بالزمرّد الأخضر والفضة البيضاء والذهب الاحمر، قواعدها وأركانها من الجوهر، يثور من أبوابها وأعراصها نور مثل شعاع الشمس عنده مثل الكوكب الدريّ في النهار المضيء، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور جنتان مدهامتان فيهما عينان نضاختان وفيهما من كل فاكهة زوجان، فلما أن أرادوا أن ينصرفوا إلى منازلهم ركبوا على براذين من نور بأيدي ولدان مخلدين، بيد كل واحدٍ منهم حكمة برذون من تلك البراذين لجمها وأعنّتها من الفضة البيضاء، وأثفارها من الجوهر، فلما دخلوا منازلهم وجدوا الملائكة يهنؤونهم بكرامة ربهم حتى إذا استقروا قرارهم قيل لهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ قالوا: نعم ربنا رضينا فارض عنا، قال:

برضاي عنكم وبحبّكم أهل بيت نبيي أحللتم داري وصافحتكم الملائكة، فهنيئاً هنيئاً غير محذورٍ وليس فيه تنغيص، فعندها قالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور[١].

الرواية الثانية: عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩] فبلغني أن طوبى شجرة في الجنة، ثابتة في دار علي بن أبي طالب وهي له ولشيعته، وعلى تلك الشجرة أسفاط فيها حلل من سندس وإستبرق يكون للعبد منها ألف سفط، في كل سفط مائة ألف حلة ليس منها حلة إلا مخالفة للون الأخرى إلّا أنّ ألوانها كلها خضر من سندسٍ وإستبرقٍ، فهذا أعلى تلك الشجرة، ووسطها ظللهم يظل عليهم، يسير الراكب في ظل تلك الشجرة مائة عامٍ قبل أن يقطعها، وأسفلها ثمرتها متدلى على بيوتهم، يكون منها القضيب مثل القصبة فيه مائة لون من الفواكه، ما رأيت ولم تر، وما سمعت ولم تسمع، متدلى على بيوتهم، كلما قطعوا منها ينبت مكانها، يقول الله تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقِعَة: ٣٣] وتدعى تلك الشجرة طوبى، ويخرج نهر من أصل تلك الشجرة فيسقي جنة عدن وهي قصر من لؤلؤة واحدة ليس فيها صدع ولا وصل، لو اجتمع أهل الاسلام كلها على ذلك القصر لهم فيه سعة، لها ألف ألف باب، وكل باب مصراعان من زبرجدٍ وياقوتٍ، اثنا عشر ميلاً، لا يدخلها إلّا نبيٌّ أو صدّيق أو شهيد أو متحاب في الله، أو ضعيف من المؤمنين، تلك منازلهم وهي جنة عدن»[٢].

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٨ / ص١٥١.
(٢) المصدر - ج ٨ / ص١٥٤.

مكان شجرة طوبى

سؤال: أين مكان شجرة طوبى؟

الجواب: الروايات تكفّلت لبيان ذلك ومنها:

الرواية الأولى: طوبى في بيت عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ففي الرواية. . . قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: لما دخلت الجنة رأيت فيها شجرة طوبى، أصلها في دار علي، وما في الجنة قصر ولا منزل إلا وفيها قتر(١) منها وأعلاها أسفاط(٢) حلل من سندسٍ وإستبرقٍ يكون للعبد المؤمن ألف ألف سفط في كل سفط مائة ألف حلةٍ ما فيها حلّة تشبه الأخرى على ألوان مختلفة وهو ثياب أهل الجنة، وسطها ظلّ ممدود، عرض الجنة كعرض السماء والأرض أُعدّت للذين آمنوا بالله ورسله، يسير الراكب في ذلك الظل مسيرة مائة عامٍ فلا يقطعه وذلك قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقِعَة: ٣٠] وأسفلها ثمار أهل الجنة وطعامهم متذلل في بيوتهم، يكون في القضيب منها مائة لونٍ من الفاكهة مما رأيتم في دار. . . الدنيا وما لم تروه وما سمعتم به وما لم تسمعوا مثلها، وكلّما يجتنى منها شيء نبتت مكانها أخرى ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقِعَة: ٣٣] ويجري نهر في أصل تلك الشجرة ينفجر منه الأنهار الأربعة ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ

---

(١) قال الفيروز آبادي: القتر القدر ويحرك وفي بعضها قنو بالكسر أي: عذق / بحار الأنوار: العلّامة المجلسي: ج ٤٣ / ص١٠١.

(٢) جمع السفط: وعاء كالقفة أو الجوالق. ما يعبّأُ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء.

مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمّد: ١٥][(١)].

الرواية الثانية: طوبى في دار رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: عن زيدٍ بن علي عليه السلام قال: دخل على النبي «صلّى الله عليه وآله» رجل من أصحابه ومعه جماعة فقال: يا رسول الله أين شجرة طوبى؟ فقال: في داري في الجنة، قال: ثم سأله آخر فقال: في دار عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام في الجنة، فقال: يارسول الله سألناك آنفا فقلت: في داري ثم قلت: في دار علي بن أبي طالب! فقال له: إن داري وداره في الدنيا والآخرة في مكان واحد إلا أنا إذا هممنا بالنساء استترنا بالبيوت»[(٢)].

الرواية الثالثة: **طوبى في دور المؤمنين**: عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: إن في الجنّة لشجرة يقال لها طوبى، ما في الجنة دار إلا فيها غصن مِن أغصانها، أحلى من الشهد، وألين من الزبد، أصلها في داري وفرعها في دار عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام [(٣)].

الرواية الرابعة: **طوبى في قصور الجنة**: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: إنّ في الجنّة شجرةً يقال لها طوبى، ما في الجنة دار ولا قصر ولا حجرٌ ولا بيت إلّا وفيه غصن من تلك الشجرة وإن أصلها في داري. ثم أتى عليه ما شاء الله، ثم حدثهم في يوم آخر: إن في الجنة شجرةً يقال لها طوبى، ما في الجنة قصر ولا دار ولا بيت إلّا وفيه من ذلك الشجر غصن وإن أصلها في دار علي.

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٨ / ص١٣٧.
(٢) المصدر - ج ٨ / ص١٩٦.
(٣) المصدر - ج ٨ / ص١٥١.

فقام عمر فقال: يا رسول الله أو ليس حدثتنا عن هذه وقلت: أصلها في داري؟ ثم حدثت وتقول: أصلها في دار عليّ! فرفع النبي «صلّى الله عليه وآله» رأسه فقال: أوما علمت أن داري ودار عليٍّ واحد، وحجرتي وحجرة عليٍّ واحد، وقصري وقصر عليٍّ واحد، وبيتي وبيت عليٍّ واحد، ودرجتي ودرجة عليٍّ واحد، وستري وستر عليٍّ واحد؟ فقال عمر: يارسول الله إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله كيف يصنع؟ فقال النبي «صلّى الله عليِّه وآله»: إذا أراد أحدنا أن يأتي أهله ضرب الله بيني وبينه حجاباً من نور فإذا فرغنا من تلك الحاجة رفع الله عنا ذلك الحجاب(١).

الرواية الخامسة: طوبى ثمارها أغصانها تمتد إلى دور الجنان: عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾ قال النبي «صلّى الله عليِّه وآله»: لما أسري بي فدخلت الجنة فإذا أنا بشجرةٍ كل ورقةٍ منها تغطي الدنيا وما فيها، تحمل الحلي والحلل والطعام ما خلا الشراب، وليس في الجنة قصر ولا دار ولا بيت إلا فيه غصن من أغصانها، وصاحب القصر والدار والبيت حلية وحلله وطعامه منها، فقلت: يا جبرئيل ما هذه الشجرة؟ قال: هذه طوبى، فطوبى لك ولكثير من أمتك، قلت: فأين منتهاها؟ يعني: أصلها قال: في دار عليٍّ بن أبي طالبٍ ابن عمّك عليه السلام (٢).

(١) المصدر - ج ٨ / ص١٤٨.
(٢) المصدر - ج ٨ / ص١٥٠.

شجرة طوبى وعلاقتها بأمير المؤمنين عليه السلام

سؤال: ما علاقة شجرة طوبى بأمير المؤمنين عليه السلام؟

الجواب: عن أبي جعفر محمد بن علي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: لما أُسري بي إلى السماء فصرت في السماء الدنيا حتى صرت في السماء السادسة فإذا أنا بشجرةٍ لم أر شجرةً أحسن منها ولا أكبر منها، فقلت لجبرئيل: يا حبيبي ما هذه الشجرة؟ قال: طوبى يا حبيبي، قال: فقلت: ما هذا الصوت العالي الجهوري؟ قال: هذا صوت طوبى، قلت: أيّ شيءٍ يقول؟ قال: يقول: واشوقاه إليك يا عليُّ بن أبي طالب عليه السلام [(١)].

الزهراء عليها السلام وشجرة طوبى

سؤال: ما هي علاقة شجرة طوبى بالزهراء عليها السلام؟

الجواب: مجموعة روايات تحدّثت لبيان ذلك ومنها:

أولاً: أنّ نطفة الزهراء عليها السلام من شجرة طوبى ففي الرواية... كان رسول الله «صلّى الله عليه وآله» يكثر تقبيل فاطمة عليها وعلى أبيه أو بعلها وأولادها ألف ألف التحية والسلام، فأنكرت ذلك عائشة فقال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: يا عائشة إنّي لمّا أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها، فأكلته

(١) المصدر - ج ٨ / ص١٥٠.

فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فما قبلتها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها»[1].

الرواية الثانية: عن أبان بن تغلب قال: كان النبي «صلّى الله عليه وآله» يكثر تقبيل فاطمة قال: فعاتبته على ذلك عائشة فقالت: يا رسول الله إنك لتكثر تقبيل فاطمة! فقال لها: ويلك لما أن عرج بي إلى السماء مرّ بي جبرئيل على شجرة طوبى فناولني من ثمرها فأكلتها فحوّل الله ذلك إلى ظهري، فلما أن هبطت إلى الأرض واقعت بخديجة فحملت بفاطمة عليها السلام، فما قبلت فاطمة إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها[2].

علاقة شجرة طوبى بزواج الزهراء وأمير المؤمنين عليهما السلام

سؤال: ما علاقة شجرة طوبى بزواج النورين عليهما السلام؟

الجواب:

أولاً: شجرة طوبى تحتفل بزواج النورينّ علي وفاطمة عليهما السلام: عن بلال بن حمامة قال: طلع علينا النبي «صلّى الله عليه وآله» ذات يومٍ ووجهه مشرق كدارة القمر، فقام عبد الله بن عوف وقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ فقال: بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي، وأن الله زوّج علياً بفاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاعاً يعني: صكاكاً بعدد محبي أهل بيتي، وأنشأ من تحتها

(١) المصدر - ج ٨ / ص١٢٠.
(٢) المصدر - ج ٨ / ص١٤٢.

ملائكةً من نور ودفع إلى كل ملكٍ صكاً فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا تلقى محباً لنا أهل البيت إلا دفعت إليه صكّاً فيه فكاكه من النار، بأخي وابن عمي وابنتي فكاك رجال ونساء من أمّتي من النار(١).

ثانياً: طوبى تحمل الدر والياقوت بالزواج الميمون: عن الإمام الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: أتاني ملك فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: قد زوّجت فاطمة من علي فزوجها منه، وقد أمرت شجرة طوبى أن تحمل الدرّ والياقوت والمرجان، وإن أهل السماء قد فرحوا لذلك، وسيولد منها ولدان سيدا شباب أهل الجنة، وبهما يزين أهل الجنة، فأبشر يا محمدُ فإنك خير الأولين والآخرين(٢).

أغصان شجرة طوبى

سؤال: ما هي أغصانها الطيبة؟

الجواب: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»... : فو الذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ من تعاطى باباً من الخير في هذا اليوم فقد تعلّق بغصنٍ من أغصان شجرة طوبى فهو مؤدّيه إلى الجنّة، وإنّ من تعاطى باباً من الشرّ في هذا اليوم فقد تعلّق بغصن من أغصان شجرة الزّقّوم، فهو مؤديّه إلى النّار، ثمّ قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: فمن تطوّع لله بصلاةٍ في

(١) المصدر - ج ٢٧ / ص١١٧.
(٢) المصدر - ج ٤٣ / ص١٠٥.

هذا اليوم فقد تعلّق منه بغصن، ومن صام في هذا اليوم تعلّق منه بغصن، ومن أصلح بين المرء وزوجه، والوالد وولده، والقريب وقريبه، والجار وجاره، والأجنبيّ والأجنبيّ، فقد تعلّق بغصن منه، ومن خفّف عن معسرٍ من دَينه، أو حطّ عنه فقد تعلّق منه بغصن، ومن نظر في حسابه فرأى دَيناً عتيقاً قد أيس منه صاحبه فأدّاه فقد تعلّق منه بغصن، ومن كفل يتيماً فقد تعلّق منه بغصن، ومن كفّ سقيماً عن عِرض مؤمنٍ فقد تعلّق منه بغصن، ومن تلا القُرآن أو شيئاً منه فقد تعلّق منه بغصن، ومن قعد يذكر الله ونعماءه ليشكره فقد تعلّق منه بغصن، ومن عاد مريضاً فقد تعلّق منه بغصن، ومن برّ فيه والديه أو أحدهما في هذا اليوم فقد تعلّق منه بغصن، ومن كان أسخطهما قبل هذا اليوم فأرضاهما في هذا اليوم فقد تعلّق منه بغُصن، وكذلك من فعل شيئاً من سائر أبواب الخير في هذا اليوم فقد تعلّق منه بغصن. . . ثمّ رفع رسول الله «صلّى الله عليه وآله» طرفه إلى السّماء مليّاً وجعل يضحك ويستبشر ثمّ أقبل على أصحابه فقال: والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لقد رأيت شجرة طوبى ترفع أغصانها وترفع المتعلّقين بها إلى الجنّة، ورأيت منهم من تعلّق منها بغصن ومنهم من تعلّق بغصنين أو بأغصان على حسب اشتمالهم على الطّاعات. . .[1]

وفي رواية أخرى: ثم أقبل على أصحابه فقال: يا عباد الله لو رأيتم ما رآه نبيكم محمد إذاً لأظمأتم لله بالنهار أكبادكم، ولجوّعتم له بطونكم، ولأسهرتم له ليلكم، ولأنصبتم فيه أقدامكم وأبدانكم،

(١) مفاتيح الجنان: باب أعمال اليوم الأول من شهر شعبان.

ولأنفدتم بالصّدقة أموالكم، وعرضتم للتلف في الجهاد أرواحكم. قالوا: وما هو يا رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فداك الآباء والأمهات والبنون والبنات والأهلون والقرابات، قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: والذي بعثني بالحق نبياً لقد رأيت تلك الأغصان من شجرة طوبى عادت إلى الجنة، فنادى منادي ربّنا خزّانها: يا ملائكتي! أُنظروا كلّ من تعلّق بغصنٍ من أغصان طوبى في هذا اليوم، فانظروا إلى مقدار منتهى ظل ذلك الغصن فأعطوه من جميع الجوانب مثل مساحته قصوراً ودوراً وخيرات، فأعطوه ذلك، فمنهم من أُعطي مسيرة ألف سنةٍ من كلّ جانبٍ، ومنهم من أعطي ثلاثة أضعافه، وأربعة أضعافه، وأكثر من ذلك على قدر قوّة إيمانهم، وجلالة أعمالهم[(١)].

نصرة الملائكة للمتعلقين بشجرة طوبى

وفي رواية نظر رسول الله «صلّى الله عليه وآله» إلى أقطار الأرض وأكنافها فجعل يتعجب تارة، وينزعج تارةً ثم أقبل على أصحابه فقال: طوبى للمطيعين كيف يكرمهم الله بملائكته، والويل للفاسقين كيف يخذلهم الله، ويكلهم إلى شيطانهم، والذي بعثني بالحق نبيّاً إني لأرى المتعلّقين بأغصان شجرة طوبى كيف قصدتهم الشياطين ليغووهم، فحملت عليهم الملائكة يقتلونهم ويسحطونهم ويطردونهم عنهم وناداهم منادي ربنا: يا ملائكتي ألا فانظروا كلّ ملك في الأرض إلى منتهى مبلغ نسيم هذا الغصن الذي تعلق به متعلّق فقاتلوا الشيطان عن ذلك المؤمن

(١) المصدر - ج ٩٤ / ص٦٣.

وأخروهم عنه فإني لأرى بعضهم وقد جاءه من الأملاك من ينصره على الشياطين، ويدفع عنه المردة، ألا فعظّموا هذا اليوم من شعبان من بعد تعظيمكم لشعبان، فكم من سعيدٍ فيه، وكم من شقيٍّ لتكونوا من السعداء فيه ولا تكونوا من الأشقياء(١).

(١) المصدر - ج ٩٤ / ص٦٣.

الموضوع الخامس والثلاثون

ما هو حقيقة السر المستودع؟

«اللّهمّ بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسّر المستودع فيها . . . »(١).

تمهيد...

يقول العلّامة فاضل المسعودي «أعزّه الله»: إنّ حقيقة السر المستودع يظهر (تظهر) لنا من خلال عدة احتمالات نحتملها في كونها هي مفاد السر المستودع، ولا نقصد أنّ ظهور هذه الاحتمالات يكون بالقطع اليقيني، كلّا فإن الأمر أعلى وأجلُّ من أن يظهره قلم أو يحظُرَ

---

(١) يقول العلّامة محمد فاضل المسعودي في كتابه الأسرار الفاطميّة ص٢٥: الحديث لم نرَ له سنداً في أيِّ كتاب من الكتب المتداولة ولم يُرو عن أيّ معصوم من أهل بيت العصمة، ولكن وجدناه مكتوباً في كتاب فاطمة بهجة قلب المصطفى تحت عنوان دعاء التوسل بها عليها السلام حيث رواه مؤلف الكتاب الشيخ الهمداني بقوله: سمعت شيخي ومعتمدي آية الله المرحوم ملّا عليّ المعصومي يقول في التوسل بالزهراء عليها السلام «إلهي بحقّ فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها . . . ».
وأيضاً وجدنا هذا الدعاء ضمن الوصايا المهمة التي أوصى بها آية الله المرعشي النجفي أبناءه بالمداومة على قراءته وبالخصوص ابنه الكبير حيث يقول: وأوصيه - أي ابنه الأكبر - بمداومة قراءة هذا الدعاء الشريف في قنوتات فرائضه. . . اللهم إنّي أسألك بحقّ فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسّرّ المستودع فيها أن تصلّي على محمدٍ وآل محمدٍ وأن تفعل بي ما أنت أهلّه ولا تفعل بي ما أنا أهلُه. . . .

على ذهن كاتبٍ أو عالمٍ، وإنّما الأمر يتجاوز المقام، فإنّ من الأسرار التي يمتلكُها أهلُ البيت عليهم السلام ما لم يخطر على بال بشرٍ، وكيف لا وهم الذين اصطفاهم الله تعالى ليكونوا الدالين على مرضاته وهم الصراط الاقوم.

سؤال: هل هذه الاحتمالات وفق قرائن أم اجتهادات؟

الجواب: هذه الاحتمالات وفق شواهد وقرائن تدلُّ عليها. وهذا لا يعني أنّها هي السِّرُّ المستودع في فاطمة عليها السلام.

احتمالات السر المستودع في فاطمة عليها السلام

أولاً: السِّرُّ المستودع هو الإمام المهديّ عجّل الله فرجه: قد يكون السِّرُّ هو صاحب الزمان (عجّل الله فرجه) الذي سوف يُظهِر الله الدين كلّه على يديه في آخر الزمان، لكون الزهراء عليها السلام جدّته، وخصوصاً نحن نعلم أن الأئمة من ولدها، فعليه قد يكون السِّرُّ الذي سوف يُظهِرهُ الله في وقته هو الإمام الحجة...

مناقشة هذا الاحتمال: وقد يرد على هذا الاحتمال أَنّهُ إذا كان المهدي (عجّل الله فرجه) سرّاً من الأسرار المستودعة في فاطمة في ذلك الزمان ولم يعرف ولم يُظهر لأحدنا فإنّ هذا القول الآن يُصبح منتفياً؛ لكون مسألة الإمام المهدي والوعد الالهيّ فيه أصبحت من المسلّمات عند أكثر المسلمين، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى، إنّ الدعاء يتضمّن التوسُلَّ بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها... ولفظة بنيها تشملُ كلَّ أبناء الزهراء المعصومين، والدعاء في ختامه يقول (والسرّ المستودع)، فإنّه لا

معنى لأنْ يتوسّل المؤمن بالسِّرّ المستودع الذي يكون المهديّ (عجّل الله فرجه) وفي نفس الوقت يتوسّل ببنيها، الذي هو منهم ومشترك معهم.

مناقشة المناقشة

- ورُبما يجاب بأنّهُ من باب ذكر الخاصّ بعد العام ليفيد الحصر أو الاختصاص؟!!!
- ولعل السِّرُّ هو الإمام المهدي عجّل الله فرجه؛ لأنه يرجع الدّين غضّاً طريّاً...
- ويظهر مظلوميّة النبيّ وآله (عليه وآله السلام) حيث ورد أنّه ينادي في المدينة (يالثارات جدتي فاطمة عليها السلام) وفي كربلاء ينادي (بمظلومية سيّد الشهداء ومنها اخراج رضيع الإمام الحسين عليه السلام وينادي بأيِّ ذنب يذبح هذا الرضيع!!!).

الثاني: وقد يكون السِّرُّ المستودع إشارةً إلى أنّ ولايةَ الله تعالى ستكون في ولد فاطمة وأنّ الأئمّة المعصومين منها «سلام الله عليها»، وقد وردت عدّة شواهد روائيةٍ تدل على أن الأئمة من ولد فاطمة عليها السلام وان الولاية فيهم والإمامة منحصرة في وجودهم المبارك وهذا ما اثبته القرآن الكريم والسنة الشريفة. ويكفي في إثبات ولايتهم ما جاء في كتاب الغدير للعلامة الأمينيّ، ومن الشواهد في هذا الأمر ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبيّ «صلّى الله عليه وآله» في حديثٍ طويل حيثُ قال: «إنّ الله عزَّ وجلَّ نظر إلى الأرض ثالثةً فاختار منها أحد عشر إماماً... وأمّهم فاطمة ابنتي»[1].

(١) إحقاق الحقّ ٥/ ٤٠.

مناقشة هذا الاحتمال:

- ويرد عليه كون الدعاء، يقول: (بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسّرِّ المستودع) فيكون تكراراً للقسم بالأئمة الذين هم بنوها وكذلك بالسّرِّ المستودع الذي هو الأئمّة.

- وفي اللغة العطف يقتضي المغايرة.

- أضف إلى ذلك أنّ ولايتهم ظهرت وبانت إلى الناس وهم عليهم السلام بينوها وطالبوا بها في احتجاجاتٍ عديدةٍ. ومنها هذا الاحتجاج الوارد عن الإمام الحسن عليه السلام (عن سليم بن قيس قال: قام الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام على المنبر حين اجتمع مع معاوية، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس إنّ معاوية زعم: أني رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً وكذب معاوية، أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيّ الله، فأقسم بالله لو أنّ الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني، لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية، ولقد قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: (ما ولّت أمّة أمرها رجلاً قطُّ وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ملّة عبدة العجل). وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أنّ هارون خليفة موسى، وقد تركت الأُمّة علياً عليه السلام وقد سمعوا رسول الله «صلّى الله عليه وآله» يقول لعلي: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبيّ بعدي) وقد هرب رسول الله «صلّى الله عليه وآله» من قومه وهو يدعوهم إلى الله

حتى فرَّ إلى الغار، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم، ولو وجدت أنا أعواناً ما بايعتك يا معاوية.

وقد جعل الله هارون في سعةٍ حين استضعفوه وكادوا يقتلونه، ولم يجد عليهم أعواناً، وقد جعل الله النبيّ في سعة حين فرّ من قومه لمّا لم يجد أعواناً عليهم، كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركنا الأمّةُ وبايعت غيرنا ولم نجد أعواناً، وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً.

أيها الناس إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلاً من ولد النبيّ غيري وغير أخي»(١).

الثالث: السر المستودع هو أمرهم: كما في بصائر الدرجات عن الصادق عليه السلام: «إنّ أمرنا سِرٌّ مستتر وسرٌّ لا يفيده إلّا سِرٌّ، وسِرٌّ على سِرٍّ وسرٌّ مقنّع بسرّ».

سؤال: أيّ أمرٍ هذا؟

الجواب أنّهُ: لعلّه ولايتهم على البشر ولعله الخلافة من بعد الرسول «صلّى الله عليه وآله» ولعلّه أصل الاختيار الإلهيّ لهم عليهم السلام.

بيان علاقة أمر أهل البيت عليهم السلام بالزهراء عليها السلام

فالزهراء بما أنّها أم الأئمّة وهي حجة الله عليهم وأنّها مفروضة الطاعة على جميع البشر كما ورد ذلك في الأحاديث المأثورة تكون

(١) الاحتجاج ج٢: ٩.

الأسرار التي هي مودعة فيها معروفةً عند الأئمة وهم يحافظون عليها وقائمون بمقتضاها، أو تعلقاتها أو تبليغ دواعيها، ويحافظون على هذه الأسرار ولا يظهرونها لأحدٍ إلّا مَنْ كان محتملاً لعلمهم وأسرارهم ولذلك ظهر الشيء القليل منها، لسلمان وكميلٍ وأبي ذرٍّ وغيرهم من المؤمنين الممتحنين، فأمرهم هو سر الله تعالى المودع في فاطمة عليها السلام والأئمّةُ يحافظون على أسرار هذا الأمر وإن كان تفسير الأمر في الروايات المأثورة هو أمر الولاية، «السلام على محالّ معرفة الله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحفظة سرِّ الله»(١).

مناقشة الاحتمال: إن كان السرُّ هو الولاية فهي ظاهرة بين الناس وعلى الأقلّ بين شيعتهم... فكيف تكون سرّاً؟

وإن لم يكن كذلك كما في الحديث فهو يبقى سرّاً لا يكشف.

الرابع: السرُّ المستودع هو العلوم الربانية المودعة في فاطمة عليها السلام، وهذا ما نستطيع فهمه من خلال الأحاديث المروية في شأنها «سلام الله عليها» حيث كانت المحدَّثة من قبل الملائكة وكان لها مصحف يتوارثه الأئمة واحداً بعد واحد وفيه كل ما يحتاجونه من الذي يجري على البشر وفيه أسماء الحكام الذين يحكمون وحكموا من زمن آدم إلى آخر يومٍ من الدنيا، وعليه نحتمل أن يكون المصحف هو السرُّ المودع في فاطمة وهذا فيه من الأمور التي لم يطّلع عليها سوى أبناء الزهراء الأئمّة المعصومين الذين يتوارثون هذا المصحف وينظرون فيه وهو من إملاءِ رسول الله وربما (يكونُ) من املاء الإمام عليٍّ بن أبي

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة.

طالب عليه السلام، وهذا ما أشارت إليه جملة من الروايات الواردة في المقام ومنها: ما رواه أبو بصير بالسند المتّصل قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: إني أسألك جعلت فداك عن مسألةٍ ليس ها هنا أحدٌ يسمع كلامي فرفع أبو عبدالله عليه السلام ستراً... «وساق الحديث»... حتى أجابه الإمام قائلاً: «وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة. قال: (مصحف فيه مثل قرآنكم هذا) ثلاث مرّاتٍ والله ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحد إنّما هو شيءٌ أملاها الله وأوحى إليها قال: قلتُ: هذا والله هو العلم إنه لعلم وليس بذاك قال: ثمّ سكت ساعةً ثم قال: إنّ عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال: قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال: إنّه العلم وما هو بذاك، قال: قلت جعلت فداك، فأيُّ شيءٍ هو العلم؟، قال: ما يحدث باللّيل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة»[(١)].

مناقشة هذا الاحتمال:

وهذا الوجه غير تامّ؛ لأنّه على هذا الأساس يكون المصحف متّأخراً رتبةً في الوجود والظهور... عن السِّرِّ المستودع في فاطمة والذي كان بعد امتحانها قبل الخلق... فعليه يكون هذا الاحتمالُ (في كون المصحف هو السِّرَّ المستودع في فاطمة عليها السلام) بعيداً... لذا تكون العلوم الربّانيّة ليست هي السِّرَّ المستودع وخصوصاً نحن نعلم أنّهُ ورد في الرواية الشريفة عن أبي عبدالله عليه السلام أنّهُ قال: (إنّ عندنا والله سرّاً من

(١) بصائر الدرجات: ٣/ ١٧٢ ح٣.

سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان والله ما كلّف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا . . .)[١] .

فيتبين من هذه الرواية أنّ عند أهل البيت بما فيهم فاطمة عليها السلام عندهم سراً من سر الله تعالى، وهذا غير العلم وإلا لكان الإمام يقول: العلم نفسه السر، بل إنّهُ فصّل بين السر والعلم، فعليه يكون العلمُ غير السر المستودع فيهم عليهم السلام .

(١) الكافي: ١/٤٦٧ ح ٥.

الموضوع السادس والثلاثون
فاطمة عليها السلام حجة الله الكبرى
(القسم الأول)(١)

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال «نَحْنُ حُجج الله على خلقه، وجّدُتنا فاطمة عليها السلام حُجّةُ الله علينا»(٢).

سؤال: ما معنى الحجة في اللغة والاصطلاح؟

الجواب: الحجّة كل شيء يصلح لأن يحتجّ به على الغير سواء في الدنيا أو الآخرة.

المحجّة: وعلى ضوء التعاريف اللغويّة والأصوليّة والمنطقيّة يُقال: قد لاح مفهوم آخر غير الحجة وهو المحجة وهو المسلك والطريق الذي يتوصّل به إلى الغير، والمحجة هي الطريق السليم الذي لا اعوجاج فيه.

سؤال: ما معنى الحجّة في الآيات والروايات؟

الجواب...

أولاً: الآيات... ومنها

- إحتجاج الله على العباد يوم القيامة، حيث قال تعالى: ﴿رُّسُلًا

(١) يُنظر الأسرار الفاطميّة للعلّامة محمد فاضل المسعوديّ ص٦٩-٧٥.
(٢) تفسير أطيب البيان: ١٣/ ٢٢٦.

مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: ١٦٥].

- إحتجاجُ النبيّ «صلّى الله عليه وآله» على النصارى لإثبات عبودية عيسى عليه السلام لله سبحانه حيث قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٦١].

- إحتجاجُ إبراهيم عليه السلام مع النمرود حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرة: ٢٥٨].

ثانياً: الروايات

- إحتجاجُ الله سبحانه على العباد يوم القيامة ومطالبتهم بالعلم والعمل حيث سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] فأجاب عليه السلام: «قال إذا كان يومُ القيامةِ قال الله تعالى للعبد: أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم. قال له: أفلا عملت بما علمت. وإن قال كنت جاهلاً قال له: أفلا تعلّمت؟ فتلك الحجّة البالغة لله تعالى»(١).

- إحتجاجُ الرسول «صلّى الله عليه وآله» لإثبات مقام الولاية العظمى

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ١ / ص١٧٨.

لآل البيت عليهم السلام حيث قال «صلّى الله عليه وآله»: إنّي مستخلف فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. واللفظة الاخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله «صلّى الله عليه وآله»: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ما إن تمسكتم بهما لم تضلوا[1].

- إحتجاج تلاميذ الائمة لإثبات ولايتهم: عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابنا منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ فقال هشام: يا ابن رسول الله إني أُجلك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشيءٍ فافعلوا. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك علي فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتدٍ بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي، ثم قلت: أيها العالم؟ إني رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال: يا بنيّ أيُّ شيءٍ

(١) المصدر - ج ٢ / ص٢٢٦.

هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا مسألتي، فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء قلت. أجبني فيها، قال لي: سل، قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة، قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك أُذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت. قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أُميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح والحواس، قلت: أَوليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب؟ فقال: لا، قلتُ: وكيف ذلك وهي صحيحةٌ سليمةٌ؟ قال: يا بنيّ! إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك: قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لابُدّ من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكّك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً. ثم التفت إليّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم فقلت: لا، قال: أَمِنْ جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت، قال: قلت: من أهل الكوفة. قال: فأنت إذاً هو، ثم

ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت، قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام، من علّمك هذا؟ قلت: شيءٌ أخذته منك وألفته، فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى[١].

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج **٢٣** / ص٨.

الموضوع السابع والثلاثون

فاطمة حجة عليها السلام الله الكبرى

(القسم الثاني)

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال «نَحْنُ حُجج الله على خلقه، وجدّتُنا فاطمة عليها السلام حُجّةُ الله علينا»(١).

سؤال: ما هو الهدف من خلق الإنسان؟

الجواب: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦] فالعبادة لا تتمُّ إلّا بمعرفة الله تعالى، ومعرفته لا تتمّ إلّا برُسُله وأوليائه، إذ هم حججه على العباد في كلِّ زمان، فهم الطريق إليه والمسلك إلى سبيله.

سؤال: كيف نثبت الأنبياء والرسل؟

الجواب: ... عن أبي عبد الله عليه السلام ... قال: «إنّما أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يُعبّرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه

(١) دلائل الإمامة: ص٢٨ نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج٢١، ص: ١٥٦.

فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعزّ وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيءٍ من أحوالهم، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثُمّ ثبت ذلك في كل دهرٍ وزمانٍ ممّا أتت به الرسل والأنبياءُ من الدلائل والبراهين، لكي لا تخلو أرضُ الله من حجةٍ يكون معه علمٌ يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته»(١).

فالحجّة إذن: هو الدليل إلى الله تعالى يُحذّر به عباده وينذرهم ويهديهم. فمقام الحجية إلهيّ تصل بوساطته العلوم الإلهية اللدنيّة إلى عباده(٢).

سؤال: إذا كانت المعرفة لا تتمّ بصورة مباشرة واحتجنا إلى الأنبياء والرسل والأوصياء فلماذا يختار الله البعض دون البعض الأخر ليكون حجةً على الغير، ألا يكون هذا خلاف العدل الإلهي؟

الجواب: لابُدّ من معرفة المؤهّلات والشروط التي تتوفر في السفراء الإلهيّين. ورأي الإماميّة بأنه (أي: منصب النبوة أو الرسالة أو الإمامة) منصب إلهيٌّ وهو الحقّ بعد البحث والتحقيق حيث يقول العلامة اية الله العظمى السيد كمال الحيدري «دام ظله»(٣): واستندوا في ذلك إلى القرآن الكريم والروايات لإثبات... أنّها (أي السفارة الالهية) عهد إلهيٌّ، وجعلٌ ربانيٌّ، ونصبٌ منه سبحانه وتعالى، وهذا صريح الآيات

(١) الكافي، كتاب الحجة ١: ١٢٨.
(٢) مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب والسنة: الشيخ محمد السند: ص١٩.
(٣) ينظر يوسف الصديق رؤية قرآنية، ص: ٧١.

والروايات ولاسيما في مسألة الإمامة والتي وقع فيها الاختلاف بين مدرسة الخلفاء حيث قالوا: تتمّ بالشورى أو بانتخاب أهل الحل والعقد، بينما مدرسة أهل البيت عليهم السلام قالوا بالنصّ... ومن تلك الآيات:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وأمّا من حيث الروايات، ففي الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام في خطبةٍ له يذكر فيها حال الأئمّة عليهم السلام وصفاتهم: «إنّ الله عزَّ وجلَّ أوضح بأئمّة الهدى من أهل بيت نبيّنا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه... فمن عرف من أمّة محمّد «صلّى الله عليه وآله» واجب حقّ إمامه، وجد حلاوة إيمانه، وعَلِم فضل حلاوة إسلامه؛ لأنّ الله تبارك وتعالى نصَب الإمام علَماً لخلقه، وجعله حجّةً على أهل موادّه(١) وعالمه...». إلى أن يقول عليه السلام: «ولا يُنال ما عند الله إلّا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلّا بمعرفته... ويرضى بهم لخلقه ويرتضيهم، كلّما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً، عَلَماً بيّناً، وهادياً نيّراً، وإماماً قيّماً، وحجّةً عالماً، أئمّة من الله، يهدون بالحقّ وبه يعدلون... يدين بهديهم العباد، وتستهلّ بنورهم البلاد، وينمو ببركتهم التِّلاد، جعلهم الله حياةً للأنام، ومصابيح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام، جرت بذلك مقادير الله على محتومها.

(١) قال المجلسي: «المادّة: الزيادة المتّصلة، أي: الذين يصل إليهم رزقه تعالى وتربيته، أو هداياته وتوفيقاته الخاصّة». مرآة العقول، محمّد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلاميّة، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ: ج ٢ ص٤٠٠.

فالإمام هو المنتجب المرتضى، والهادي المنتجى، والقائم المرتجى، إصطفاه الله بذلك... واختاره بعلمه، وانتجبه لطهره، بقيّة من آدم عليه السلام، وخيرة من ذرّية نوح، ومصطفىً من آل إبراهيم، وسلالة إسماعيل، وصفوة من عترة محمّدٍ «صلّى الله عليه وآله»(١).

فالإمامة والرِّسالة والنبوّة أمرها بيد الله تعالى، ولا مجال لدعوى تفويض أمرها إلى اختيار الناس وانتخابهم.

فهناك صفات لابدّ من توفّرها في الإمام ونعني بها الصفات التى يلزم أن يتحلّى بها الفرد عند بلوغه تلك المرتبة، وهي مرتبة تسلّم عهد الله سبحانه وتعالى، كما تحلّى بها نبيّ الله وخليله إبراهيم عليه السلام.

صريح آية الإمامة أنّ جَعْل إبراهيم عليه السلام إماماً لم يكن إلّا بعد إتمامه الكلمات التى ابتُلي بها، وعليه فلابدّ لكلّ مَن يُراد له أن يكون إماماً للناس مِن قطع الشوط الذي قطعه سيّدنا إبراهيم عليه السلام حتّى بلغ تلك المرتبة، وكذلك إتمام الكلمات كما أتمّها إبراهيم عليه السلام.

ولكنّ تلك الكلمات لم توضّحها الآية الشريفة نفسها، ليتسنّى لنا ملاحظتها في الآخرين عند الحكم لهم بتسلّم منصب الإمامة.

ويمكن استيضاح هذه الحقيقة من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فقد أوضحت هذه الآية الشريفة أنّ الإمامة لابدّ فيها من عنصرين مرتبطين ببعدين في شخصيّة الإنسان، هما:

١ - البعد العملي، وهو الصبر.

---

(١) أصول الكافي: ج ١ ص٢٠٣.

٢ - البعد العلمي، وهو اليقين.

فينبغي للإمام أن يكون مزوّداً بهذين العاملين، فهو على مستوى العمل متوشّح بـ «الصبر»، وعلى مستوى العلم متحلٍّ بـ «اليقين».

ملاكات الإمامة

وبالاستناد إلى الظواهر القرآنية ومنها الآية المتقدّمة يظهر لنا أنّ هذين العنصرين أو الشرطين هما من ملاكات الإمامة والمناط في جعل الإمامة وتسنّم هذا المنصب الأرفع، لذا اقتضى الأمر الإطلالة على ملاكات السفراء الإلهيين وبيان حقيقة هذين العنصرين.

أولاً: البعد العملي: الصبر

أمّا البعد الأوّل فقد عدّه القرآن الكريم من صفات الأنبياء عليهم السلام، ووصف الصابرين بالمهتدين في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

ثمّ وصف الصابرين أيضا بالمحسنين، وفي أكثر من موقع؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وقد ندب القرآن الكريم إلى الصبر في موارد كثيرةٍ، ومدحَ الصابرين وأجزل لهم المثوبة؛ قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وهكذا في كثير من الآيات الكريمة المادحة للصبر والصابرين.

كما نجد أهمّية الصبر بوضوح في نصوص السنّة الشريفة ومنها:

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس، فيأتون باب الجنّة فيضربونه، فيقال لهم: مَن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر. فيقال لهم: على مَ صبرتم؟ فيقولون كنّا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله عزَّ وجلَّ: صدقوا، أدخلوهم الجنّة. وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠](١).

من هنا فقد عدّ علماءُ الأخلاق الصبر أساس جميع الفضائل النفسيّة، وأصلاً لجميع مكارم الأخلاق، ومن خلال البحث يتبيّنُ أنّ الصبر وريث اليقين، بل اليقين يورث ما هو أعلى من الصبر بمراتب، وهو الرضا والتسليم لله سبحانه وتعالى؛ قال تعالى واصفاً خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٣١].

مصداقان لصبر السفراء الالهيين

الأول: صبر إبراهيم من أجل تنفيذ الأمر الإلهي

. . . إن إبراهيم عليه السلام حين أفاض من عرفات بات على المشعر الحرام. . . فرأى في النوم أنّه يذبح ابنه. . . فاستشار ابنه وقال كما حكى الله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص٧٥.

﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصَّافات: ١٠٢] فقال الغلام كما ذكر الله: إمض لما أمرك الله به: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصَّافات: ١٠٢] وسلّما لأمر الله وأقبل شيخ[١] فقال: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أريد أن أذبحه، فقال: سبحان الله تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عينٍ، فقال إبراهيم: إنّ الله أمرني بذلك، فقال: ربّك ينهاك عن ذلك، وإنما أمرك بهذا الشيطان، فقال له إبراهيم: ويلك إنّ الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به والكلام الذي وقع في أُذني فقال: لا والله ما أمرك بهذا إلّا الشيطان، فقال إبراهيم: لا والله لا أُكلّمك، ثم عزم على الذبح فقال: يا إبراهيم إنك إمام يُقتدى بك، وإنّك إن ذبحته ذبح الناس أولادهم، فلم يكلّمه وأقبل على الغلام واستشاره في الذبح، فلما أسلما جميعاً لأمر الله قال الغلام: يا أبتاه خمّر وجهي، وشُدّ وثاقي، فقال إبراهيم: يا بنيّ الوثاق مع الذبح؟ لا والله لا أجمعهما عليك اليوم... ثم أضجعه... وأخذ المدية فوضعها على حلقه ورفع رأسه إلى السماء، ثم انتحى عليه المدية وقلب جبرئيل المدية على قفاها، واجتر الكبش من قبل ثبير وأثار الغلام من تحته، ووضع الكبش مكان الغلام، ونودي من ميسرة مسجد الخيف: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٦]... قال: ولحق إبليس بأُم الغلام حين نظرت إلى الكعبة في وسط الوادي بحذاء البيت فقال لها: ما شيخٌ رأيته؟ قالت: ذاك بعلي، قال: فوصيف رأيته معه؟ قالت: ذاك ابني،

(١) الشيطان تمثل له بشيخ.

قال: فإنّي رأيته وقد أضجعه وأخذ المدية ليذبحه، فقالت: كذبت إنّ إبراهيم أرحم الناس كيف يذبح ابنه؟! قال: فورب السماء والأرض وربِّ هذا البيت لقد رأيته أضجعه وأخذ المدية، فقالت: ولم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قالت: فحقٌّ له أن يطيع ربه...[(١)]

الثاني: النبي يوسف عليه السلام مع زوجة عزيز مصر

قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يُوسُف: ٢٣].

يقول العلامة الطباطبائي قدست روحه[(٢)]: «التدبر البالغ في أطراف القصة وإمعان النظر فيما محتف به الجهات والأسباب والشرائط العاملة فيها يعطي أن نجاة يوسف منها لم تكن إلا أمراً خارقاً للعادة وواقعة هي أشبه بالرؤيا منها باليقظة.

فقد كان يوسف عليه السلام رجلاً ومن غريزة الرجال الميل إلى النساء، وكان شاباً بالغاً أشده وذلك أوان غليان الشهوة وثوران الشبق، وكان ذا جمال بديع يدهش العقول ويسلب الألباب والجمال والملاحة يدعو إلى الهوى والترح، وكان مستغرقاً في النعمة وهنيء العيش محبوراً بمثوىً كريم وذلك من أقوى أسباب التهوس والإتراف، وكانت الملكة فتاةً فائقة الجمال وكذلك تكون حرم الملوك والعظماء.

وكانت لا محالة متزيّنةً بما يأخذ بمجامع كل قلب، وهي عزيزةُ

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ١٢ / ص١٢٦.
(٢) تفسير الميزان - العلّامة الطباطبائي - ج ١١ / ص٦٨.

مصر وهي عاشقة والهة تتوق إليها النفوس وتتوق نفسها إليه، وكانت لها سوابق الإكرام والإحسان والإنعام ليوسف وذلك كله مما يقطع اللسان ويصمت الإنسان، وقد تعرضت له ودعته إلى نفسها والصبر مع التعرض أصعب، وقد راودته هذه الفتانة وأتت فيها بما في مقدرتها من الغنج والدلال، وقد ألحت عليه فجذبته إلى نفسها حتى قدت قميصه والصبر معها أصعب وأشق، وكانت عزيزةً لا يرد أمرها ولا يثنى رأيها، وهي ربته خصه بها العزيز، وكانا في قصر زاهٍ من قصور الملوك ذي المناظر الرائقة التي تبهر العيون وتدعو إلى كلّ عيشٍ هنيء.

وكانا في خلوة وقد غلّقت الأبواب وأرخت الستور، وكان لا يأمن الشر مع الامتناع، وكان في أمن من ظهور الأمر وانتهاك الستر لأنها كانت عزيزةً بيدها أسباب الستر والتعمية، ولم تكن هذه المخالطة فائتة لمرة بل كان مفتاحاً لعيشٍ هنيءٍ طويل، وكان يمكن ليوسف أن يجعل هذه المخالطة والمعاشقة وسيلةً يتوسل بها إلى كثير من آمال الحياة وأمانيها كالملك والعزة والمال.

فهذه أسباب وأمور هائلة لو توجهت إلى جبلٍ لهدته أو أقبلت على صخرةٍ صماء لأذابتها ولم يكن هناك مما يتوهم مانعاً إلا الخوف من ظهور الأمر أو مناعة نسب يوسف أو قبح الخيانة للعزيز.

أما الخوف من ظهور الأمر فقد مر أنه كان في أمن منه.

ولو كان بدا من ذلك شيء لكان في وسع العزيزة أن تؤوله تأويلاً كما فعلت فيما ظهر من أمر مراودتها فكادت حتى أرضت نفس العزيز إرضاءً فلم يؤاخذها بشيء وقلبت العقوبة ليوسف حتى سجن.

وأما مناعة النسب فلو كانت مانعةً لمنعت إخوة يوسف عما هو أعظم من الزنا وأشد إثماً، فإنّهم كانوا أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب أمثال يوسف فلم تمنعهم شرافة النسب من أن يهموا بقتله ويلقوه في غيابة الجب ويبيعوه من السيارة بيع العبيد ويثكلوا فيه أباهم يعقوب النبي عليه السلام فبكى حتى ابيّضت عيناه.

وأمّا قبح الخيانة وحرمتها فهو من القوانين الاجتماعية، والقوانين الاجتماعية إنّما تؤثّر أثرها بما تستتبعه من التبعة على تقدير المخالفة، وذلك إنما يتم فيما إذا كان الإنسان تحت سلطة القوة المجرية والحكومة العادلة، وأما لو أغفلت القوة المجرية أو فسقت فأهملت أو خفي الجرم عن نظرها أو خرج من سلطانها فلا تأثير حينئذٍ لشيءٍ من هذه القوانين كما سنتكلّم فيه عن قريب.

فلم يكن عند يوسف عليه السلام ما يدفع به عن نفسه ويظهر به على هذه الأسباب القوية التي كانت لها عليه إلا أصل التوحيد وهو الإيمان بالله. وإن شئت فقل: المحبة الإلهية التي ملأت وجوده وشغلت قلبه فلم تترك لغيرها محلّاً ولا موضع إصبعٍ، فهذا هو ما يفيدهُ التدبر في القصة.

ثانياً: البعد العلميّ: اليقين

وأمّا اليقين فهو «العلم الذي لا يداخله شكّ وريب»(١). ويبدو من خلال الآيات الكريمة أنّ هذا اليقين لا يحصل إلّا بمشاهدة العوالم الأخرى غير المادّية؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

(١) الميزان: ج ٢٠، ص٣٥١.

فاليقين الذي حظي به سيّدنا إبراهيم عليه السلام عند مشاهدته ملكوت السماوات والأرض، ليس يقيناً معتمداً على البرهان والمنطق النظري، بل هو يقين حصل له من مشاهدة الحقائق الملكوتية نفسها.

مِن نتائج الصبر واليقين

رؤية بواطن الأشياء: يقول العلامة آية الله العظمى السيد كمال الحيدري «دام ظله»[1] هذه الرؤية: أهمّ المسائل التى أشار إليها القرآن الكريم والسنّة الشريفة، وأثبتها الدليل العقلي أيضاً. فسيكون لطاعات الإنسان صورة أُخروية تختلف عن صورتها في هذا العالم وهذه الصورة الأُخروية تمثّل حقيقة الفعل الدنيوي وجوهره، وكذلك المعاصي فإنّ لها صوراً أُخرويةً تختلف عمّا كانت عليه في هذه النشأة، فأكل مال اليتيم مثلًا يكون لذيذاً عند بعض الناس في صورته الدنيوية ولعلّه يشتري بمال اليتيم قصراً جميلًا أو يأكل طعاماً طيّباً لذيذاً، إلّا أنّ حقيقة هذا الفعل وجوهره تختلف تماماً عن ظاهره الجميل، وفي هذا المجال يذكر القرآن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ [النِّساء: ١٠].

فأكل مال اليتيم له باطن وصورة أُخرى وهو أنّه نار تلتهم البطون وتهلك الإنسان الآكل لهذا المال ظلماً!

من هنا، فإنّ الإنسان الذي يستطيع أن يقف على حقائق الأعمال ومعرفة بواطنها سوف لا يتخلّف عمله عن علمه مطلقاً، ولنضرب لذلك مثالًا من حياتنا الاعتيادية: إنّ الإنسان الذي احترق بالنار لمرّةٍ واحدةٍ

(١) الراسخون في العلم، ص: ١٠٨ - ١٠٩.

وذاق حرارتها واكتوى بها جلده في هذا العالم لا يقدم على وضع يده في النار مرّةً أُخرى باختياره بل لا يفكّر في ذلك أبداً، والسبب في هذا الامتناع هو علمه الوجداني والحضوري بألم النار، وكذلك لم يفكّر أحد منّا بأن يتناول السمّ في يوم من الأيّام وليس ذلك إلّا لأنّا نقف على حقيقة أنّ السمّ قاتل يؤدّي إلى الهلاك! فالإنسان إذا عرف بواطن هذه النشأة وحقيقة أعمالها سوف يترك ما لا ينبغي فعله بالتأكيد، وقد صرّح القرآن بأنّ الأنبياء وقفوا على ملكوت السماوات والأرض وكانوا من الموقنين.

مصداق لمن أيقن

روي عن أبى عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّ رسول الله «صلّى الله عليه وآله» صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شابٍّ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفرّاً لونه، قد نحف جسمه، وغارت عيناه في رأسه.

فقال له رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً.

فعجب رسول الله «صلّى الله عليه وآله» من قوله، وقال: «إنّ لكلّ يقينٍ حقيقةً، فما حقيقة يقينك؟!»

فقال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفَت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نُصب للحساب وحُشر الخلائق لذلك، وأنا فيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون، وعلى الأرائك متّكئون، وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون، وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي.

فقال رسول الله «صلّى الله عليه وآله» لأصحابه: «هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان».

ثمّ قال له: «إلزم ما أنت عليه»(١).

مزيد من الروايات لإثبات حقيقة الاصطفاء والاختيار

- . . . قال «صلّى الله عليه وآله»: لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى ودّعني جبرئيل عليه السلام قلت: يا جبرئيل حبيبي أفي هذا المكان تفارقني؟ فقال: إني لا أجوزه فتحترق أجنحتي ثمّ زخّ بي في النور ما شاء الله، وأوحى الله إليّ يا محمد إني اطلعت إلى الأرض إطلاعةً فاخترتك منها فجعلتك نبياً، ثم اطلعت اطلاعةً فاخترت منها عليّاً وجعلته وصيك ووارث علمك والإمام بعدك، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزان علمي، فلولاكم ما خلقت الدنيا والآخرة ولا الجنّة ولا النار. . .(٢)
- عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق، خلق ماءً عذباً، وماءً مالحاً أجاجاً، فامتزج الماءان فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين، وهم كالذر يدبون: إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا ابالي ثم قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. ثم أخذ الميثاق على النبيين، فقال: ألست بربكم وأن هذا محمّد رسولي وأن هذا عليٌّ أمير المؤمنين؟

---

(١) الكافي، ج ٢، ص٥٣.

(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٣٦ / ص٣٠٢.

قالوا: بلى. فثبتت لهم النبوة، وأخذ الميثاق على أولي العزم، أنني ربكم، ومحمد رسولي، وعلي أمير المؤمنين، وأوصياؤه من بعده ولاة أمري، وخزان علمي[(١)].

- عن الإمام الصادق عليه السلام . . . «إنّ الله تبارك وتعالى لما أراد أن يخلق آدم، خلق تلك الطينتين ثم فرقهما فرقتين، فقال لأصحاب اليمين: كونوا خلقاً بإذني، فكانوا خلقاً بمنزلة الذر يسعى، وقال لأصحاب الشمال: كونوا خلقاً بإذني، فكانوا خلقاً بمنزلة الذر يدرج. ثم رفع لهم نارا فقال: ادخلوها بإذني، فكان أول من دخلها محمد «صلّى الله عليه وآله» ثم اتّبعه أولو العزم من الرُّسُل. وأوصياؤهم وأتباعهم، ثم قال لأصحاب الشمال: أُدخلوها بإذني، فقالوا: ربّنا خلقتنا لتحرقنا؟ فعصوا، فقال لأصحاب اليمين: أُخرجوا بإذني من النار، فخرجوا لم تكلم منهم النار كلماً، ولم تؤثر فيهم أثراً. فلما رآهم أصحاب الشمال قالوا: ربّنا نرى أصحابنا قد سلموا، فأقلنا ومرنا بالدخول، قال: قد أقلتكم فادخلوها، فلما دنوا وأصابهم الوهج رجعوا فقالوا: يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق، فعصوا فأمرهم بالدخول ثلاثاً، كل ذلك يعصون ويرجعون»[(٢)].

- . . . عن أبي جعفر عليه السلام يقول: إن الله عزَّ وجلَّ لما أخرج ذريّة بني آدم من ظهره، ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبيّة له وبالنبوة لكلِّ نبي، فكان أوّل من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته، محمد بن عبد الله

(١) المصدر - ج ٦٤ / ص١١٤.
(٢) المصدر - ج ٦٤ / ص١٢٢.

«صلّى الله عليه وآله». ثم قال الله عزَّ وجلَّ لآدم: أُنظر ماذا ترى؟ قال: فنظر آدم عليه السلام إلى ذريّته وهم ذرّ قد ملؤا السماء، قال آدم عليه السلام: يا ربِّ ما أكثر ذريتي؟ ولأمر ما خلقتهم! فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ قال الله عزوجل: يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً ويؤمنون برسلي ويتبعونهم. قال آدم: يا ربّ فمالي أرى بعض الذر أعظم من بعض؟ وبعضهم له نورٌ كثيرٌ؟ وبعضهم له نورٌ قليلٌ؟ وبعضهم ليس له نورٌ أصلاً؟

فقال الله عزَّ وجلَّ: وكذلك خلقتهم لأبلوهم في كلّ حالاتهم. قال آدم عليه السلام: يا رب فتأذن لي في الكلام فأتكلم؟ قال الله عزوجل: تكلّم فإن روحك من روحي، وطبيعتك خلاف كينونتي، قال آدم عليه السلام: فلو كنت خلقتهم على مثال واحد، وقدر واحد، وطبيعة واحدة، وجبلة واحدة وألوان واحدة، وأعمار واحدة، وأرزاق سواء، لم يبغ بعضهم على بعض ولم يك بينهم تحاسد ولا تباغض، ولا اختلاف في شيءٍ من الأشياء.

... قال الله عز وجل: يا آدم... وأنا الخالق العليم، بعلمي خالفت بين خلقهم... وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم وأعمارهم، وأرزاقهم، وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد، والبصير والاعمى، والقصير والطويل، والجميل والدميم، والعالم والجاهل والغنيّ والفقير، والمطيع والعاصي، والصحيح والسقيم، ومن به الزمانة، ومن لا عاهة به. فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة، فيحمدني على عافيته، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن اعافيه، ويصبر على بلائي

فأثيبه جزيل عطائي، وينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير إلى الغنيّ فيدعوني ويسألني، وينظر المؤمن إلى الكافر، فيحمدني على ما هديته.

«وبعلمي النافذ فيهم»: أي: المتعلق بكنه ذواتهم وصفاتهم وأعمالهم، كأنه نفذ في أعماقهم، أو الجاري أثره فيهم «فجعلت منهم الشقيّ والسعيد» أي: من كنت أعلم عند خلقه أنه يصير شقياً، أو المادّة القابلة للشقاوة، وإن لم يكن مجبوراً عليها، وكذا السعيد «والبصير» أي: بصراً أو بصيرةً وكذا «الأعمى»[١].

سؤال: إذا كانت المصائر معلومة لدى الله سبحانه هل يصحُّ أن نتّكل على ما كتب لنا وندع العمل؟

الجواب: كلّا... وكما بيّن رسول الله «صلّى الله عليه وآله» حيث قال «صلّى الله عليه وآله»: ما منكم من أحد إلّا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: إعملوا فكل ميسر لِما خلق له، أمّا من كان من أهل السعادة فسييسرٌ لعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسرٌ لعمل الشقاوة[٢].

- عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزَّ وجلَّ خلق الخلق، فخلق من أحبُّ مما أحبُّ، فكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق ما أبغض مما أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار... ثم بعث فيهم النبيين، فدعوهم إلى الإقرار بالله عزَّ وجلَّ وهو قوله

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٦٤ / ص١٢٠.
(٢) المصدر - ج ٦٤ / ص١١٩.

تعالى «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله» ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبيين، فأقرّ بعضهم، وأنكر بعضهم، ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقرّ بها والله من أحبّ، وأنكرها من أبغض، وهو قوله ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۚ﴾ [يُونس: ٧٤].

صبر الزهراء عليها السلام

وإن كنت تسأل عن صبر الزهراء عليها السلام فيكفي أن تتأمّل في تلك الرواية عن أبي جعفر عليه السلام، قال: جمع رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّاً بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأغلق عليهم الباب وقال: يا أهلي وأهل الله! إن الله عزَّ وجلَّ يقرأُ عليكم السلام، وهذا جبرئيل معكم في البيت ويقول: إنّ الله عزَّ وجلَّ يقول: إنّي جعلتُ عدوكم لكم فتنةً، فما تقولون؟ قالوا: نصبر يا رسول الله لأمر الله وما نزل من قضائه حتى نُقدم على الله عزَّ وجلَّ ونستكمل جزيل ثوابه، وقد سمعناه يعد الصابرين الخير كله. فبكى رسول الله «صلّى الله عليه وآله» حتى سمع نحيبه من وراء البيت، فنزلت هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفُرقان: ٢٠]؛ إنهم سيصبرون، أي: سيصبرون كما قالوا صلوات الله عليهم أجمعين»[١].

(١) اللوامع النورانية: ص٢٥٧ ح ٥٢٥، تفسير البرهان: ج ٣ ص١٥٨. نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج٢١، ص: ٣٨.

الموضوع الثامن والثلاثون

فلسفة حجية الزهراء عليها السلام على الأئمة عليهم السلام

سؤال: ما معنى أنّ الزهراء عليها السلام حجّةٌ على الأئمة عليهم السلام (١)؟

الجواب: هو: أنّ لفاطمة عليها السلام مكانةً ساميةً ومقاماً عالياً. ويدلنا على ذلك، أنّها وصفت في الزيارة الخاصة بها بأنّها الصابرة وهو مقامٌ سامٍ، لذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠]، وفي الحديث الشريف: «جعل الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»(٢) كما أنها عليها السلام كانت فرحةً بالموت مائلةً إليه مستبشرةً بحلوله، وهذا أمرٌ عظيم لا تحيط الألسن بصفته ولا تهتدي القلوب إلى معرفته، وما ذاك إلا لأمرٍ علمه الله من أهل البيت الكريم وسرٌّ أوجب لهم مزّية التقديم.

ولقد كانت فاطمة عليها السلام العلّة الغائيّة التي من أجلها خلق الله الخلق.

ففي الحديث القدسي: «يا أحمد لولاك لما خلقت الافلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما»(٣).

---

(١) عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: نحن حججُ الله على خلقه وجدّتنا فاطمة حجّة الله علينا.

(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسيّ - ج ٢ / ص١١٥.

(٣) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ١٩، ص: ٣٥٧.

وهناك من الأحاديث الكثيرة ما يؤكد عظم مكانتها وفضلها حتى على الأنبياء: منها، الحديث الوارد عن أهل البيت عليهم السلام: وهو أنّهُ: «ما تكاملت نبوّة نبيٍّ من الأنبياء حتى أقرّ بفضلها ومحبتها وهي الصِّدِّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»(١).

وفي الحديث المرويِّ عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام متحدثاً عن نور الزهراء: هذا نور من نوري أسكنته في سمائي، خلقته من عظمتي أخرجه من صلب نبيٍّ من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: لولا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوّجها لما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه(٣).

وهذا الحديث يدلُّ على أفضلية فاطمة الزهراء عليها السلام على الأنبياء، وعلى جميع البشر ما عدا أبيها وبعلها، وكونها كفؤاً لعلي يعني أنّ أكثر المقامات التي كانت لعليٍّ عليه السلام فهي ثابتة للصديقة فاطمة عليها السلام، فهما بمنزلة واحدة من الإيمان والتقوى، وإلّا لما كان كلٌّ منهما كفؤاً للأخر.

وعلى هذا تكون فاطمة عليها السلام حجة على الأئمة عليهم السلام كما كان أمير المؤمنين حجة على الأئمة عليهم السلام.

فأفضليّتها «سلام الله عليها» تجعلها أن تكون دليلاً لغيرها في تلك المقامات التي وصلت إليها وسبقت غيرها فيها.

ويشهد لهذا المعنى من كونها واسطةً في إيصال بعض العلوم إلى

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسيّ - ج ٤٣ / ص١٠٥.
(٢) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ١٨، ص: ١٦٧.
(٣) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ٤، ص: ٢٤٠.

غيرها من الأئمة عليهم السلام أنّ من جملة علوم الأئمة عليهم السلام مصحف فاطمة عليها السلام وبه كانت الواسطة العلمية بين الأئمة عليهم السلام وبين الله تعالى في العلم المحفوظ في مصحفها المتعلق بما يكون إلى يوم القيامة، فهي حجّةٌ في هذا العلم الجمّ على الأئمة عليهم السلام يأخذون به نظير حجية النبي «صلّى الله عليه وآله» في شأن القرآن الكريم الذي هو مصدر علوم الأئمة عليهم السلام، ولا يخفى أنّ وساطتها لذلك العلم ليست عبر نقش وخطّ ذلك المصحف اذ الوجود الكتبي وجود تنزّليّ لحقائق ذلك العلم الذي أُلقي إليها. ويشهد لوساطتها لعلومهم وحجيّتها روايات بدء الخلقة وخلقة أنوارهم واشتقاقها على الترتيب من نور النبيّ «صلّى الله عليه وآله» ونور عليّ وأنّ رتبتها بعد علي عليه السلام وأنّ بقية أنوار الأئمة عليهم السلام اشتقّت منها، فهي واسطة فيضٍ تكوينيةٌ لوجودهم وكمالاتهم، وهو مقامٌ رفيعٌ وسرٌّ عظيم.

الموضوع التاسع والثلاثون

فاطمة الزهراء عليها السلام حجة بمصحفها الحاوي على العلوم العظيمة[1]

وهنا نحن واياكم أيُّها الأحبّة نتعرّف على حقيقة هذا المصحف والعلوم المودعة فيه، وأين مصير هذا المصحف من خلال بيانات أهل البيت عليهم السلام ؟

معنى المصحف

سؤال: ما معنى المصحف؟

الجواب: في المصباح المنير: والصحيفة قطعة من جلد أو قرطاسٍ كتب فيه... والجمع صحف بضمتين وصحائف... والمصحف بضمٍّ الميم أشهر من كسرها.

يظهر من هذه المعاني التي وردت في صحاح اللغة أنّ المصحف ما جمعت فيه الصحف وليس كما يدعى أنّه قرآن غير هذا القرآن الموجود.

(١) ينظر الأسرار الفاطميّة للعلّامة محمّد فاضل المسعودي: ط١: ١٤٣٣: ص٤١٨-٤٢٣.

مصدر مصحف فاطمة عليها السلام

سؤال: مصدر هذا المصحف من أين؟

الجواب:

أولاً: هو نوع من الوحي: ففي حديثٍ عن أبي عبد الله عليه السلام: «وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يُدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنّما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها. قال: قلت: هذا والله العلم...»(١).

معنى الوحي

سؤال: ما معنى الوحي؟

الجواب: يظهر من خلال هذه الآيات القرآنية والروايات أنّ الوحي ليس مختصّاً بالأنبياء والرسل عليهم السلام فقط، بل هو يتعدّى إلى أولياء الله تعالى، نعم، الوحي هنا غير الوحي في إبلاغ الرسالات إلى الأنبياء بل هو شأنٌ آخر من الوحي.

فالوحي لغةً: الإعلام الخفيُّ السريع.

واصطلاحاً: الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى برسله وأنبيائه لإعلامهم ألوان الهداية والعلم، وإنّما جاء تعبير الوحي عن هذه

(١) بصائر الدرجات: ١٥٦.

الطريقة باعتبارها خفيّةً عن الآخرين، ولذا عبّر الله تعالى عن اتصاله برسوله الكريم بالوحي(١).

والآيات والروايات بيّنت ذلك وبوضوح ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القَصَص: ٧].

وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريَم: ١١].

ومن الروايات ما وردَ عن إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيدٍ بن علي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّما سُمِّيَتْ فاطمة محدّثةً؛ لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين، يافاطمة اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين...(٢).

ثانياً: املاءٌ من رسول الله «صلّى الله عليه وآله» وبخط عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ... عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام خلّفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن، ولكنّه كلام من كلام الله أنزل عليها، إملاء رسول الله «صلّى الله عليه وآله» وخطّ عليٍّ عليه السلام.

ثالثاً: كلام جبرئيل عليه السلام **وبخط عليٍّ** عليه السلام ... عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام فمصحف فاطمة؟ فسكت طويلاً ثمّ قال: «إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون، إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله «صلّى الله

(١) موجز علوم القرآن: ١١٠.
(٢) البحار: ٤٣/ ٧٨.

عليه وآله» خمسةً وسبعين يوماً وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها»[1].

عظمة وسعة علوم مصحف فاطمة عليها السلام

وعن أبي بصير أنّه قال: سألت أبا جعفر محمد بن عليٍّ عليهما السلام عن مصحف فاطمة، فقال: «أنزل عليها بعد موت أبيها. قلت: ففيه شيء من القرآن؟ فقال: ما فيه شيء من القرآن.

قلت فصفه لي، قال: له دفّتان من زبرجدتين على طول الورق، وعرضه حمراوان.

قلت: جعلت فداك فصف لي ورقه.

قال: ورقه من درّ أبيض، قيل له: كن فكان.

قلت: جعلت فداك فما فيه؟

قال: فيه خبر ما كان وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماءٍ سماءٍ، وعدد ما في السماوات من الملائكة، وغير ذلك، وعدد كلّ من خلق الله مرسلاً وغير مرسلٍ وأسماؤهم، وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء من كذّب ومن أجاب، وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأوّلين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كلّ بلدٍ في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد

(١) البحار: ٤٣/ ٨٠.

ما فيها من الكافرين، وصفة كلّ من كذّب، وصفة القرون الاولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدّة ملكهم وعددهم، وأسماء الأئمّة وصفتهم، وما يملك كلّ واحدٍ واحدٍ، وصفة كبرائهم، وجميع من تردّد في الأدوار.

قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟

قال: خمسون ألف عام. وهي سبعة أدوار، فيه أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم، وصفة أهل الجنّة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أُنزلت، وعلم الإنجيل كما أُنزل، وعلم الزبور، وعدد كلّ شجرةٍ ومدرةٍ في جميع البلاد».

قال أبو جعفر عليه السلام: «ولمّا أراد الله تعالى أن ينزل عليها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوه فينزلون (فينزلوا) به عليها، وذلك في ليلة الجمعة من الثلث الثاني من الليل، فهبطوا به وهي قائمة تصلّي، فما زالوا قيّاماً حتّى قعدت، ولمّا فرغت من صلاتها سلّموا عليها وقالوا: السلام يقرئك السلام؛ ووضعوا المصحف في حجرها، فقالت: لله السلام ومنه السلام وإليه السلام وعليكم يا رسل الله السلام، ثمّ عرجوا إلى السماء. فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتّى أتت على آخره. ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس، والطير والوحش، والأنبياء والملائكة».

مآل مصحفها بعد شهادتها عليها السلام

قلت: جعلت فداك فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيّها؟

قال: «دفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا مضى صار إلى الحسن ثم إلى الحسين عليه السلام، ثم عند أهله حتّى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر.

فقلت: إنّ هذا العلم كثير! قال: يا أبا محمد، إنّ هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوّله، وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثانية ولا تكلّمت بحرف منه.

الخلاصة

١ - من الروايات ما يدلّ على أنّ الله تعالى أرسل ملكاً أو يأتيها جبرئيل بعد قبض نبيّه «صلّى الله عليه وآله» يحدّثها عليها السلام ويكتب عليّ عليه السلام.

٢ - ومنها ما يدلّ على أنّ مصحف فاطمة عليها السلام كان موجوداً في حياة رسول الله «صلّى الله عليه وآله» ولكنّه إملاء رسول الله «صلّى الله عليه وآله» وخطُّ عليّ عليه السلام.

٣ - ومنها: ما يدلّ على أنّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إليها.

٤ - ويستفاد أيضاً أنّ مصحفها «سلام الله عليها» يشتمل على جميع الأحكام الشرعيّة من نصف الجلدة أو جلدة واحدة حتى أرش الخدش، وأنّ فيه أسماء جميع الناس والكائنات جميعها من الشجر والمدر وغير

ذلك[١] وفيه ذكر الحوادث المهمّة إلى يوم القيامة.

٥ - ويستفاد أيضاً أنّه من مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام وكانوا يرجعون إليه[٢].

(١) في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام: «ومصحف فاطمة ما أزعم أنّ فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد حتّى إنّ فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش».

(٢) الصادق عليه السلام يقول: علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الاسماع وإن عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة عليها السلام وعندنا الجامعة فيها جميع ما تحتاج الناس إليه، فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال: أما الغابر فالعلم بما يكون، وأما المزبور فالعلم بما كان، وأما النكت في القلوب فهو الإلهام. وأما النقر في الأسماع فحديث الملائكة عليهم السلام نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم. وأما الجفر الأحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله «صلّى الله عليه وآله» ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت، وأما الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وكتب الله الاولى. وأما مصحف فاطمة عليها السلام ففيه ما يكون من حادث وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة، وأما الجامعة فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً إملاء رسول الله «صلّى الله عليه وآله» من فلق فيه وخط علي ابن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه والله جميعُ ما تحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة حتى أنّ فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة: بحار الأنوار / جزء ٢٦ / صفحة [١٨]: أبواب علومهم عليهم السلام: باب جهات علومهم عليهم السلام وما عندهم من الكتب...: الحديث ١.

الموضوع الأربعون

فرحة الزهراء عليها السلام (١)

....

(١) سؤال ورد لمركز الأبحاث العقائدية نصّه: ما الأصل في تعبُّد الشيعة واحتفالهم في يوم التاسع من ربيع الأول؟

الجواب: يبدو أنّ الاحتفال والتعبُّد في هذا اليوم كان معروفاً لدى الشيعة منذ القديم، فهذا صاحب النقض المؤلف بحدود **٥٦٠** هـ يذكر مثل ذلك.

وفيه رواية طويلة ذكرها بعض العلماء المتأخرين في كتبهم نقلاً عن كتب المتقدمين ولم يصل الينا سندها الواحد متصلاً كاملاً، والكتب المنقولة منها بالأصل مفقودة لا نستطيع النظر فيها حتى نعرف مستند الرواية، وعلى ذلك فالرواية غير معتبرة ولا نقدم بها حجّة.

هذا ولكنّ السيد ابن طاووس (ره) أشار الى هذه الرواية، ولكنه على الظاهر لم يقبل ما فيها من أن سبب التعبد في يوم التاسع من ربيع الأول، هو أن هذا اليوم هو مقتل عمر بن الخطاب، وذلك لإجماع المؤرخين من الشيعة والسنّة على خلاف ذلك وأنّه قتل في ذي الحجة، ومن هنا رده ابن إدريس أيضاً.

وفي المقابل (كما ذكرنا) إنّ التعبُّد في هذا اليوم كان معروفاً لدى الشيعة، كما أن هناك روايات بأن شهادة الإمام العسكري عليه السلام كانت في اليوم الثامن من ربيع الأول، فاحتمل السيد ابن طاووس أن يكون سبب الفرحة والتعبد هو بمناسبة تولّي الحجة صاحب الزمان (عج) لمنصب الإمامة والولاية، وأنّ اليوم التاسع من ربيع الأول هو أول يوم لتولّي هذا المنصب، ومن هنا تفرح الشيعة به لما اختصَّ به الإمام الحجّة (عج) من مقام وأنّه صاحب الدولة الكريمة. وقال في مكان آخر: ان التقيد فيه قد يكون لسرٍّ مكنون لا نعلمه.

وأما فقهاؤنا الأعلام فهم أخذاً منهم بقاعدة التسامح في أدلة السنن ورواية من بلغ

سؤال: ما هو الارتباط بين شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وفرحة الزهراء عليها السلام ؟[(١)].

الجواب: فرحة الزهراء عليها السلام تبدأ أو يحتفل بها الشيعة بعد شهادته عليه السلام يوم التاسع من ربيع الأول وهذا هو الارتباط.

سؤال: لماذا نفرح بهذا اليوم أي: التاسع من ربيع الأول؟

الجواب: وفي ذلك عدة وجوه ومنها:

١ - فرحت عليها السلام لأنّ رسول الله «صلّى الله عليه وآله» أخبرها في مرضه الذي توفّي فيه أنها أوّل الناس لحوقاً به بعد شهادته[(٢)].

٢ - في هذا اليوم قتل عمر بن سعد قاتل الإمام الحسين عليه السلام كما في بعض المنقولات التأريخية[(٣)].

٣ - في هذا اليوم تتويج الإمام المهديِّ عليه السلام بالإمامة بعد شهادة

أفتوا باستحباب الغسل في مثل هذا اليوم اعتماداً على هذه الرواية وإن لم تثبت من ناحية السند.

مع ملاحظة ورود فقرة في هذه الرواية تخالف الأصول المسلّمة عندنا ولا يمكن قبولها، وهي الخاصّة برفع القلم عن الشيعة لمدة يوم أو ثلاثة أيام، ومن هنا فقد أفتى علماؤنا الكرام بحرمة بعض الأعمال المنافية للشرع التي يمارسها العوام في مثل هذا اليوم.

(١) فائدة: بعض الاعلام أعزّهم الله يقول: لا صحة لهذا الفرحة.

(٢) -... فلما مرض النبي «صلّى الله عليه وآله» دخلت فاطمة فأكبت عليه وقبلته، ثم رفعت رأسها فبكت، ثم أكبت عليه، ثم رفعت رأسها فضحكت... فلما توفي رسول الله «صلّى الله عليه وآله»....... قالت: ... أخبرني أنه ميت من وجعه هذا فبكيت، ثم أخبرني أني أسرع أهله لحوقاً به فذاك حين ضحكت: بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٣٧ / ص٧١.

(٣) ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام: أجوبة لآية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي قدّس سرّه: ٣٩.

أبيه عليه السلام في اليوم الثامن من ربيع الاول وهو المنتقم من أعداء الزهراء عليها السلام وأعداء الدين والموكّل بإقامة دولة الحق(١).

سؤال: ما هي الأدلة على أخذ الإمام المهديّ (عجل الله فرجه) بثأر أُمّه الزهراء عليها السلام من القرآن (إن وجد) والسنة النبوية؟

الجواب: أنّه يُستفاد من عموم قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] أنّ الإمام المهديّ عليه السلام يقوم بأخذ الثأر من ظالمي السيدة الزهراء عليها السلام وسائر الأئمة عليهم السلام الذين قتلوا ظلماً وعدواناً من قبل الطغاة والظالمين.. ويّؤيده ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، قال: ذلك قائم آل محمد...(٢).

- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: لمّا أُسري بي إلى السماء أَوحى إليَّ ربيّ جل جلاله فقال: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطلاعةً فاخترتك منها، فجعلتك نبيّاً وشققت لك اسماً من أسمائي فأنا المحمود وأنت محمد، ثمّ اطلعت الثانية فاخترت منها علياً، وجعلته وصيك وخليفتك وزوج ابنتك وأبا ذريتك، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا العليُّ الأعلى وهو عليّ، وجعلت فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من نوركما، ثمّ عرضت ولايتهم على الملائكة فمن قبلها كان عندي من المقرّبين، يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي ثمّ أتاني جاحداً لولايتهم ما أسكنته جنتي، ولا أظللته تحت عرشي،

---

(١) المصدر: ٣٩.
(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٥ / ص٢٩٨.

يا محمّد أُتحبُّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب، فقال عز وجل: ارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وعليٍّ بن الحسين ومحمد بن عليٍّ وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعليٍّ بن موسى ومحمد بن عليٍّ وعليٍّ بن محمد والحسن بن عليٍّ والحجة بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب دري، قلت: يا رب من هؤلاء؟ قال هؤلاء الأئمة وهذا القائم الذي يحلُّ حلالي ويحرم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحة لأوليائي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين. . . [١].

الرأي المختار

نرجح الرأي الأخير وهو الأشهر عند الكثير من علمائنا أعزّهم الله.

يقول آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي قدّس سره[٢]: وعلى كل حال إنّ اليوم التاسع من ربيعٍ الأول يوم فرحٍ للشيعة عامّةً ولأهل البيت عليهم السلام خاصة.

ولهذا نجد أمّهاتنا يعتدن على عمل الهريسة المسمّاة (بشيلان الزهراء عليها السلام).

(١) المصدر - ج ٣٦ / ص٢٤٥.
(٢) ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام: أجوبة لآية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي قدّس سِرُّه: ٣٩.

فلسفة فرحة الزهراء عليها السلام وهي في البرزخ

سؤال: كيف فرحت الزهراء عليها السلام وهي في عالم البرزخ وبعبارةٍ أخرى بعد رحيلها من عالم الدنيا؟

الجواب:

١ - إحتمال أنَّ تلك الاخبارات من النبي «صلّى الله عليه وآله» أيّام حياتهما أي: النبي والزهراء عليهما السلام . . . شأنه شأن الكثير من الحوادث التي أخبرهما بها النبيّ «صلّى الله عليه وآله».

٢ - لعلّ هذا الخبر (أي: عن يوم تتويج صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف) هو بعد رحيل النبي «صلّى الله عليه وآله» عن طريق الملائكة التي كانت تحدّثها والتي دوّنت تلك الأحاديث في كتاب عرف باسم مصحف فاطمة الزهراء عليها السلام .

سؤال: وهل الزهراء محدّثة من قبل الملائكة؟

الجواب: نعم، وقد وردت عدة روايات تثبت هذه الحقيقة ومنها:

١ - عن إسحاق بن جعفر بن محمدٍ بن عيسى بن زيد بن علي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّما سُمِّيَتْ فاطمة محدّثةً لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة ﴿ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٤٣].

فتحدّثهم ويحدّثونها . . . وإنّ الله جعلك . . . سيّدة نساء الأوّلين والآخرين[١].

(١) البحار: ٧٨/٤٣.

٢ – . . . عن إسماعيل بن بشّار قال: حدّثنا عليّ بن جعفر الحضرميّ بمصر منذ ثلاثين سنةً قال: حدّثنا سليمان قال: محمد بن أبي بكر. . . قلت: وهل يحدّث الملائكة إلّا الأنبياء؟ قال: إنّ مريم لم تكن نبيّةً وكانت محدّثةً، وأمّ موسى بن عمران كانت محدّثة ولم تكن نبيّةً، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشّروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تكن نبيّةً، وفاطمة بنت رسول الله «صلّى الله عليه وآله» كانت محدّثة ولم تكن نبيّة(١).

٣ – أضف إلى ما ذكرنا أنّ آل البيت مماتهم وحياتهم سواء؛ لأنهم انتقلوا من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ وهم لا يتعرضون لأذىً في عالم البرزخ حتى تتقيد حركتهم البرزخية؛ لأنهم حاسبوا أنفسهم في عالم الدنيا حديث المحاسبة عن النبي «صلّى الله عليه وآله» حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر(٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم(٣).

والقرآن يثبت هذه الحياة للذين هم أقلّ شأناً ومقاماً منهم حيث قال بحق الشهداء ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٤] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩].

(١) البحار: ٤٣/ ٧٩.
(٢) بحار الأنوار – العلّامة المجلسي – ج ٦٧ / ص٧٣.
(٣) المصدر – ج ٦٧ / ص٧٣.

فكيف بأصحاب العصمة والطهارة الكبرى والذين قال المولى بحقهم عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

والروايات تثبت هذه الحقيقة أي: الحياة البرزخية لهم ومنها:

١ - عن أبي سعيد الخدريّ أنّ عمار بن ياسر قال لرسول الله «صلّى الله عليه وآله»: وددت أنّك عمّرت فينا عمر نوحٍ عليه السلام، فقال رسول الله «صلّى الله عليه وآله» يا عمار حياتي خير لكم ووفاتي ليس بشرٍّ لكم، أمّا في حياتي فتحدثون وأستغفر الله لكم، وأما بعد وفاتي فاتقوا الله وأحسنوا الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي، وإنّكم تعرضون عليّ بأسمائكم وأسماء آبائكم، وأنسابكم وقبائلكم، فإن يكن خيراً حمدت الله، وإن يكن سوى ذلك استغفرت الله لكم، فقال المنافقون والشكاك والذين في قلوبهم مرض: يزعم أنّ الأعمال تعرض عليه بعد وفاته بأسماء الرجال وأسماء آبائهم وأنسابهم إلى قبائلهم، إن هذا لهو الإفك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبَة: ١٠٥] فقيل له: ومن المؤمنون، قال: عامّة وخاصّة، أما الذي قال الله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فهم آلُ محمد، ثم قال: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبَة: ١٠٥] من طاعةٍ ومعصية[1].

٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: مالكم تسوؤون رسول الله «صلّى الله عليه وآله»؟ فقال له رجل: جعلت فداك وكيف

(١) بحار الأنوار / جزء ١٧ / صفحة [١٤٤] - باب ٧ علمه «صلّى الله عليه وآله» وما دفع إليه من الكتب والوصايا والآثار.

نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية الله ساءتهُ، فلا تسوؤا رسول الله «صلّى الله عليه وآله» وسروه(١).

بل الروايات تذهب إلى أكثر من ذلك بحيث تعطي لهم الحياة الخاصّة في عالم الميثاق أو عالم الذر حيث قال تعالى حاكياً عن هذا العالم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعرَاف: ١٧٢].

وتوسّل آدم عليه السلام بهذه الوجودات الشريفة كما في هذه الرواية. . . «إنّ آدم رأى مكتوباً «على العرش أسماء» مكرّمة معظّمة، فسأل عنها فقيل له: هذه أسماء أجلّة الخلق عند الله منزلة، والأسماء: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فتوسّل آدم إلى ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته «فتاب عليه» أي: تاب آدم فتاب الله عليه، أي: قبل توبته، وقيل: أي: وفّقه للتوبة وهداه إليها»(٢).

---

(١) بصائر الدرجات - باب الأعمال تعرض على رسول الله «صلّى الله عليه وآله» والأئمة عليهم السلام: ج٩: ٥٥٦.
(٢) بحار الأنوار / جزء ١١ / صفحة [١٥٧].

الموضوع الحادي والأربعون

الولاية التكوينيّة عند الزهراء عليها السلام (١)

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: ١٦-١٧]. هذا من النصوص المتحدّثة عن الولاية التكوينيّة؛ لأن التكلّم مع الجنّ والنمل أمر خارق للعادة ويكشف عن القدرة على التصرّف في الكون.

وفي هذه البحث نتعرف أكثر على الولاية التكوينيّة من حيث:

- معناها.
- شروطها.
- إثباتها قرآنياً.
- إثباتها روائياً.
- إثباتها للنبيّ وآله «عليه وعليهم السلام».
- إثباتها للصدّيقة فاطمة عليها السلام.
- وقوعها عملياً.

---

(١) البحث مقتبس من كتاب الولاية التكوينيّة لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري بتصرف مع بعض الإضافات بما يلائم بحثنا.

سؤال: ما هي الولاية التكوينيّة؟

الجواب: الولاية التكوينيّة هى القدرة على التصرّف فى الأمور الكونيّة التى تتجاوز القدرة العاديّة فى التعامل مع النواميس الطبيعيّة، مثل إحياء الموتى، أو طيّ الأرض، أو تحريك الرياح، ونحو ذلك.

سؤال: ما هو الميزان والضابطة لامتلاك الولاية التكوينيّة؟

الجواب: أنّ كلّ من ملك الاسم الأعظم فهو قادر على التصرّف فى التكوين بشكل خارق للعادة، أي: لديه الولاية التكوينيّة.

سؤال: ما هو الاسم الأعظم؟

الجواب: في مقام الإجابة نبين الفرق بين الأسماء اللفظية والتكوينيّة:

١ - **الاسم اللفظيّ**: المقصود من الاسم اللفظي هو اللفظ الموضوع لمسمّى خارجيّ، فيكون هذا اللفظ علامةً وحاكياً عن الواقع الخارجيّ، كما هو الحال فى الأسماء المتعارفة عندنا حيث وضعت للحكاية عن مسمّياتٍ خارجيّةٍ وتمييز الذوات الخارجيّة بعضها عن البعض الآخر.

٢ - **الاسم التكوينيّ**: هو الذات الخارجية متحيّثة بصفة معيّنة، وهو عين الذات الخارجية أي: عين المسمّى، إلّا أنّه يحكي عن حيثيةٍ من حيثيات المسمّى (الذات الخارجيّة). فاسم (العالِم) مثلًا يحكي عن الذات مع حيثية العلم، واسم (المُحسن) يحكي عن الذات بوصفها بصفة الإحسان وهكذا، وبهذا يتّضح أنّ الاسم التكوينيّ هو عين المسمّى خارجاً.

والمراد من الاسم الأعظم هو التكويني لا اللفظي ومصداقه الذات الإلهية مأخوذةً بجميع كمالاتها ومصداقه اللفظي لفظ الجلالة «الله».

الأثر الخارجيّ يترتّب على الاسم التكوينيّ لا اللفظيّ

سؤال: لماذا صاحب الولاية التكوينيّة لابدّ له من امتلاك الاسم التكويني لا اللفظي؟

الجواب: الأثر الخارجيّ للأسماء الإلهية لا يترتّب على الأسماء اللفظيّة التى هى أسماء الأسماء؛ لأنّ الاسم اللفظيّ هو مفهوم ذهنيّ، اعتباريّ يتحقّق من خروج صوت من طريق الحنجرة.. ومثل هذا الأمر الاعتباريّ يستحيل أن يتصرّف ويؤثّر فى نظام التكوين، وأن تكون له القدرة على الخلق والرزق و... فالمريض مثلًا حينما يدعو للشفاء بقوله «يا شافي» فالمؤثّر بالشفاء ليس هو لفظ الشافي، وإنّما هو الاسم التكوينيّ، أي: الذات الإلهية مع صفة كونه قادراً على الشفاء. وممّا يشهد لذلك هو عدم تأثير الدعاء لو صدر من حجر، بخلاف ما لو صدر من نبيٍّ أو وصيٍّ مثلًا. فلو كان التأثير بمجرّد التلفظ بألفاظ الدعاء، لكان الدعاء مؤثّراً وإن صدر من أيّ إنسان كان، بل ولو صدر من حجر.

فالآثار الخارجية من الخلق والرزق والإحياء والإماتة والحشر والنشر و... غير مترتّبة على اسم لفظيٍّ وهو صوت مسموع عرضيٌّ قائم بمخارج الفم، فانٍ، بل هي صادرة من ناحية المعنى، وهذا المعنى أيضاً غير مؤثّر بما أنّه صورة خيالية مثلًا بالضرورة، فإنّها مثل اللفظ، وهي فانية فى المصداق الخارجيّ، على أنّ هذا المؤثّر (كائناً ما كان)

هو مؤثّر بوجوده العينيّ، ومن المستحيل دخول مثل هذا الوجود فى الذهن.

فالذي له الآثار الخارجية من الإحياء والخلق و... هو الاسم التكوينيّ، وهو الذات مأخوذاً بوصف من الأوصاف.

وبهذا يتبينُ أنّ الاسم الأعظم ليس هو المعنى الشائع بين الناس من أنّه اسم لفظي من أسماء الله تعالى متى ما دُعي به استجيب (الدعاء)، وأنّه مؤلّف من حروفٍ مجهولةٍ لنا كما في روايات الثلاثة والسبعين حرفا[١].

حقيقة ملكية الاسم الاعظم

سؤال: ما المقصود من ملكية الاسم الأعظم وحقيقته؟

الجواب: الملكية تعني القرب الإلهى ومعنى القرب هو التشبّه بأخلاق وصفات الله العلمية والعملية. وبما أنّ الله تعالى منبع الكمالات العلمية والعملية من العلم والقدرة والرحمة والعدالة فعلى هذا الأساس كلّما كان الإنسان متشبّهاً ومتصفاً بأخلاق وصفات الله كان أقرب إلى الله تعالى، ومن ثم يكون أثره فى التصرّف بالموجودات أوسع وأكثر. وبالعكس كلّما كان الإنسان بعيداً عن الله تعالى كان أقلّ أثراً.

(١) عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن اسم الله الاعظم على ثلاثةٍ وسبعين حرفاً، وإنّما عند آصف منها حرف واحد فتكلم به، فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده ثم عادت الارض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعين حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم / بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤ / ص٢١٠.

وبعبارة أخرى(١): حقيقة الاسم الأعظم هي الانقطاع الكامل المطلق إلى الله تبارك وتعالى في جميع الآنات ومن خلال جميع الأبواب والأسماء، فمن حظي بهذه المنزلة بحيث صار له انقطاع كامل مطلق فقد حظي بالاسم الأعظم، وحقّ له أن يقول إن عندي اثنين وسبعين حرفًا من الاسم الأعظم، هذه كلها روايات كناية عن الانقطاع الكامل المطلق.

إذًا فبالنتيجة تفسير الاسم الأعظم ليس هو كلام لفظيّ نقوله أو صورة ذهنيّة نستحضرها وإنّما الاسم الأعظم حقيقة عينية هي عبارة عن الانقطاع الكامل المطلق.

الأدلّة القرآنية على ثبوت الولاية التكوينيّة

هنالك عدد من النصوص القرآنية والروائية تدلّ على أنّ الله تعالى منح الولاية التكوينيّة لبعض المخلوقات سواء كانوا أنبياء أم أولياء أم ملائكة أم جنّاً ومنهم:

- عيسى المسيح عليه السلام: حيث دلّت جملة من النصوص القرآنية على تمتّعه بالقدرة التكوينيّة؛ من قبيل إحياء الموتى وخلق الطير من الطين بلا تناسل، ونفخ الروح فى الطير المصنوع من الطين، وإبراء الأكمه والأبرص.

فهذه الأمور لا يمكن أن تصدر إلّا ممّن تمكّن من التصرّف فى نظام

(١) مقتبس من كلام العلّامة السيد منير الخباز: حقيقة الاسم الأعظم: الموقع الالكتروني.

التّكوين بإذن الله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

فالآيات الكريمة دالّة بوضوح على قدرة النبيّ عيسى عليه السلام على التصرّف فى التكوين بشكل خارق للعادة مما يكشف عن اشتماله على الولاية التكوينيّة بإذن الله تعالى.

- وصيُّ سليمان آصف بن برخيا عليه السلام : قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النمل: ٤٠-٤١]. فالآية المباركة صريحة فى أنّ سليمان عليه السلام طلب ممّن خصّهم بالخطاب الإتيان بعرش بلقيس فى لحظات، مع علمه عليه السلام بالمسافة الشاسعة بين اليمن الذى هو مكان عرش بلقيس وبين فلسطين التى كان فيها سليمان عليه السلام ، فقام إليه الذى عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا وصيّ سليمان ووزيره كما في الروايات(١).

(١) روى العيّاشي فى تفسيره عن الإمام الهادي عليه السلام ، قال: الذى عنده علم الكتاب آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف، لكنه أحبّ أن يعرّف أمّته من الإنس والجن أنّه الحجّة من بعده. وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله، ففهّمه الله ذلك لألّا يختلف فى إمامته ودلالته كما فهم سليمان عليه السلام فى حياة داود عليه السلام لتعرف إمامته ونبوته من بعده ولتأكيد الحجة على الخلق. بحار الأنوار، ج١٤، باب ٩، قصة سليمان مع بلقيس، ح ١٣.

ومن الجدير بالذكر أنّ الآية المباركة جاءت مشفوعة بذكر منشأ قدرة آصف على هذا الفعل، وهو حيازته على جزءٍ من علم الكتاب كما يشير إليه وصفه عليه السلام بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، إذ لو لم يكن لهذا الوصف دخل في قدرته على التصرّف في التكوين، لكان الإتيان به في الآية لغواً، ولا يكون في كلام الله تعالى.

إثبات الولاية التكوينيّة للنبي «صلّى الله عليه وآله»

أولاً: امتلاك النبي «صلّى الله عليه وآله» علم الكتاب قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النّحل: ٨٩] وهذا العلم هو منشأ للتصرف في الكون وهذا ما حكاه الله سبحانه عن وصي سليمان عليه السلام آصف بن برخيا عليه السلام.

ثانياً: النبي وآله «عليه وعليهم السلام» مظاهر للاسم الأعظم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠]. المراد بالخلافة هو الخلافة المظهرية والتجلّى ليكون الخليفة مظهراً للذى استخلفه وآية له وتجلياً لأسمائه الحسنى وصفاته العليا، أى يكون حاكياً للمستخلف في شؤونه بالمقدار الممكن.

والمراد بالخليفة في الآية المباركة هو الإنسان الكامل الذي هو أفضل الأوّلين والآخرين وهو النبيُّ «صلّى الله عليه وآله». والشاهد على ذلك أنّ ذلك الخليفة الذي جعله الله تعالى قد علّمه سبحانه جميع الأسماء الإلهية، ومن الواضح أنّ الذي حصل على جميع الأسماء الإلهية هو ذلك الإنسان الكامل الذي لا يوجد أفضل وأكمل منه، لأنّه

مظهر أسماء الله جميعاً ومظهر الاسم الأعظم، الاسم الذي يستجمع جميع الكمالات الإلهيّة.

شذرة من الروايات لبيان أنّ النبيّ وآله «عليه و«عليهم السلام»» مظاهر الاسم الأعظم.

هنالك روايات متضافرة دلّت على أنّ النبيّ «صلّى الله عليه وآله» وأهل بيته هم من مظاهر الاسم الأعظم في النشأتين الملكوتية والمادّية. . .

ومنها:

- عن محمد بن سنان قال: «كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسألته عن اختلاف الشيعة، فقال: يا محمّد إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته ثم خلق محمداً وعليّاً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أمورها إليهم، فهم يُحلّون ما يشاؤون ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالى. ثم قال: يا محمد هذه الديانة التى من تقدّمها مرق ومن تخلّف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد»(١).
- عن أبي الجارود عن محمّدٍ بن عبد الله، عن أبيه، عن آبائه قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: «كنت أنا وعليٌّ نوراً بين يدي الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه فلم يزل الله عزَّ وجلَّ ينقله من صلب إلى صلب حتى أقرّه في صلب عبد المطلب، ثم أخرجه من صلب عبد

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١، ص٤٤١.

المطّلب فقسّمه قسمين فصيّر قسماً في صلب عبد الله، وقسماً في صلب أبى طالب. فعليّ منّي وأنا من عليٍّ، لحمه من لحمي ودمه من دمي، فمن أحبّهُ فبحبّي أحبّه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه. ذكر المكتوب بين كتفي النبيّ ﷺ محمود الملك قبل خلق آدم باثنين وعشرين ألف عام»(١).

- عن المفضّل، قال: «قال الصادق عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا. فقيل له: يابن رسول الله ومن الأربعة عشر؟ فقال: محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين، آخرهم القائم الذى يقوم بعد غيبته فيقتُل الدجّال، ويطهّر الأرض من كلّ جور وظلم»(٢).

ثالثاً: أفضلية النبيّ «صلّى الله عليه وآله» على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام: تمتّع النبيّ «صلّى الله عليه وآله» بالولاية التكوينيّة والقدرة على التصرّف في التكوين بالأولويّة، إذ من غير المعقول أن يثبت للمفضول شيءٌ من الكمالات ما ليس للفاضل، ومن الواضح أنّ القدرة على التصرّف في التكوين من أوضح مصاديق الكمالات... ولإثبات الأفضلية هنالك عدّة من الأدلّة القرآنية لإثبات هذه الحقيقة منها:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزَاب: ٧] فقد عدّ الله تعالى أولي العزم على ترتيب زمانهم، ولكن قدّم ذكر النبيّ «صلّى الله عليه وآله» وهو

---

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ص٦٤٠.
(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي: ج ١٥، ص٢٣.

آخرهم زماناً. ومن المعلوم أنّ تقديم نبيّنا «صلّى الله عليه وآله» لم يأتِ جزافاً؛ إذ لا موضع للجزاف في القرآن الكريم، مما يكشف عن حقيقة مهمة وهي فضله وشرفه وتقدّمه على جميع الأنبياء.

قال الآلوسي في تفسير الآية: «تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيّين اندراجاً بيّناً للإيذان بمزيد مزيّتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع، واشتهر أنّهم هم أولو العزم من الرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين. وأخرج البزار عن أبى هريرة أنّهم خيار ولد آدم عليهم الصلاة والسلام، وتقديم نبيّنا «صلّى الله عليه وآله» مع أنّه آخرهم بعثة للإيذان بمزيد خطره الجليل أو لتقدّمه في الخلق»[(١)].

- ومن الروايات ما روي عن جابرٍ بن عبد الله، قال: «قلت لرسول الله «صلّى الله عليه وآله»: أوّل شيءٍ خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيّك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كلّ خير»[(٢)].

رابعاً: رؤية النبيّ «صلّى الله عليه وآله» للملكوت: حصول الولاية التكوينيّة والقدرة على التصرّف في التكوين للنبيّ «صلّى الله عليه وآله»؛ لرؤيته للملكوت الموجب للتصرّف في التكوين... والنصوص متوافرة لبيان ذلك ومنها روايات المعراج والاطلاع على حقيقة وباطن الأعمال[(٣)].

---

(١) روح المعاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي: ج **٢١** ص**١٥٤**.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة محمد باقر المجلسي: ج **١٥**، ص**٢٤**.

(٣) ولعلّ أوضح الروايات فى المقام ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى الخبر الطويل فى المعراج عن أبى عبد الله عليه السلام إلى أن قال: «فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيّب ولحم خبيث وهم يأكلون الخبيث ويدَعون الطيّب، فسألت جبرائيل من هؤلاء؟ فقال: الذين يأكلون الحرام ويدَعون الحلال من أمّتك. قال: ثمّ مررت بأقوام

الولاية التكوينيّة لأهل البيت عليهم السلام

هنالك عدّة طرق لإثبات الولاية التكوينيّة لأهل البيت عليهم السلام، منها:

الطريق الأول: علمهم عليهم السلام بالكتاب:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وتقريب الاستدلال بهذه الآية على أنّ الكتاب المبين لا يمسّه - أي لا يعلمه - إلّا المطهّرون قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠]، ومن الواضح أنّ أهل البيت عليهم السلام من المطّهرين، بنصّ الآية الكريمة.

ومن الروايات الدالة على انهم عليهم السلام هم مصداق آية التطهير ما ورد عن أُمّ سلمة «رضوان الله عليها» عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيّ «صلّى الله عليه وآله» قال: «لما نزلت هذه الآية على النبيّ صلّى الله عليه

لهم مشافر كمشافر الإبل، يقرض اللحم من أجسامهم ويلقى في أفواههم، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هم الهمّازون اللمّازون، ثم مررت بأقوام ترضخُ وجوههم ورؤوسهم بالصخر، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: الذين يتركون صلاة العشاء، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يُقذف بالنار في أفواههم فتخرج من أدبارهم، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنّما يأكلون في بطونهم ناراً، وسيصلون سعيراً، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أنّ يقوم فلا يقدر من عظم بطنه! فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: فهم الذين يأكلون الربا لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ، وإنّهم لبسبيل آل فرعون، يُعرضون على النار غدواً وعشياً، يقولون: ربّنا متى تقوم الساعة؟ ولا يعلمون أنّ الساعة أدهى وأمرّ، ثمّ مررت بنساء معلّقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هنّ اللواتي يورثن أموال أزواجهنّ أولاد غيرهم...» / بحار الأنوار: ج ٦، ص٢٣٩.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً وعليّ خلف ظهره، فجلّلهم بكساء، ثم قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، قالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا نبيّ الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير»[(١)].

التأييد الروائي لعلمهم بالكتاب

هنالك عشرات بل مئات الروايات ذات مضامين متعدّدة، جميعها تؤكّد علم أهل البيت عليهم السلام بالكتاب، منها:

- عن عبد الأعلى بن أعين قال سمعت أبا عبد الله الإمام الصادق عليه السلام يقول: «قد ولدني رسول الله «صلّى الله عليه وآله» وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنّة وخبر النار وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كأنّما أنظر إلى كفّي. إنّ الله يقول: فيه تبيان كلّ شيء»[(٢)].

الطريق الثاني: أفضليتهم على جميع الأنبياء السابقين عليهم السلام:

وحاصل الاستدلال: بناءً على ما تقدّم سابقاً من تمتّع الأنبياء السابقين بالولاية التكوينيّة والقدرة على التصرّف في التكوين؛ من قبيل إحياء الموتى وخلق الطير ونحوها...، أنّه تثبت الولاية التكوينيّة لأهل

---

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى: ج ٥ ص٣٥١.

(٢) بصائر الدرجات، للثقة الجليل والمحدث النبيل شيخ القميين أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ «الصفّار»: ص٢١٧.

البيت بالأولوية القطعية؛ لأفضليتهم عليهم السلام على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين... ومن الأدلّة على ذلك: علمهم بالكتاب (القرآن الكريم) وهو مهيمن على الكتب السماوية السابقة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].... والدليل على كون القرآن مهيمناً على جميع الشرائع والكتب السماويّة السابقة قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النّحل: ٨٩].

ومن الروايات الدالة على ذلك ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام... عن عليٍّ بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبى طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي. قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرائيل؟ فقال «صلّى الله عليه وآله»: يا عليّ إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليُّ وللأئمة من بعدك»(١).

الطريق الثالث: الأسماء الحسنى والاسم الأعظم عند أهل البيت عليهم السلام

تقدّم فيما سبق أنّ من ملك الاسم الأعظم يستطيع أن يتصرّف في التكوين، وقد دلّت جملة وافرة من الروايات على أنّ عند أهل البيت الاسم الأعظم، والروايات بهذا المضمون متضافرة، ومنها:

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ج ٢، ص٢٣٧.

عن الإمام الباقر والإمام الهادي عليهما السلام: «إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»(١).

بل الروايات تذهب إلى أكثر من ذلك وأنّهم هم الأسماء الحسنى ومنها: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّي لأعرف بطرق السماوات من طرق الأرض، نحن الاسم المخزون المكنون ونحن الأسماء الحسنى التي إذا سئل الله عزَّ وجلَّ بها أجاب، نحن الأسماء المكتوبة على العرش ولأجلنا خلق الله عزَّ وجلَّ السماء والأرض والعرش والكرسيّ، والجنّة والنار، ومنّا تعلّمت الملائكة التسبيح والتقديس والتوحيد والتهليل والتكبير، ونحن الكلمات التى تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه»(٢).

الطريق الرابع: وراثتهم للنبيّ «صلّى الله عليه وآله» وباقي الأنبياء عليهم السلام، ومن الروايات الدالة على الوراثة ما يأتي:

- عن جابرٍ عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «يا جابر إنّا لو كنّا نحدّثكم برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين ولكنّا نحدّثكم بأحاديث

(١) بصائر الدرجات، للثقة الجليل والمحدث النبيل شيخ القمّيّين أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ «الصفار»: ص٢٢٨.
(٢) بحار الأنوار، العلّامة محمد باقر المجلسي: ج ٢٧ ص٣٨.

نكنزها عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله» كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم»[١].

- ما ورد في إسناد علومهم إلى رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كنت إذا سألت رسول الله «صلّى الله عليه وآله» أجابني وإن فنيت مسائلي ابتدأني. فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهارٍ ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا دنياً ولا آخرةٍ ولا جنّةٍ ولا نارٍ ولا سهلٍ ولا جبلٍ ولا ضياءٍ ولا ظلمةٍ إلّا أقرأنيها وأملاها عليَّ وكتبتها بيدي وعلّمني تأويلها وتفسيرها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها، وكيف نزلت وأين نزلت وفيمن نزلت إلى يوم القيامة، دعا الله لي أن يعطيني فهماً وحفظاً، فما نسيت آيةً من كتاب الله ولا على مَن أُنزلت إلّا أملاه عليّ»[٢].

الطريق الخامس: الروايات المصرّحة بتصرّف أهل البيت في التكوين ومنها قدرتهم على احياء الموتى... على المستوى النظري والعملي:

أولاً: على المستوى النظري صدرت روايات لبيان قدرتهم على ذلك ومنها:

- **الإحياء والإماتة بيدهم:** ففي الرواية عن عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث طويل قال: «أنا أُحيي وأميت بإذن ربّي، أنا أنبِّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم بإذن ربّي، وأنا عالم بضمائر

(١) بصائر الدرجات فى فضائل آل محمّد، الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار القمّى، منشورات مكتبة المرعشى النجفى، قم، ١٤١٢ هـ: ص٣٠١ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ص١٩٨ ح ٣.

قلوبكم، والأئمّة من أولادي عليهم السلام يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا لأنّا كلّنا واحد، أوّلنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلّنا محمد، فلا تفرّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله، الويل كلّ الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وماأعطانا الله ربّنا؛ لأنّ من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزَّ وجلَّ ومشيّته فينا»(١).

- طاعة الأرض والجبال لهم عليهم السلام: عن سماعة بن مهران قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الدنيا تمثّل للإمام في فلقة الجوز فما تعرّض لشيءٍ منها، وإنّه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء فلا يعزب عنه منها شيء»(٢).

- هم وسائط الفيض الإلهي: أي: كلّ عطاءٍ إلهيّ نازلٍ من السماء لا يصل إلى الخلق إلّا بتوسّطهم، فبهم يرزق الله العباد، ويُحيي الموتى ويميت الأحياء، كلّ ذلك بإذن الله تعالى، ففي الرواية عن أبي الطفيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله» لأمير المؤمنين عليه السلام: أكتب ما أُملي عليك. قال عليٌّ عليه السلام: يا نبيّ الله وتخاف عليّ النسيان؟ قال: لست أخاف عليك النسيان وقد دعوتُ الله لك أن يحفظك فلا ينساك، لكن اكتب لشركائك.

قال: قلت: ومن شركائي يا نبيّ الله؟

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المحدّث محمد باقر المجلسي: ج ٢٦ ص٦.

(٢) بصائر الدرجات، للثقة الجليل والمحدّث النبيل شيخ القميّين أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ «الصفّار»: ص٤٢٨.

قال: الأئمّة من ولدك بهم يُسقى أمّتي الغيث، وبهم يُستجاب دعاؤهم وبهم يُصرف البلاء عنهم، وبهم تنزل الرحمة من السماء، وهذا أوّلهم.

وأومأ بيده إلى الحسن ثم أومأ بيده إلى الحسين ثم قال: الأئمّة من ولدك»[١].

ثانياً: روايات على المستوى العمليّ بيّنت صدورحوادث في الواقع الخارجيّ دالّةٍ على تصرفهم عليهم السلام في عالم التكوين. ومنها:

تصرف النبيّ «صلّى الله عليه وآله» في عالم التكوين. ومنها:

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ من الناس من يؤمن بالكلام ومنهم من لا يؤمن إلا بالنظر، إنّ رجلاً أتى النبيّ «صلّى الله عليه وآله» فقال له: أرني آيةً، فقال رسول الله «صلّى الله عليه وآله» لشجرتين: اجتمعا، فاجتمعتا، ثم قال: تفرّقا، فافترقتا، ورجعت كل واحدةٍ منهما إلى مكانهما، قال: فآمن الرجل[٢].

- وعنه عليه السلام، قال: «لما سار رسول الله «صلّى الله عليه وآله» إلى حصن بني قريظة، حال النخل بينه وبين الحصن، فقال «صلّى الله عليه وآله» للنخل بيده: كذا، فذهبت النخل يميناً وشمالاً، حتى بدا له الحصن[٣]».

- عن علي عليه السلام، قال: «لقد بعث رسول الله «صلّى الله عليه وآله»

(١) المصدر نفسه: ص١٨٧.
(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ١٧ / ص٣٦٦.
(٣) الثاقب في المناقب، إبن حمزة الطوسي: ص٩١، ح٢.

يوم بطحاء إلى شجرةٍ فأجابت، ولكل غصنٍ منها تسبيح، وتهليل، وتقديس[١].

ردّ البصر لمن فقده على يد الإمام الصادق عليه السلام

- عن أبي بصير قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وقلت له: أنتم ورثة رسول الله «صلّى الله عليه وآله»؟

قال: نعم.

قلت: فرسول الله وارث الأنبياء علم كلّ ما علموا؟

فقال لي: نعم.

فقلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص؟ فقال لي:

نعم بإذن الله.

ثمّ قال: أُدنُ منّي يا أبا محمد.

فمسح يده على عينيّ ووجهي وأبصرتُ الشمس والسماء والأرض والبيوت وكلّ شيءٍ في الدار.

قال: أتحبّ أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنّة خالصاً؟

قلت: أعود كما كنت.

قال: فمسح على عينيَّ فعدت كما كنت.

(١) المصدر: ص٩١، ح٣.

قال عليّ: فحدّثت به ابن أبي عمير فقال: أشهد أن هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ»[١].

- وعن أبي عوف عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت عليه فألطفني وقال: إن رجلاً مكفوف البصر أتى النبيّ «صلّى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله «صلّى الله عليه وآله» أُدع الله أن يردّ علي بصري. فدعا الله له فردّ عليه بصره ثم أتاه آخر فقال: يا رسول الله «صلّى الله عليه وآله» أدع الله لي أن يرد علي بصري قال: فقال: الجنّة أحبّ إليك أم أن يردّ عليك بصرك قال: يا رسول الله وإن ثوابها الجنة. فقال: إن الله أكرم من أن يبتلي عبده المؤمن بذهاب بصره لا يثيبه الجنة.

احياء الموتى على يد الإمام الصادق عليه السلام

- وعن جميل بن درّاج قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخلت عليه امرأة فذكرت أنّها تركت ابنها بالملحفة على وجهه ميتا قال لها: لعلّه لم يمت فقومي فاذهبي إلى بيتك واغتسلي وصلي ركعتين وادعي وقولي يا من وهبه لي ولم يك شيئاً جدد لي هبته ثم حركيه ولا تخبري بذلك أحداً. قال: ففعلت فجاءت فحركته فإذا هو قد بكى[٢].

- حدثنا أحمد بن محمد عن عليّ بن الحكم عن علي بن المغيرة قال مر العبد الصالح عليه السلام بامرأةٍ بمنىً وهي تبكي وصبيانها حولها

(١) بصائر الدرجات، للثقة الجليل والمحدث النبيل شيخ القميين أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ «الصفّار»: ص٢٨٩.
(٢) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٧ / ص٧٩.

يبكون وقد ماتت بقرة لها فدنا منها ثم قال لها ما يبكيك يا أمة الله قالت: ياعبد الله إنّ لي صبياناً أيتاماً، فكانت لي بقرة معيشتي ومعيشة صبياني كان منها فقد ماتت وبقيت منقطعةً بي وبولدي ولا حيلة لنا فقال لها يا أمة الله هل لك أن أحييها لك قالت: فأُلهمت أن قالت: نعم يا عبدالله قال فتنحى ناحيةً فصلى ركعتين ثم رفع يديه يمينه وحرك شفتيه ثم قام فمر بالبقرة فنخسها نخساً أو ضربها برجله فاستوت على الأرض قائمةً، فلما نظرت المرأة إلى البقرة قد قامت صاحت: «عيسى بن مريم وربّ الكعبة» قال: فخالط الناس وصار بينهم ومضى عليه السلام وعلى آبائه الطاهرين(١).

وقبل الانتقال لإثبات ولاية فاطمة الزهراء عليها السلام نطرح سؤالين:

السؤال الأول: إذا كان صاحب الولاية له القدرة على التصرّف في الكون فما الفرق بينه وبين الله سبحانه بلحاظ الولاية التكوينيّة؟

الجواب:

١ - ثبت فيما سبق أن أصل الولاية بإذن الله سبحانه.

٢ - أنّ لله تعالى عدّة أسماء مستأثرة، بمعنى أنّ هذه الأسماء من حيثيّة عدم تناهيها وعدم محدوديتها لا يمكن أن يوجد لها في عالم الإمكان مظهر وعلامة، وهذا المعنى أشارت إليه روايات أهل البيت عليهم السلام: فعن إبراهيم بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت، وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ،

(١) المصدر - ج ٤٨ / ص٥٥.

منفيّاً عنه الأقطار، مبعداً عنه الحدود، محجوباً عنه حسّ كلّ متوهم، مستتراً غير مستور، فجعله كلمةً تامّةً على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل آخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب منها واحداً وهو الاسم المكنون المخزون»(١).

السؤال الثاني: هل الولاية التكوينيّة من مصاديق الغلو؟

الجواب: يظهر أنّ الغلوّ في القرآن استعمل في معنى مجاوزة الحدّ المفترض للمخلوق، والارتفاع به إلى مقام الألوهية. وقد ورد الغلوّ في كلمات أهل البيت عليهم السلام في عدد وافر من النصوص الروائية التي نهت وحذّرت من الغلوّ والمغالاة فيهم عليهم السلام والارتفاع بهم إلى مقام الألوهية والربوبية، ومن هذه الروايات: قال المأمون للإمام الرضا عليه السلام: «يا أبا الحسن بلغني أنّ قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحدّ؟ فقال الرضا عليه السلام: حدّثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّدٍ عن أبيه محمّدٍ بن عليٍّ عن أبيه عليٍّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليٍّ عن أبيه عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله تبارك تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبيّاً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠] (٢).

(١) الكافي، العلّامة ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني: ج ١، ص١١٢.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الأقدم والمحدّث الأكبر أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: ج ١، ص٢١٧.

ومن هنا يتّضح أنّ ولاية أهل البيت عليهم السلام التكوينيّة وقدرتهم على التصرّف في الكون لا تستلزم شيئاً من الغلوّ؛ لأنها بإرادةٍ وإذنٍ منه تعالى، وقد صرّحت بذلك الروايات.

الولاية التكوينيّة للزهراء عليها السلام (١)

فاطمة الزهراء عليها السلام عندها الولاية التكوينيّة حيث ثبتت لها من خلال عدة أمور منها:

أولاً: أنّها حليلة سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام: فهي كفو له وهو كفو لها وهذا يقتضي كونها عندها من المقامات ما لامير المؤمنين علي عليه السلام إلّا ما خصّه الله تعالى من الولاية التي يتصدى بها لخلافة رسول الله «صلّى الله عليه وآله»، ومن المعلوم أنّ أمير المؤمنين عنده هذه الولاية أعني: الولاية التكوينيّة. وقد أعطت الكثيرُ من الكتب الشواهد العديدة على هذه القضية، ويكفي شاهد على ذلك في قضية ردّهِ الشمس، وهل هذا إلا تصرّف تكوينيٌّ من خلال اسم الله الأعظم، وعليه إن المقام ثابت للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام.

ثانياً: أنّها حجة الله الكبرى على الخلق بما فيهم الأنبياءُ والأوصياء عليهم السلام ويدل على ذلك الحديث المروي نصه: «ما تكاملت نبوة نبيٍّ حتى أقرّ بفضلها ومحبتها(٢) وعلى معرفتها دارت القرون

---

(١) مقتبس من كتاب الأسرار الفاطميّة للعلّامة فاضل المسعودي.

(٢) عوالم العلوم: ج ١١ ص١٦١ ح ٢/ نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ٢٠، ص: ١٣٥.

الأولى»(١)، فإذا كانت النبوة لا تكتمل لنبي من الأنبياء حتى يقر بفضلها ومحبتها، فمن باب الأولوية إن كلّ مقام من المقامات المعنوية والمادية التي كانت ثابتة للأنبياء كانت ثابته أيضاً للصدّيقة الطاهرة فاطمة عليها السلام إلّا ما خرج بالدليل مثل النبوة الخاصة بكل نبي، وأيضاً بينا في حديث «نحن حجج الله على الخلق وجدتنا فاطمة عليها السلام حجة الله علينا» قضية أنّها حجة الله الكبرى فما كان ثابتاً للأئمة من الولاية التكوينيّة هو ثابت لها عليها السلام . . .

ومن الشواهد الروائيّة بل الحوادث الواقعة الدالة على ثبوت الولاية التكوينيّة لفاطمة عليها السلام ما يأتي:

- عن أبي عبد الله عليه السلام عن سلمان الفارسيّ «رضوان الله عليه»: أنّه أستخرج أمير المؤمنين من منزله، خرجت فاطمة حتى انتهت إلى القبر، فقالت: خلوا عن ابن عمي، فوالذي بعث محمداً بالحق لإن لم تخلوا عنه لأنشرنّ شعري ولأضعنّ قميص رسول الله «صلّى الله عليه وآله» على رأسي ولأصرخنّ إلى الله، فما ناقة صالحٍ بأكرم على الله من والدي.

قال سليمان: فرأيت والله أساس حيطان المسجد تقلعت من أسفلها، حتى لو أراد حتى أراد أن ينفذ من تحتها نفذ. فدنوتُ منها وقلت: يا سيدتي ومولاتي، إنّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمةً، فرجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا(٢).

---

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٤٣ / ص١٠٥.
(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص٤٧ ح ٤٦، عن المناقب، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص٣٣٩، عن اختيار معرفة الرجال، على ما في المناقب / نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ٩، ص: ٩٥.

كلام العارف المتأله السيد الخميني (قدّس سرّه) لاثبات الولاية التكوينيّة للزهراء عليها السلام

يقول الإمام الخميني «قدّس سرّه» الذي يرى ثبوت الولاية التكوينيّة للصدّيقة الطاهرة فاطمة ما نصه: وثبوت الولاية والحاكميّة للإمام عليه السلام لا يعني تجردهُ عن منزلته التي هي له عند الله، ولا يجعله مثل من عداه من الحكام فإنّ للإمام مقاماً محموداً ودرجةً ساميةً وخلافةً تكوينيةً تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإنّ من ضروريّات مذهبنا أنّ لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبيٌّ مرسلٌ، وبموجب مالدينا من الروايات والأحاديث فإنّ الرسول الأعظم «صلّى الله عليه وآله» والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلّا الله وقد قال جبرئيل، كما ورد في روايات المعراج: لو دنوتُ أنملةً لاحترقت، وقد ورد عنهم عليهم السلام: أنّ لهم مع الله حالاتٍ لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل، ومثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء عليها السلام» لا بمعنى أنها خليفة أو حاكمة أو قاضية، فهذه المنزلة شيء آخر وراء الولاية والخلافة والإمرة، وحين نقول: إنّ فاطمة عليها السلام لم تكن قاضية أو حاكمة أو خليفة فليس يعني تجردها عن تلك المنزلة المقربة، كما لا يعني ذلك أنّها امرأة عاديّة من المثال ما عندنا[1].

(١) الحكومة الإسلاميّة: ٥٢.

الخلاصة

١ - الولاية التكوينيّة ثابتة للنبي وآله «عليه وعليهم السلام» بما فيهم الصديقة الطاهرة عليها السلام بحسب النصوص الصحيحة الصريحة من القرآن والسنة.

٢ - بعض الروايات التي تتحدث عن الولاية التكوينيّة أسانيدها ضعيفة، ولكن هذا لا ينفي حقيقة وثبوت الولاية التكوينيّة؛ لأن الإمكان أعمُّ من الوقوع.

٣ - الولاية التكوينيّة لا تعني أن صاحبها يعمل ولايته بمعزلٍ عن القدرة والإذن الإلهيّ، بل هي متوقفة مسبقاً على الإذن الإلهي.

٤ - الولاية التكوينيّة مشروطةً بشروط وأهمها: امتلاك الاسم الأعظم، ورؤية الملكوت.

٥ - الولاية التكوينيّة لأهل البيت عليهم السلام خارجة عن دائرة الغلوّ، لأنّ ولايتهم التكوينيّة ليست تخطّياً لحدود البشرية إلى حدود الألوهيّة؛ لأنّ ولايتهم التكوينيّة بل جميع ما عندهم هو من الله تعالى وبإذنه.

الموضوع الثاني والأربعون
من معاجز الزهراء عليها السلام (١)

يقول العلامة الكاشاني(٢): لمّا أخرجوا أمير المؤمنين عليه السلام من الدار خرجت الزهراء عليها السلام خلفه حتى وصلت إلى باب المسجد، أخذت بعضادة باب المسجد وقالت: خلّوا عن ابن عمي! فو الذي بعث محمّداً بالحق! لإن لم تخلّوا عنه لأنشرنّ شعري، ولأضعنّ قميص رسول الله «صلّى الله عليه وآله» على رأسي، ولأصرخنّ إلى الله، فما ناقة صالحٍ بأكرم على الله من ولدي(٣).

(١) للمزيد راجع موضوع الولاية التكوينيّة.

(٢) ينظر الطريق الى المنبر الحسيني: للخطيب عبد الوهاب الكاشاني: ج٣: المكتبة الحيدرية: ط١: ١٤٢٥ هـ: ص٢٣٨.

(٣) أبو جعفر الطوسي في اختيار معرفة الرجال، عن أبي عبد الله عليه السلام وعن سلمان الفارسي: أنه لما استخرج أمير المؤمنين عليه السلام من منزله خرجت فاطمة عليها السلام حتى انتهت إلى القبر، فقالت: خلّوا عن ابن عمي، فو الذي بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله بالحق لإن لم تخلّوا عنه لأنشرنّ شعري ولأضعنّ قميص رسول الله صلّى الله عليه وآله على رأسي ولأصرخنّ إلى الله؛ فما ناقة صالح بأكرم على الله من ولدي.
قال سلمان: فرأيت والله أساسُ حيطان المسجد تقلّعت من أسفلها حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ. فدنوت منها وقلت: يا سيدتي ومولاتي، إن الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة. فرجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا. / بحار الأنوار: ج ٤٣ ص٤٧ ح ٤٦، عن المناقب، المناقب

وقفة تأمل لفقرة
(فما ناقة صالحٍ بأكرم على الله من ولدي)

لنرجع للقرآن الكريم نستنطقه حول هذه الحادثة. . .

قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [هود: ٦٤-٦٧].

سؤال: ما المراد من الصيحة؟

الجواب: يقول آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي(١): الصيحة في اللغة معناها الصوت العظيم الذي يصدر من فم الإنسان أو الحيوان عادة. . . ولكن لا تختصّ بهذا المعنى، بل تشمل كل صوتٍ عظيمٍ. نقرأ في القرآن الكريم أن عدّة أقوام آثمين أخذتهم الصيحة من السماء عقاباً لهم على ذنوبهم، «ثمود» الذين نتحدث عنهم «وقوم لوط» كما نقرأ في سورة الحجر قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣] «قوم شعيب» كما ذُكروا في سورة هود ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هُود: ٩٤].

لابن شهر آشوب: ج ٣ ص٣٣٩، عن اختيار معرفة الرجال، على ما في المناقب. نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ٢٠، ص: ١٣٥.

(١) تفسير الآية ٦٧ من سورة هود.

ويستفاد من بعض الآيات الأُخرى من القرآن أنّ قوم صالح «ثمود» عوقبوا بالصاعقة قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فُصّلَت: ١٣] ومن هنا يتبيّن أنّ المراد من الصيحة هو صوت الصاعقة الموحش!

سؤال: هل يستطيع صوت الصاعقة الموحش أن يبيد قوماً أو جماعة بأسرهم؟!

والجواب: نعم، حتماً! لأنّنا نعرف أن الأمواج الصوتية إذا تجاوزت حدّاً معيناً تستطيع أن تكسّر الزجاج، وقد تتهدم على أثرها عمارات، وقد تشل أعضاء البدن الداخلية.

الطائرات حين تخترق الجدار الصوتي وتكون سرعتها أكثر من سرعة أمواج الصوت يسقط بعض الأفراد فاقدي الوعي، أو تُسقط الحامل جنينها بسبب ذلك وقد يتكسر جميع الزّجاج في عمارات المنطقة التي تمرّ عليها هذه الطائرات.

وطبيعي أنّه إذا كانت شدّة الأمواج الصوتية أكثر ممّا ذكرنا، فمن السهولة أن تحدث اختلالاً قاتلاً في شبكات الأعصاب والدماغ وحركات القلب وتسبب موت الإنسان!

ومن الثابت - طبقاً لما في آيات القرآن - أنّ نهاية هذا العالم تكون بصيحةٍ عامّة أيضاً قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]، كما أنّ يوم القيامة يبدأ بصيحةٍ موقظةٍ أيضاً قال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

نرجع إلى الرواية، يقول سلمان «رضوان الله عليه»: فرأيتُ والله

أساسُ حيطان المسجد تقلّعت من أسفلها، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ.

ويقول: رأيت أبواب السماء قد تفتحت ونزلت ملائكة العذاب يقدمهم ملك يحمل بيده حربةً لها شعبتان واحدة في المشرق وواحدة في المغرب ومعه جبرئيل. يقول: فقال ملكٌ منهم، جبرائيل أما ترى هذه الأمّة ما تصنع مع حبيبة حبيب الله؟ والله لإن أذن لي ربيّ لأهلكنهم، فقال جبرائيل: يا ملك العذاب العلامة بيني وبينك لإهلاك هذه الأمة أن تكشف فاطمة عن رأسها، فإذا فعلت ذلك أقلب عاليها سافلها وأزلزلُ بأرجائها.

ثم التفت أمير المؤمنين إلى سلمان وقال: يا سلمان أدرك فاطمة قبل أن تكشف عن رأسها وقل لها: بُعث أبوك رحمةً للعالمين، فلا تكوني سبباً في هلاك هذه الأمة.

سؤال: لماذا كل هذه الاحداث ترافق مصيبة الزهراء عليها السلام؟

الجواب:

- وذلك لأن الزهراء عليها السلام لها مقام الرضا قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: إن الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها(١).
- إقرار الانبياء عليهم السلام بفضلها: وهذا ما نقله العلّامة المجلسي رحمه الله عن أبي عبد الله عليه السلام: وهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى.

قال المحقق البارع أبو الحسن النجفي في كتابه القيم (ملتقى

(١) بحار الأنوار - العلّامة المجلسي - ج ٢١ / ص٢٧٩.

البحرين) في ذيل هذا الحديث: إن المراد من القرون هي قرون جميع الأنبياء والأوصياء وأممهم من آدم فمن دونه حتى نفس خاتم الأنبياء «صلّى الله عليه وآله» أجمعين، يعني ما بعث الله عزَّ وجلَّ أحدا من الأنبياء والأوصياء حتى أقروا بفضل الصديقة الكبرى ومحبتها. ويؤيده ما ذكره السيد هاشم البحراني قدس سره في (مدينة المعاجز) عنه عليه السلام: (ما تكاملت النبوة لنبيٍّ حتى أقر بفضلها ومحبتها)(١).

- مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله - عن أبي جعفر عليه السلام: ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة.
- إنّها روح النبيّ «صلّى الله عليه وآله» حيث ورد عنه «صلّى الله عليه وآله»... وهي ثمرة فؤادي وهي روحي التي بين جنبيّ.

والنبيّ «صلّى الله عليه وآله» هو لُبُّ هذا العالم، لذلك يقول آية الله العظمى الوحيد الخرساني «دام ظله»، وهو يتحدث عن مصاب النبي «صلّى الله عليه وآله» يوم أحد... فأيُّ جبهةٍ جرحت يومئذٍ، وأسنان أي فم كسرت؟ لقد تزلزلت أركان العالم، فالعالم قشرٌ والنبي لبه، وإذا تضرر اللب فما قيمة القشر؟!(٢)

فكيف لايتزلزل العالم يوم مصيبة الزهراء عليها السلام وهي روحه التي بين جنبيه؟!!

وكيف لا يغضب الله على شرذمةٍ خالفت الله ورسوله؟!. قال

(١) الزهراء عليها السلام بهجة قلب المصطفى.
(٢) الحق المبين في معرفة المعصومين عليهم السلام.

تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣].

ومن معاجزها عليها السلام أنّها: لما أتمّ أمير المؤمنين عليه السلام تغسيلها وتكفينها وقَبلَ أن يعقد الرداء عليها؛ صاح أمير المؤمنين «يا حسن يا حسين يا زينب،هلموا وتزودوا من أمكم فاطمة، فهذا الفراق، واللقاء في الجنة» فأقبلوا وجلس الحسن عند جانب والحسين عند جانب وزينب وهم ينادون ويبكون (أمّاه فاطمة كلّمينا)، ثم يقولُ عليٌّ: كَسَر خاطري الحُسين وهو يقول: أماه أقسم عليك بجدّي رسول الله إلا ما كلمتني لقد قطعتي نياط قلبي وهم يقولون: أماه يا فاطمة قولي لجدّنا «إنّا بقينا بعدك يتيمين غريبين في دار الدنيا» فقال أمير المؤمنين: إني أشهد الله أنها قد حنّت وأنّت ومدّت يديها وضمتهما إلى صدرها مليّاً: وإذا بهاتف من السماء يُنادي: يا أبا حسن إرفعهُما عنها، فلقد أبكيا والله ملائكة السماوات.

الموضوع الثالث والأربعون

محورية الزهراء عليها السلام بين النبوة والإمامة

في الحديث القدسي: «يا أحمدُ لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما»(١).

يقول العلامة السيّد عليّ الميلاني موضحاً الحديث: لا شك أنّ رسول الله وآله «عليه وآله السلام» هم العلّة الغائية من الخلقة، فلولا رسول الله لما خلق الله العالم. لكنّ الرسول الأعظم «صلّى الله عليه وآله» وعلياً أمير المؤمنين عليه السلام من شجرة واحدة كما في أحاديث الفريقين، والشجرة إن لم تثمر فلا فائدة لها، وحصول الثمرة منها يتوقف على وجود فاطمة سلام الله عليها، ولذا قال في الأحاديث: وفاطمة لقاحها، فلولا فاطمة لم يتحقّق الغرض من البعثة والولاية، ولما وجد الحسنان وسائر أئمة الهداية عليهم السلام.

بعد هذه المقدّمة المقتضبة نعقد بحثنا وبعون الله تعالى للتعرّف على محورّيتها عليها السلام ومن خلال الإثارات التالية:

سؤال: ما هو موقع الزهراء عليها السلام بين النبوّة والإمامة؟

(١) مستدرك سفينة البحار: ج ٣ ص٣٣٤، عن مجمع النورين وكشف اللآلي: نقلاً عن الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ج ١٩، ص: ٣٥٧.

الجواب: يقول العلامة الحيدري «دام ظله»[(١)]: هنا لا مجال للعقل من أجل بيان الأكمل من الكامل بل لا بد من الرجوع إلى الآيات والروايات لمعرفة هذه الحقيقة، وعندما نرجع إلى الآيات والروايات نجدها تعطي للزهراء عليها السلام محوريةً خاصةً لكلّ مراحل حياتها عليها السلام :

- نورها قبل هذا العالم.
- خلقها قبل هذا العالم.
- إنعقاد نطفتها.
- ولادتها.
- حياتها.
- نشأتها.
- شهادتها.
- الدعاء.
- حشرها[(٢)].

في النصوص القرآنية الخاصّة بآل البيت عليهم السلام تجدُ الزهراء عليها السلام حاضرةً وبكلِّ قوّةٍ... ومن هذه الآيات[(٣)]:

أولاً: آية (التطهير) هي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] فقد كان

(١) مقتبس من كاسيت ٩٧ من درس تفسير الميزان: تدريس الأستاذ العلّامة السيد كمال الحيدري / بتصرف.

(٢) للوقوف على مراحل حياتها ونشأتها في هذه العوالم يراجع الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، للعلّامة إسماعيل الأنصاري الزنجاني.

(٣) نقلاً عن موسوعة سيّدة نساء العالمين: الزهراء عليها السلام في القرآن الكريم.

رسول الله «صلّى الله عليه وآله» يَمُرُّ على دار فاطمة عليها السلام صباح كلّ يوم عند خروجه إلى المسجد للصلاة، فيأخذُ بِعُضَادَةِ الباب قائلاً: «السَّلامُ عَليكُم يَا أَهْلَ بَيتِ النُّبُوَّة، ثم يتلو هذه الآية المباركة.

ثانياً: آية (المُبَاهَلَة)، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٦١]. وقد نزلت حينما جاءَ وفد نَجْرَان إلى النبيّ «صلّى الله عليه وآله» لِيتحدَّثَ معه حول عِيسى عليه السلام، فقرأ النبي عليهم الآية التالية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عِمرَان: ٥٩]، فلم يقتنع النصارى بذلك، وكان تعقيدتهم فيه أنه عليه السلام ابنُ الله، فاعترضوا على النبيّ، فنزلت آية المُبَاهلة وهي أن يَتَبَاهَلَ الفريقان إلى الله تعالى، وَيَدعُوَا اللهَ تعالى أن يُنزل عذابَهُ وغضبَه على الفريق المُبطِل منهما، واتفقا على الغد كيوم للمباهلة.

ثم تَحاوَرَ أعضاءُ الوفد بعضهم مع بعض، فقال كبيرهم الأسقف: إنْ جَاء غداً بِوَلَدِهِ وأهل بيته فلا تُبَاهلوه، وإن جَاء بغيرهم فافعلوا.

فَغَدَا الرسول الأكرم مُحتَضِناً الحسين، آخذاً الحسن بيده، وفاطمة تمشي خلفه، وعليٌّ خَلفَها «عليه وعليهم أفضل التحية والسلام».

تأمّل في الهيئة التي جاء بها الرسول وآله «صلّى الله عليه وآله» وكيف جعل الزهراء عليها السلام في مكانٍ محوريٍّ وجعلها الحلقة التي تربط بين النبوّة والإمامة.

ثـمّ جثى النبيُّ قائلاً لهم: (إذا دَعَوتُ فَأَمِّنُوا)، وأمّا النَّصارى فرجعوا إلى أسقُفِهِم فقالوا: ماذا ترى؟

قال: أرى وجوهاً لو سُئِل اللهُ بِها أن يُزيلَ جَبَلاً مِن مكانِهِ لأَزَالَهُ.

فخافوا وقالوا للنبي: يا أبا القاسم، أَقِلنَا أقال الله عثرتَك.

فَصَالَحُوهُ على أن يدفعوا له الجِزية.

فهذه الصورةُ تحكي عن حدث تاريخي يَتَبَيَّن من خلالهِ عَظمة فاطمة الزهراء، وأهل بيتها عليهم السلام، ومنازلهم العالية عند الله تعالى.

ثالثاً: سورة (الكَوثَر)، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١-٣].

فالأبتر هو المنقطع نَسلُه، وقد استفاضت الروايات في أن هذه السورة إنما نَزَلَتْ ردّاً على من عاب النبيّ «صلّى الله عليه وآله» بالبتر (أي عدم الأولاد) بعد ما مات أبناء الرسول، وهم: القاسم، وعبد الله.

وقصّة هذه السورة هي: أنّ العاص بن وائلٍ السهميّ كان قد دخل المسجد بينما كان النبيُّ «صلّى الله عليه وآله» خارجاً منه، فالتقَيَا عند باب بني سَهْمٍ، فَتَحَدَّثَا.

ثم دخل العاص إلى المسجد، فسأله رجال من قريش، كانوا في المسجد: مع من كنت تتحدث؟

فقال: مع ذلك الأبتر.

فنزلت سورة الكوثر على النبيّ «صلّى الله عليه وآله»، فالمراد من الكوثر هو: الخير الكثير، والمراد من الخير الكثير: كَثرَة الذُّرِّيَّة، لِمَا في ذلك من تَطْييبٍ لِنَفْسِ النبي.

وَرُوِيَ أنه قال النبي «صلّى الله عليه وآله» لخديجة قبل ولادة فاطمة: هَذا جِبرَئِيلُ يُبَشِّرُنِي أَنَّها أُنثَى، وأَنَّهَا النَّسلَةُ، الطاهرةُ، المَيْمُونَةُ، وأنَّ

الله تبارك وتعالى سيجعل نَسلِي مِنها، وسيجعل مِن نَسْلِهَا أئمة، ويجعلُهُم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه(١).

النصوص الروائية لبيان محوريتها عليها السلام

وأما في النصوص الروائية فنجد محوريّة الزهراء عليها السلام في دائرة النبوة والإمامة أوضح منها في الآيات، والآن نستعرض شذرةً من تلك الروايات ولمختلف مراحل حياتها عليها السلام :

أولاً: خصوصيتها عليها السلام في وجودها النوري قبل عالمنا

عن سلمان الفارسيّ رحمه الله قال: كنت جالساً عند النبيّ «صلّى الله عليه وآله» في المسجد إذ دخل العباس بن عبد المطلب، فسلّم، فردّ النبي «صلّى الله عليه وآله» ورحب به، فقال: يا رسول الله بِمَ فضل الله علينا أهل البيت عليّاً بن أبي طالب والمعادن واحدة؟ فقال النبي «صلّى الله عليه وآله»: إذن أخبرك يا عم، إن الله خلقني وخلق علياً ولا سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا لوح ولا قلم. فلما أراد الله عزَّ وجلَّ بدو خلقنا تكلم بكلمة فكانت نوراً، ثم تكلم بكلمة ثانية فكانت روحاً، فمزج فيما بينهما واعتدلا، فخلقني وعلياً منهما. ثم فتق من نوري نور العرش، فأنا أجل من العرش، ثم فتق من نور عليّ نور السماوات، فعليٌّ أجلّ من السماوات ثم فتق من نور الحسن نور الشمس، ومن نور الحسين نور القمر، فهما أجل من الشمس والقمر.

(١) بحار الأنوار: ج ١٦: ص[٨٠]: ح٢٠.

محل الشاهد: وكانت الملائكة تسبّح لله تعالى وتقول في تسبيحها: (سبوح قدوس من أنوارٍ ما أكرمها على الله تعالى)! فلما أراد الله تعالى أن يبلو الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمةٍ، وكانت الملائكة لا تنظر أوّلها من آخرها ولا آخرها من أولها، فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن فيه، فنسألك بحق هذه الأنوار إلا ما كشفت عنا. فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأفعلنّ؛ فخلق نور فاطمة الزهراء عليها السلام يومئذٍ كالقنديل، وعلقه في قرط العرش، فزهرت السماوات السبع، من أجل ذلك سُمِّيَتْ فاطمة (الزهراء).

وكانت الملائكة تسبح الله وتقدسه، فقال الله: وعزّتي وجلالي، لأجعلنّ ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبّي هذه المرأة وأبيها وبعلها وبنيها(١).

أصل النور هو رسول الله «صلّى الله عليه وآله» كما في هذه الرواية ورواية جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت لرسول الله «صلّى الله عليه وآله»: (أوّل شيءٍ خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كلّ خير)(٢).

ولكن جعل تلك الظلمة التي ابتلى الله بها الملائكة ثم كشفها عنهم بالزهراء عليها السلام من أجل إعطاء الزهراء تلك المحوريّة في عالم الأنوار.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣: ص[١٧]: ح ١٦.
(٢) المصدر: ج ١٥: ص[٢٤]: ح٤٣.

ثانياً: خصوصيّتها عليها السلام في انعقاد نطفتها

يقول العلامة المجلسي «عليه الرحمة»[(١)]: هبط جبرئيل على رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فناداه: يا محمد! العليُّ الأعلى يقرأ عليك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً.

فشقّ ذلك على النبيّ «صلّى الله عليه وآله» وكان لها محبّاً... فأقام النبيُّ أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل، حتى إذا كان في آخر أيامه تلك، بعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وقال: قل لها: يا خديجة لا تظني أنّ انقطاعي عنك هجرةٌ ولا قلى، ولكنّ ربي أمرني بذلك لينفّذ أمره، فلا تظني يا خديجة إلّا خيراً، فإن الله عزَّ وجلَّ ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مراراً.

فإذا جنّك الليل... (ردّي) الباب، وخذي مضجعك من فراشك، فإني في منزل فاطمة بنت أسد.

فجعلت خديجة تحزن كل يوم مراراً لفقد رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فلما كان في كمال الأربعين هبط جبرئيل فقال: يا محمد! العلي الأعلى يقرئك السلام وهو يأمرك أن تتأهّب لتحيَّته وتحفته.

فقال النبي «صلّى الله عليه وآله»: يا جبرئيل وما تحفة ربِّ العالمين وما تحيته؟ فقال جبرئيل: لا علم لي.

فبينما النبي «صلّى الله عليه وآله» كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطّى بمنديل سُنْدُسٍ أو إِسْتَبْرَقٍ[(٢)]، فوضعه بين يدي النبيِّ «صلّى الله

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٦: ص[٧٩].

(٢) السُنْدُس: هو الرقيق من الديباج، والإستبرق: ما غلظ من الديباج: أيسر التفاسير: للجزائري.

عليه وآله» وأقبل جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمّد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: كان النبيّ «صلّى الله عليه وآله» إذا أراد أن يفطر أمرني أن أفتح الباب لمن يرد من الأقطار، فلما كان في تلك الليلة أقعدني النبيّ «صلّى الله عليه وآله» على باب المنزل وقال: «يا بن أبي طالب إنه طعام محرَّم إلّا عليَّ».

قال علي عليه السلام: فجلست على الباب، وخلا النبي «صلّى الله عليه وآله» بالطعام، وكشف الطبق، فإذا عذق من رطب، وعنقود من عنب، فأكل النبي «صلّى الله عليه وآله» منه شبعاً وشرب من الماء رياً، ومدّ يده للغسل، فأفاض الماء عليه جبرئيل، وغسل يده ميكائيل وتمندله إسرافيل، وارتفع فاضل (باقي) الطعام مع الإناء إلى السماء.

ثم قام النبي «صلّى الله عليه وآله» ليصلي فأقبل عليه جبرئيل وقال: الصلاة محرَّمة عليك في وقتك حتى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها، فإن الله عزَّ وجلَّ آلى (حلف) على نفسه أن يخلق من صلبك هذه الليلة ذريةً طيّبة.

فوثب النبي «صلّى الله عليه وآله» إلى منزل خديجة.

قالت خديجة: وقد كنت قد ألفت الوحدة، فكان إذا جنّني الليل غطّيت رأسي، وسجفت (أرسلت) ستري وغلّقت بابي، وصلّيت وِردي، وأطفأت مصباحي، وآويت إلى فراشي؛ فلما كانت تلك الليلة لم أكن نائمة ولا بالمنتبهة إذ جاء النبي فقرع الباب، فناديت: من هذا الذي يقرع حلقةً لا يقرعها إلا محمد؟

نادى النبي «صلّى الله عليه وآله» بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه:

إفتحي يا خديجة فإنّي محمد. قالت خديجة: فقمت مستبشرة بالنبيّ، وفتحت الباب، ودخل النبيّ المنزل، وكان النبيّ «صلّى الله عليه وآله» إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر للصلاة ثم يقوم فيصلي ركعتين يوجز فيهما، ثم يأوي إلى فراشه.

فلما كانت تلك الليلة لم يدعُ بالإناء ولم يتأهب للصلاة. بل كان بيني وبينه ما يكون بين المرأة وبعلها، فلا والذي سمك السماء، وأنبع الماء ما تباعد عني النبي حتى أحسست بثقل فاطمة في بطني. الخ.

يقول السيد محمد كاظم القزويني نستفيد من هذا الحديث أموراً(١):

١ – إن الله تعالى أمر نبيه أن يعتزل خديجة، وأن ينقطع عن رؤيتها لفترة حتى يزداد بها شوقاً ورغبة.

٢ – إشتغاله بالمزيد من العبادة للمزيد من روحانية النفس وسمّوها وتعاليها بسبب الاتصال بالعالم الأعلى.

٣ – إفطاره بالتحفة السماوية الطاهرة، السريعة التحول إلى النطفة بسبب لطافتها.

٤ – تكوّن النطفة من طعام سماويٍّ لطيف، لا يشبه الأطعمة المادية.

٥ – التوجه إلى دار خديجة فوراً استعداداً لانتقال النطفة مع تلك المقدمات.

سؤال: لماذا هذا النفير العام الذي طلبه الله سبحانه وتعالى من

(١) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: للخطيب السيد محمد كاظم القزويني: ص٣٤–٣٧: مطبعة سيد الشهداء عليه السلام ط١: ١٤٢٤.

الخاتم أكان النبي «صلّى الله عليه وآله» لم يتعبد وهو الذي أشفق الله عليه من كثرة العبادة حيث قال سبحانه: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝﴾ [طه: ١-٢] أم كان النبي «صلّى الله عليه وآله» لا يتحرز من طعام الشبهات أم. . .!!!!؟ كلا وألف كلا. . .

ولكن كل ذلك من أجل المزيد من الاستعداد والاحتياط لتهيئة مقدمات نطفة الزهراء عليها السلام وإنّها النسلة الطاهرة والتي سوف تكون المحور والأصل في دائرة النبوة والإمامة(١).

ثالثاً: خصوصيتها عليها السلام في بطن أمها

عن أبي عبد الله بن جعفر بن محمد عليه السلام . . . إنّ خديجة عليها رضوان الله لما تزوج بها رسول الله «صلّى الله عليه وآله» هجرتها نسوة مكة، فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولايتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة من ذلك، فلما حملت بفاطمة عليها السلام صارت تحدثها في بطنها وتصبرها، وكانت خديجة تكتم ذلك عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله»، فدخل يوماً وسمع خديجة تحدث فاطمة، فقال لها: يا خديجة من يحدثك؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني، فقال لها: هذا جبرئيل يبشرني أنها انثى، وأنها النسمة الطاهرة الميمونة، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها. . .(٢)

(١) مستفاد من محاضرات العلاّمة الحيدري دام ظله من الكاسيت درس ٩٧ من دروس التفسير سنة ١٤١٤.

(٢) بحار الأنوار / جزء ١٦ / صفحة [٨٠] ح٢٠

رابعاً: خصوصيتها عليها السلام عند ولادتها[١]

. . . فلم تزل خديجة «رضي الله عنها» على ذلك (أي على ذلك الاعتزال من نساء قريش) إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش ونساء بني هاشم يجئن ويلين منها ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها عصيتِنا ولم تقبلي قولنا، وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجئ ولا نلي من أمرك شيئاً، فاغتمت خديجة لذلك، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن، فقالت لها إحداهن: لا تحزني يا خديجة، فإنا رسل ربك إليك، ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه صفراء بنت شعيب، بعثنا الله تعالى إليك لنلي من أمرك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، والأخرى عن يسارها، والثالثة من بين يديها، والرابعة من خلفها فوضعت خديجة فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضاً من اللبن، وأطيب رائحةً من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة، وقنعتها بالأخرى، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ أبي رسول الله «صلّى الله عليه وآله» سيد الأنبياء، وأن بعلي سيد الاوصياء، وأنّ ولدي سيد

(١) المصدر ص٨٠.

الأسباط، ثم سلّمت عليهن، وسمت كل واحدة منهن باسمها، وضحكن إليها وتباشرت الحور العين، وبشر أهل الجنة بعضهم بعضا بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك اليوم، فلذلك سُمِّيَتْ الزهراء عليها السلام، وقالت: خذيها يا خديجة طاهرةً مطهرةً زكيّةً ميمونة، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها خديجة عليها السلام فرحةً مستبشرة...

إذن خدمتها وأشرفت على ولادتها مريم العذراء عليها السلام سيدة نساء عالمها والتي قال الله فيها سبحانه وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عِمرَان: ٣٧] فإذا كانت هذه السيدة خدمتها فأي مستوى ومقام للزهراء عليها السلام وماذا يريد أن يقول المولى سبحانه وتعالى فتأمل بدقة. !!!

خامساً: خصوصيتها عليها السلام عند الله سبحانه

قال رسول الله «صلّى الله عليه وآله»: قال: يا فاطمة إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك[1]..

مقام الرضا من أعلى المقامات في القرب الإلهيّ وهو أن يسلم الإنسان ويخضع لله سبحانه. يقول السيد الإمام الخميني «قدس سره»[2]: إعلم أن مقام «الرضا» غير مقام «التوكل»، وهو أسمى منه وأرفع. وذلك

(١) بحار الأنوار / جزء ٤٣ / صفحة [٤٤] ح٤٤.
(٢) الأربعون حديثاً: للإمام الخميني: ٢٤٦: ط٣: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني.

لأنّ المتوكل يطلب الخير والصلاح لنفسه، فيوكل الحق تعالى، بصفته فاعل الخير، للحصول على الخير والصلاح. أمّا الشخص «الراضي» فيكون قد أفنى إرادته في إرادة الله، فلا يختار لنفسه شيئاً. ولقد سئل أهل السلوك: «مَا تُرِيدُ؟». فَقَالَ: «أُرِيدُ أَنْ لا أُرِيدَ».

فمطلوبه هو مقام الرضا... وفي كتاب (الكافي) بسنده إلى أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداءً مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَهُ: «نحْنُ حُجّةُ اللهِ، وَنَحْنُ بَابُ اللهِ، وَنَحْنُ لِسَانُ اللهِ وَنَحْنُ وَجْهُ اللهِ وَنَحْنُ عَيْنُ الله فِي خَلْقِهِ وَنَحْنُ وُلاةُ أَمْرِ اللهِ فِي عِبَادِهِ»(١).

نعم الرسول وآله «صلوات ربي عليهم» لهم مقام الولاية العظمى، فهم عين الله في خلقه وجنبه وهذا ما تضافرت الروايات على بيانه ومنها هذه الرواية: عن أبان عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن لله عزَّ وجلَّ خلقاً خلقهم من نوره ورحمته لرحمته، فهم عين الله الناظرة، وأُذنه السامعة، ولسانه الناطق في خلقه بإذنه، وامناؤه على ما أنزل من عذر أو نذر أو حجة، فبهم يمحو الله السيئات وبهم يدفع الضيم وبهم ينزل الرحمة، وبهم يحيي ميتاً ويميت حياً وبهم يبتلي خلقه وبهم يقضي في خلقه قضية قلت: جعلت فداك من هؤلاء؟ قال: الأوصياء(٢).

هم والزهراء بهذا المقام ولكنّها عليها السلام خصت بهذه الخصوصيّة حيث جعل الله رضاه تابعاً لرضاها.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥: ص[٣٨٤]: ح٤٠.
(٢) المصدر/ جزء ٢٦ / صفحة [٢٤٠] ح٢.

سؤال: فلماذا أعطيت هذا المقام؟

الجواب: وذلك من أجل إعطاء المحوريّة للزهراء عليها السلام.

سادساً: خصوصيّتها عليها السلام مِنْ عند الرسول «صلّى الله عليه وآله»

وقال النبيُّ «صلّى الله عليه وآله»: فاطمة بَضعة مني من آذاها فقد آذاني(١).

سابعاً: خصوصيّتها عليها السلام في عند الأئمة عليهم السلام

وها هنا نذكر ثلاثة أحاديث تبين هذه الحقيقة:

الأوّل: عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال «نَحْنُ حُجج الله على خلقه، وجدّتنا فاطمة عليها السلام حُجّة الله علينا»(٢).

الثاني: عن الإمام المهدي «عجل الله تعالى فرجه الشريف» أنه قال: «وفي ابنة رسول الله لي أسوةٌ حسنةٌ...» فأيّ مقام يظهر لنا من خلال هذا التوقيع الشريف والذي بين فيه الإمام «عجل الله تعالى فرجه الشريف» أن له أسوة حسنة بفاطمة، أي: اتخذها قدوة له يتأسى بها في المعضلات والمصائب(٣).

الثالث: وعن السكوني قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا مغموم مكروب، فقال لي: يا سكوني مِمَّ غمك؟ قلت: ولدت لي آمنة

(١) المصدر/ جزء ٣٠ / صفحة [٣٤٧] ح١٦٤.
(٢) تفسير أطيب البيان: ١٣/٢٢٦: نقلاً عن الأسرار الفاطميّة للشيخ محمد فاضل المسعودي حفظه الله وسدد خطاه: ٦٩.
(٣) موسوعة سيدة نساء العالمين: مقام الزهراء عند الأئمة عليها «وعليهم السلام».

فقال: يا سكوني على الأرض ثقلها وعلى الله رزقها، تعيش في غير أجلك وتأكل من غير رزقك، فسرِّي والله عنّي فقال لي: ما سميتها؟ قلت: فاطمة، قال: آه آه ثم وضع يده على جبهته... أما إذا سميتها فاطمة فلا تسبها ولا تلعنها ولا تضربها(١).

ثامناً: خصوصيّتها عليها السلام في الدعاء:

- (اللهمّ إنّي أسألك بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها)(٢).
- وفي حديث الكساء... قالَ اللهُ عَزّ وَجَلَّ: (يا مَلائِكَتِي وَيا سُكَّانَ سَماواتِي، إنِّي ما خَلَقْتُ سَّماء مَبْنِيَّةً وَلا أَرْضا مَدْحِيَّةً وَلا قَمَراً مُنِيراً وَلا شَمْساً مُضِيئَةً وَلا فَلَكاً يَدُورُ وَلا بَحْراً يَجْرِي وَلا فُلْكاً يَسْرِي إلّا فِي مَحَبَّةِ هؤُلاءِ الخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الكِساءِ. فَقالَ الأَمِينُ جبْرائِيلَ: يا رَبِّ وَمَنْ تَحْتَ الكِساءِ؟ فَقالَ عَزَّ وَجَلَ: هُمْ أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسالَةِ، هُمْ: فاطِمَةُ وَأَبُوها وَبَعْلُها وَبَنُوها)(٣).

تاسعاً: خصوصيتها عليها السلام في دفنها وهي إخفاء قبرها(٤)

... عن عليٍّ بن الحسين، عن أبيه الحسين عليه السلام، قال: لما مرضت فاطمة بنت رسول الله عليها السلام، وصّت إلى عليٍّ بن أبي

(١) الكافي للكليني: باب حق أولاد: ح٦.
(٢) الأسرار الفاطميّة: للعلّامة محمد فاضل للمسعودي: ص٢٥: دار الاندلس: ط١: ١٤٣٣.
(٣) مفاتيح الجنان: للشيخ عبّاس القمي: ص٦١٤: دار التعارف للمطبوعات: ط٣.
(٤) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، لإسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني، ج١٥، ص: ٢٩٤.

طالب عليه السلام أن يكتم أمرها ويخفي خبرها ولا يؤذن أحد بمرضها، ففعل ذلك. وكان يمرّضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس، على استسرار بذلك كما وصّت به.

فلما حضرتها الوفاة، وصّت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولى أمرها ويدفنها ليلاً ويعفّي قبرها. فتولّى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ودفنها وعفّى موضع قبرها.

فلما نفض يده من تراب القبر، هاج به الحزن. فأرسل دموعه على خديه وحوّل وجهه، إلى قبر رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فقال: «السلام عليك يا رسول الله...». لماذا أخفى قبرها عليها السلام؟ إذا كان لظلامتها فكل أهل البيت ظلموا وإمامهم وسيدهم رسول الله «صلّى الله عليه وآله» هو القائل...: ما أوذي نبي مثل ما أوذيت فلماذا لم تخف قبورهم؟... أجل اخفاء قبرها هو لبيان محورية الزهراء عليها السلام.

عاشراً: خصوصيتها عليها السلام في حشرها

قال جابر لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك يابن رسول الله حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك، قال أبو جعفر عليه السلام: حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله «صلّى الله عليه وآله» قال: إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة، ثم يقول الله: يا محمد اخطب، فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الانبياء والرسل بمثلها، ثم ينصب للأوصياء منابر من نور وينصب لوصيي عليٍّ بن أبي طالب في أوساطهم منبر من نور فيكون منبره أعلى منابرهم، ثم يقول الله: يا علي اخطب، فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها، ثم ينصب لأولاد

الأنبياء والمرسلين منابر من نور، فيكون لابني وسبطي وريحانتي أيام حياتي منبر من نور، ثم يقال لهما: اخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الانبياء والمرسلين بمثلها.

محل الشاهد: ثم ينادي المنادي وهو جبرئيل عليه السلام: أين فاطمة بنت محمد؟ أين خديجة بنت خويلد؟ أين مريم بنت عمران؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين أم كلثوم أم يحيى ابن زكريا؟ فيقمن، فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟ فيقول محمد وعلي والحسن والحسين: لله الحادي (الواحد) القهار، فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعليٍّ والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضوا الأبصار فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرئيل بناقةٍ من نوق الجنة مدبجة الجنبين، خطامها من اللؤلؤ الرطب، عليها رحل من المرجان، فتناخ بين يديها فتركبها فيبعث الله مائة ألف ملك ليسيروا عن يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك ليسيروا عن يسارها ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها على باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت، فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟ فتقول: يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنّة، قال أبو جعفر عليه السلام: والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا

وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبةً في حب فاطمة فخذوا بيده وأدخلوه الجنة، قال أبو جعفر عليه السلام: والله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١] فيقولون: فلو أن لنا كرةً فنكون من المؤمنين قال أبو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات منعوا ما طلبوا ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] (١).

نتائج

١ - فاطمة الزهراء عليها السلام هي المحور والأصل في دائرة النبوة والإمامة لأنها جمعت آثار النبوة والرسالة ومقام الولاية العظمى... لأنها من جهةٍ مرتبطة بمقام الخاتمية ومن جهةٍ أخرى مرتبطةٌ بمقام الولاية العظمى.

٢ - اجتمعت فيها كل كمالات عالم الامكان من النبيّ آدم عليه السلام إلى الخاتم محمّدٍ «صلّى الله عليه وآله»...؛ لأنها ثمرة الشجرة الطيبة.

٣ - هي الأصل والمعدن والجوهر الذي تنطلق منه الإمامة العظمى من الحسن المجتبى عليه السلام الى الإمام الحجة «محمّدٍ بن الحسن عجل الله فرجه الشريف».

ولهذا نجد الله سبحانه وتعالى قد هيّأ كل المقدّمات الضرورية لأجل خلق هذه الحوراء الإنسية والطيفية الربانية المسماة (فاطمة الزهراء) عليها السلام.

---

(١) بحار الأنوار / جزء ٨ / صفحة [٥١] ح ٥٩.

المصادر

١ - **القرآن الكريم**

٢ - إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل - القاضي نور الله الحسيني المرعشي التستري الشهيد سنة **١٠١٩**هـ - تعليقات: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي - مكتبة المرعشي النجفي - قم.

٣ - أخبار الدول: أحمد بن يوسف القرماني.

٤ - الأربعون حديثاً: السيد روح الله الخميني الموسوي.

٥ - الأسرار الفاطميّة: الشيخ محمد فاضل المسعودي.

٦ - أصول الكافي: لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه الله.

٧ - الافصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام: للفقيه المتكلم أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد.

٨ - الأمالي: للشيخ الصدوق: محمد بن علي بن بابويه، ت: **٣٨١**هـ.

٩ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي.

١٠ - بحار الأنوار: العلاّمة محمد باقر المجلسي.

١١ - البدء والتاريخ: منسوب إلى المؤرخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي (٢٣٥ - ٣٢٣).

١٢ - بشارة المصطفى «صلّى الله عليه وآله» لشيعة المرتضى عليه السلام : للشّيخ عماد الدّين أبي جعفر محمّد بن أبي القاسم علي الطّبري الآملي، من أعلام الاماميّة في القرن السّادس.

١٣ - بصائر الدرجات للثقة الجليل والمحدث النبيل شيخ القميين أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ «الصفّار».

١٤ - بيت الأحزان: الشيخ عباس القمي.

١٥ - تاج العروس: لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي.

١٦ - تاريخ بغداد: للخطيب: أحمد بن علي البغدادي، ت: ٤٦٣ هـ.

١٧ - تفسير أطيب البيان: السيد عبد الحسين الطيّب.

١٨ - تفسير العيّاشي: لمؤلّفه المحدّث الجليل أبي النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي.

١٩ - تفسير القمي: لأبي الحسن عليّ بن إبراهيم القمي.

٢٠ - التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام .

٢١ - تفسير الميزان، للعلامة محمد حسين الطباطبائي.

٢٢ - تفسير روح المعاني: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي.

٢٣ - تفسير نور الثقلين: للعلامة الخبير والمحدث النحرير الشيخ عبد على بن جمعة ألعروسي الحويزي قدّس سره.

٢٤ - التهذيب: لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ (قدس سرّه) المتوفّى ٤٦٠ هـ.

٢٥ - ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمّد بن عليّ بن بابويه المعروف بالصدوق.

٢٦ - جامع أحاديث الشيعة: للسيد الإمام آقا حسين البروجردي (ت ١٣٨٠) المطبعة العلميّة - قم ١٣٩٩ هـ.

٢٧ - حلية الأولياء: أبو نُعيم الأصبهاني.
٢٨ - الخصائص الفاطميّة: الشيخ محمد باقر الكجوري.
٢٩ - الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.
٣٠ - الدعوات: لقطب الدين الراوندي.
٣١ - ذخائر العقبى: لمحبّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن عبد الله الطبري المكّي الشافعي (٦١٥ - ٦٩٤).
٣٢ - رسالة اعتقادات الصدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه المعروف بالصدوق.
٣٣ - الرياض النضرة: محبّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الله الطبري المكّي الشّافعي (٦١٥ - ٦٩٤).
٣٤ - سنن البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي.
٣٥ - سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام: علي موسى الكعبي.
٣٦ - سيرة الزهراء عليها السلام: السيد عبد الحسين دستغيب.
٣٧ - شبكة عرفان نت: منتدى الكوثر.
٣٨ - الصحاح في اللغة: للجواهري.
٣٩ - صحيح البخاريّ: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله.
٤٠ - الطريق إلى المنبر الحسيني: للخطيب عبد الوهاب الكاشي.
٤١ - ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام: أجوبة الميرزا جواد التبريزي (قدّس سرّه).
٤٢ - علل الشرايع: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي المتوفى سنة ٣٨١هـ.
٤٣ - عوالم العلوم والمعارف والأحوال: للشّيخ عبد الله بن نور الله البحراني الاصفهاني.

٤٤ - العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي.

٤٥ - عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: لمؤلّفه الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن عليّ بن حسين بن بابويه القمي (٣٠٥- ٣٨١) للهجرة.

٤٦ - عيون الغرر في فضائل الآيات والسور: مشتاق مظفر.

٤٧ - غرر الحكم ودرر الكلم: غرر الحكم: لعبد الحادي بن محمد التميمي الآمدي، من علماء القرن السادس الهجري.

٤٨ - فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: للخطيب السيد محمد كاظم القزويني.

٤٩ - فاطمة المعصومة قبس من أشعّة الزهراء عليها السلام: محمد علي المعلم.

٥٠ - فاطمة بهجة قلب المصطفى: أحمد الرحماني الهمداني.

٥١ - فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام للشيخ إبراهيم بن محمد الجويني.

٥٢ - الفصول المهمة للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي.

٥٣ - فلاح السائل للعلامة السيّد عليّ بن موسى المعروف بأبن طاووس.

٥٤ - فيض القدير: عبد الرؤوف المناوي.

٥٥ - كشف الغمّة: لمؤلفه علي بن عيسى الإربلي المتولد سنة **٦٩٢** هـ.

٥٦ - كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، للعلّامة علاء الدِّين عليّ المتّقى بن حسام الدِّين الهنديّ، المتوفّى سنة **٩٧٥**، مؤسّسة الرسالة، **١٣٩٩** هـ.

٥٧ - كنز الفوائد: أبو الفتح محمد بن عليّ الكراجي.

٥٨ - لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.

٥٩ - اللمعة البيضاء: المولى محمد علي بن أحمد القراچه داغي التبريزي الأنصاري.

٦٠ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي.
٦١ - المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي.
٦٢ - مدينة المعاجز: العلم العلّامة السيد هاشم البحراني «قدس سره».
٦٣ - مركز الأبحاث العقائدية / www.aqaed.com.
٦٤ - مسائل علي بن جعفر الصادق عليه السلام.
٦٥ - مستدرك سفينة البحار: العلامة آية الله الشيخ عليّ النمازي.
٦٦ - مسند أبي يعلي لأحمد بن عليّ الموصلي.
٦٧ - مسند فاطمة عليها السلام: للحافظ البوطي.
٦٨ - مسير الأرواح بعد الموت أو سياحة في الغرب: محمد حسن القوجاني.
٦٩ - معاني الأخبار: للصدوق، محمد بن علي بن الحسين، ت: ٣٨١ هـ.
٧٠ - المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني.
٧١ - معرفة الله: السيد كمال الحيدري.
٧٢ - المغازي: لمحمّد بن عمر المعروف بـ «الواقدي» (١٣٠ - ٢٠٧ هـ).
٧٣ - مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي.
٧٤ - مقتل الحسين عليه السلام: لأبي المؤيّد الموفّق محمّد بن أحمد المكي الخوارزمي الملقّب بصدر الائمّة وبأخطب خوارزم (٤٨٤-٥٦٨ هـ).
٧٥ - مناسك الحج: الفائدة الثالثة في آداب المدينة المنورة من الخاتمة: السيد محمد سعيد الحكيم.
٧٦ - منتقى الجمان: للشيخ الجليل السعيد جمال الدين أبي منصور الحسن بن زين الدين الشهيد.
٧٧ - موسوعة الغدير: العلّامة عبد الحسين الاميني.
٧٨ - الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام: إسماعيل الأنصاري الزنجاني.

٧٩ - الموقع الالكتروني: محمد الصنقور.
٨٠ - موقع السيد منير الخبّاز: حقيقة الاسم الاعظم.
٨١ - موقع الشيرازي نت.
٨٢ - موقع الميزان للدفاع عن الصدّيقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، موسوعة سيّدة النساء.
٨٣ - ميزان الحكمة للشيخ: محمد الري شهريّ.
٨٤ - نزهة المجالس ومنتخب النفايس: للشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي.
٨٥ - نهج البلاغة، مجموعة ما اختاره الشريف الرضيّ من كلمات الإمام عليّ عليه السلام، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة: الدكتور صبحي الصالح، منشورات دار الهجرة، قم.
٨٦ - وسائل الشيعة: «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة»: للمحدّث الكبير والعلّامة المحقّق الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العامليّ من علماء الشيعة الكبار ومن فقهائهم البارزين في القرن الحادي عشر (١٠٣٣-١١٠٤هـ).
٨٧ - الولاية التكوينيّة: السيد كمال الحيدري.
٨٨ - ينابيع المودّة لذوي القربى: للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ.
٨٩ - يوسف الصديق رؤية قرآنية: السيّد كمال الحيدري.

الفهرس